الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

كلية الآداب و اللغات و الفنون قسم اللغة العربية و آدابها

قضايا النقد الأدبي في كتاب "زهر الآداب و ثمر الألباب" لأبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني

بحث تخرج لنيل درجة الماجستير في النقد الأدبي القديم

مشروع : " اتجاهات الحركة النقدية في المغرب العربي"

إعداد الطالب: **تحت إشراف الأستاذ الدكتور**

سهالي عامر **بوقربة الشيخ**

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور: مختار حبار : رئيسا

الأستاذ الدكتور: الشيخ بوقربة : مشرفا و مقررا

الأستاذ الدكتور: محمد مرتاض : مناقشا

الأستاذ الدكتور: حسن بن مالك : مناقشا

السنة الجامعية
2009/2008

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على
نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعـد
أهدى ثمرة عملى وجهدى هذا المتواضع إلى :
أعز الناس إلى الوالدين الكريميـن أطال الله في عمرهما
وكـــافة أفـراد أسـرتى .
وإلى من ساندنى وقدم لى يد المساعدة ولو بكلمة طيبة على
إنجاز هذا العمل , وأخيرا إلى كافة الزمــلاء الأوفيـــاء .

شـــكر و تـــــــقدير ـــــــر

قال الله تعالى '' ولا تنسوا الفضل بينكم ''.

– صدق الله العظيم –

– الحمد لله الذى وهب لنا نعمة العـــــــقل, الحمد لله الذى سهل لنا طريق العلـــم.

أتقدم بالشكر الأول والأخير إلى الله تعـــــــالى "جـــلَ ثنـــــــاءه ".

– وإلى الذيـــن ارتـــوينا من منـــاهلهـــم الصافيـــة في مجـــال العلـــم والمعرفـــة.

–إلى الأســـاتذة الكـــرام عامـــة , والأستاذ المشـــرف خاصة الدكتور "الشيخ بوقربة "

الذى سعى معنا خلال هذا المسار لإنجاز هذا العمل بإرشاداته المتواصلة , وملاحظاته الدقيقة , و إشرافه الدائم .

– وإلى الأخ الصديق " بلقاسم فداق " تحية عرفان و تقدير .

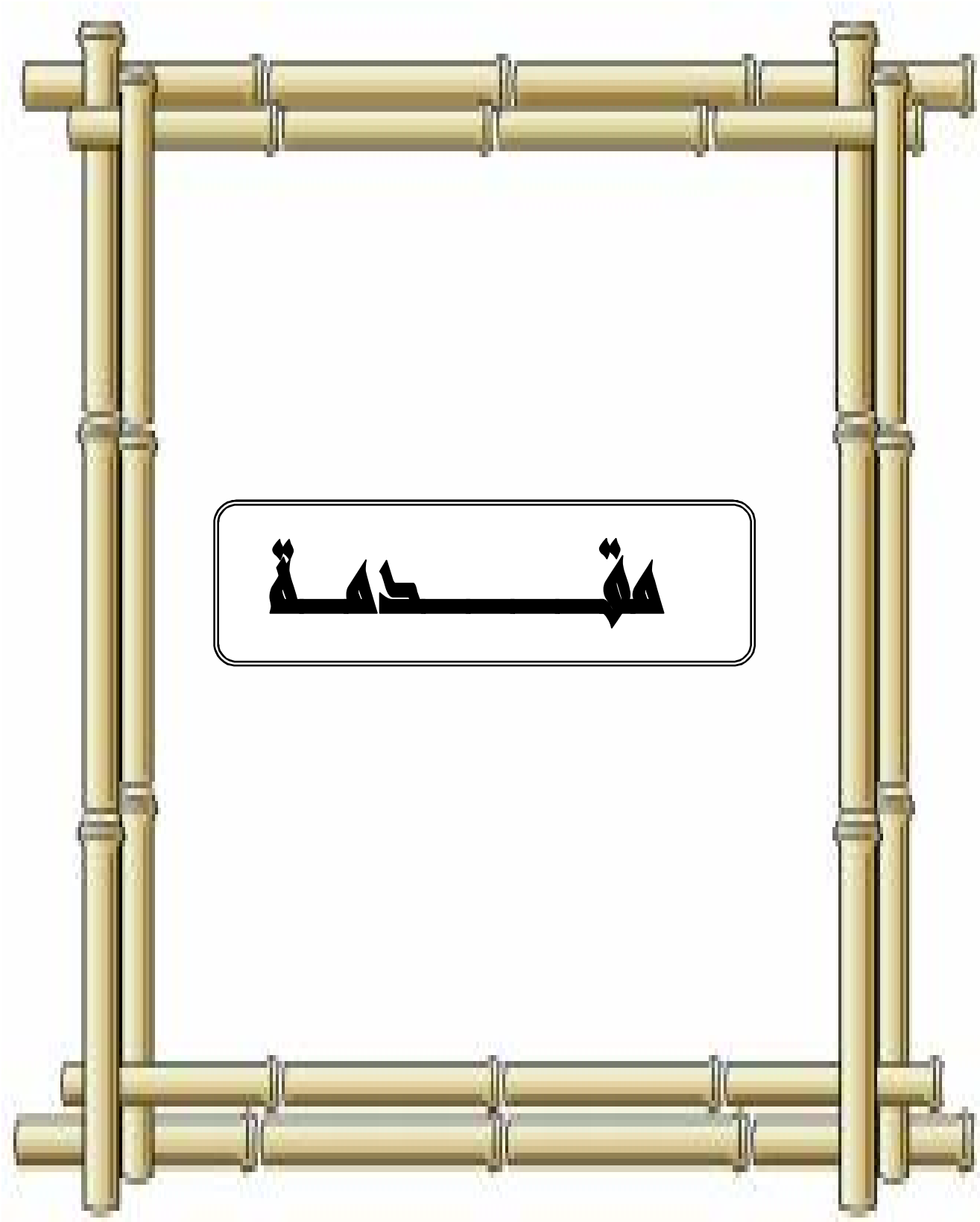
مقـــــدمة

مقدمة :

إنّ الإشكالية التّي يعرض لها بحثنا هي دراسة قضايا النقد الأدبي في كتاب " زهر الآداب وثمر الألباب" لصاحبه "أبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني".

لقد حرصت و أنا أتصدى لهذا البحث أن أحيط بأهم القضايا الأدبية التي تناولها الحصري في كتابه الضخم، و أن أستخلص من ثنايا "زهر الآداب" كل ما يمت إلى النقد بصلة.

فكتاب " زهر الآداب وثمر الألباب" ليس بالكتاب النقدي و إنما هو واحد من الكتب الأدبية العامة التّي ظهرت في القرن الرابع الهجري, إذ هو يعني بإيراد الأخبار و القصص والأحاديث بشكل جامع، ثم هو بعد ذلك يبين عن وقفات نقدية تمثل عصارة ثقافة الحصري النقدية.

كما أنّ المتتبّع لـ " زهر الألباب و ثمر الألباب" يلاحظ أنَّ الحصري حين يلجأ إلى الاختيار فإنه يريد به الإتباع أو الموافقة.

و إذا كان الحصري لم يملك ناصية النقد و كان حظه منها قليلاً قياساً إلى نقاد آخرين من بلاد المغرب الكبير و على رأسهم إبن رشيق, فإنّه كان يمثل الإرهاصات الأولى لبذور هذا النقد و ذلك ما يشفع له في تأخره عن هؤلاء من هذه الناحية.

و كان أول شيء أعمد إليه هو الحصول على نسخة من " زهر الآداب و ثمر الألباب"، تحقيق الدكتور محمد البجاوي : و من ثم أعكف على تخليص القضايا النقدية.

إذ أن النقد في المغرب العربي لذلك الزمن كان يقتفي آثار النقد المشرقي و يسير على خطاه، فلا غر و أن يتناول النّقاد بالدراسة القضايا المثارة هناك.

و من هنا جاءت اختيارات الحصري النقدية و آراؤه تصب في هذا السّبيل غير أنّ الصعوبة التّي يصطدم بها الباحث تكمن في عدم تبويب الكتاب، مثلما هو عند ابن رشيق مثلا في العمدة، و ذلك لاختلاف المنهجين.

لقد عمدت إلى تقسيم بحثي هذا إلى مدخل و أربعة فصول.

فأما المدخل فحملته عنوان : " حياة الحصري و ثقافته "، و ضمنته التعرف إلى شخصية الحصري و آثاره ، وثقافته ، والعصر الذي عاش فيه و ما قيل فيه، و تأثيره في تلاميذه.

الفصل الأول: السرقات الأدبية : و ذلك لأن الحصري كـــان كثـــير الإحتفاء بـــها ، متتبعاً لهـــا نظرياً و تطبيقياً.

الفصل الثاني: الموازنات الأدبية : و هي ذات صلة بالسرقات الأدبية و كما اهـــتّم الحصري بالسرقات ، لم يدخر جهداً في تقفي أثر الشعراء موازنا بينهم، ســـيّما و أنّ هـــذه الظاهرة كثيراً ما تصدى لها النّقاد في ذلك الزمن.

الفصل الثالث : البديع ذلك لأنّ فن البديع من أظهر الفنون في كتاب الحصـــري ، ولعله من أبرز الفنون التّي تتجلى فيها شخصيته النقدية و تتبلور آراؤه الفنية, و لا يخفى أنّ البديع في ذلك الزمن كان من القضايا النقدية التّي تصدى لها النّقاد.

الفصل الرابع: قضايا نقدية متفرقة في زهر الآداب : حيث جمعت في هذا الفصـــل القضايا النقدية الأخرى التي لم يحفل بها الحصري كثيراً ، و إن ألمّ بها بعض الإلمام رغـــم أنّها شكلت حيّزاً هاماً من المشهد النقدي العربي في ذلك الوقت مثل قضايا : الشعر و النثر، اللفظ و المعنى ، الطبعة و الصنعة ، القدماء و المحدثون.

و لقد عانيت من ندرة الكتابات التّي تتناول الأدب و النقد خاصة في بـــلاد المغـــرب لـــذلك الزمن ، فضلا عن الكتابة التّي تدور حول الحصري القيرواني على وجه التحديد.

ولقد تغلب الناحية التطبيقية في هذا البحث على الجانب النظري ذلك لأن " زهر الآداب وثمر الألباب" ليس كما ألمحنا إلى ذلك في عدة مناسبات يحتفي بالتأسيس النقدي أو هو موضـــوع لهذا الغرض, و إنما هو كتاب جامع مـــن كتب الأدب العامة التّـــي تعنـــي بمختلف الأخبار والأحاديـــث و الشعـــر و النثر و القصص... فالحصـــري لا يتـــوخى المـــنهج النظـــري للإفصاح عن آرائه بقدر ما يعني بالجانب التطبيقي.

هذا ، و لقد سعيت في دراستي هذه إلى تطبيق المنهج الوصفي بما يتماشى ورصد الوقفـــات النقدية التّي أسهم بها الحصري في إضاءة جوانب من قضايا النقد الأدبي.

و أخيرا أرجوا أن أكون قد وفقت بعض الشيء إلى معاينة و رصد هذه القضايا النقدية.

مدخل

الحياة الثقافية و الأدبية في القيروان

يتفق الكثير من المؤرخين على أن مجد القيروان الثقافي يرتبط ببروع القرن الثالث الهجري و لكن بعض المؤرخين لا يستبعدون أن يكون لها مجدا تاريخيا قبل الفتح الإسلامي و يعتقدون أنها قامت على أنقاض سوق رومانية و يرى الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب أن هذه السوق كانت تسمى بالقيصرية [1]

و لقد كانت الحياة الثقافية في القيروان راقية تشتمل على مختلف العلوم و المعارف سواء كانت دينية أو دنيوية حيث شاعت الرياضة ، و الفلسفة ، و علوم الطب ، و الآداب في القرن الثالث الهجري ...

و يدل قول عبد الواحد المركشي (581 – 647 هـ) " و كانت القيروان هذه في قديم الزمان . منذ الفتح إلى أن خربتها الأعراب – دار العلم بالمغرب – إليها ينسب أكبر علمائه و إليها كانت رحلة أهله في طلب العلم ....." يدل على مدى الثقافة و العلم في القيروان آنذاك .

1- العبيديون

لقد احتضن العبيديون طلائع الشعراء و أجزلوا لهم الصلات ، كي يكونوا سندا للفاطميين يردون عليهم هجوم أهل السنة و يشيعوا مذهب التشيع الذي كان عليه الفاطميون و من هؤلاء الشعراء محمد بن هانىء ، و على بن محمد الأيادي ، و تميم بن المعز الفاطمي ، و أبو القاسم الفزاري ، و الفضل بن نصر المعروف بابن الرايس .....

و قد اتسمت مساعي الفاطميين على حمل الناس على التشيع وجود ثقافة دينية هائلة في الفقه و أصوله ، و في العقائد و التفسير [3]

و بغض النظر عن السعي إلى تمكين المذهب الشيعي و الحد من زحق المذهب السني إلا أن هذا الحراك الديني أوجد فضاء خصبا لانتشار الثقافة الدينية أولا و التأسيس لثقافة أدبية راقية على أيدي جملة من الأدباء و الشعراء و علماء اللغة .

يقول العلامة حسن حسني عبد الوهاب " و نشأ عن هذا التنافس مزاحمة في الأدب ، و تكاثر عدد الشعراء ، و راجت بذلك سوق الأفكار و احتكت القرائح ، و تولد الاختراع في المعاني ، و المسابقة إلى الإجادة في القول ، كل يسعى لنشر نفوذه ، و تدعيم آراء حزبه و كل حزب بما لديه فرحون " [4]

---

1)- حسن حسنى عبد الوهاب ,بساط العقيق مطبعة المنار تونس (1970)- ص:.15

2)-عبد الواحد المراكشى المعجب في تلخيص اخبار المغرب مكتبة الاستقامة القاهرة (1949)- ص:356.

3)- الحبيب الجنحانى القيروان الدار التونيسية للنشر (1968)- ص : .155

4)-حسن حسنى عبد الوهاب مجمل تاريخ الادب التونسى مكتبة المنار (1968) ص:77.

و لقد اعتبر التنافس أحد عوامل نهضة الأدب في هذا الطور ، و الذي ساعد على بلورة هذه النهضة حسب الكثير من المؤرخين أن إفريقيا كانت تتمتع بمظاهر الحضارة ، و التمدن ثم إن العبيديين في أغلبهم من ولاة و أمراء ، كانوا يقرضون الشعر ، و يحبون الأدب و من ثم يسعون إلى تطويره و النهوض به .

1-الصنهاجيون :

لقد إزدهرت الحياة الثقافية و الأدبية ازدهارا كبيرا في العهد الصنهاجي خاصة و أن الصلات استحكمت بين أجزاء المغرب من جهة و بينه و بين بلاد المشرق من جهة أخرى فأدى هذا الاستقرار النوعي إلى بروز معالم الازدهار الحضاري الذي أدى بدوره إلى تطور الأدب و الثقافة خاصة على أيام بني زيري الصنهاجيين ويعتبر الكثير من المؤرخين فترة حكم الصنهاجيين بمثابة العصر الذهبي لبلاد المغرب في ميادين المعرفة بشتى أنواعها و فروعها " [1]

لقد كان لإقبال أمراء الدولة الصنهاجية على العلم و الأدب ، و أخدهم بأيدي أهلها دورا كبيرا في ازدهار الثقافة و الفكر في هذه الديار ، بل إنهم شجعوا الشعراء و الأدباء على النزوح و الاستقرار في بلاد المغرب ، و يأتي على رأس هؤلاء الأمراء المشجعين للعلماء و الأدباء و الشعراء المعز بن باديس الصنهاجي الذي كان محبا لأهل العلم مجزلا العطاء لهم ، مدحه الشعراء ، و انتجعه الأدباء ، و كانت حضرته محط بني الآمال [2] و قد اجتمع بحضرته من أفاضل الشعراء ما لم يجتمع إلا بباب الصاحب بن عباد ، جمع بلاطه أكثر من مائه شاعر و أديب [3] ، قالوا في مختلف الأغراف و الفنون الشعرية .

يقول ابن عذارى المراكشي صاحب " البيان المغرب " عن المز بن باديس " و لم يكن أحد في زمانه أشد بأسا في الملاحم ، و لا أطول يدا بالمكارم ، و لا أعلى بلسان العرب ، و لا أحنى على أهل الأدب ، و من مشهور كرمه ، أنه أعطى المنتصر بن خزرون في دمغة مائه ألف دينار ، و كان متوقد الذهن ، حاضر الخاطر حاذقا بطرائف الألحان ، عالما بالمنثور و المنظوم من الكلام ، و مدحه كثيرا من الشواذ فأجزل لهم العطاء ، منهم علي بن يوسف التونسي ، و يعلى بن إبراهيم ، و أبو علي بن رشيق و القرشي ، و ابن شرف ، و غيرهم يطول " [4]

1)- احمد امين ظهور الاسلام دار الكتاب العربي بيروت (1975),ج1,ص:.304

2)-ابن خلكان وفيات الاعيان مطبعة السعادة (1948) ,ج5 , ص: .233

3)- ابن عذراى المراكشى – البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب دار الثقافة –بيروت ج1- ص :306.

4)-المصدر السابق ج1-ص: 397.

ثم يتحدث ابن عذارى عن ابنه تميم و الذي كان لا يقل عن والده احتفاء بالعلم و تشجيعا للثقافة و الأدب بل كان شاعرا و أديبا يشار إليه بالبنان .

يقول ابن عذارى " و هو أحد فحول الشعراء الملوك و ذوي السبق و التقدم في معانيه و بدائعه حوى فيه الجودة و الكثرة ، و له ديوان كبير من شعره مشعور فمن قوله :

فأما الملك في شرف و عــز على التاج في أعلى السرير

و أما الموت بين ظبا العوالي فلســت بخــالد أبــد الـدهور [1]

يقول الدكتور بشير خلدون " فإن كانت فترة هذه حقيقتها رجالها علماء و أدباء و شعراء و أولي الأمر منهم لا يقلون نباهة و فهما عن أولئك ، فلا غرابة أن تظفر بعد كل هذا بهذه الحركة الثقافية المزدهرة ، و بالتالي بهذه الحركة النقدية التي تميزت بشخصياتها ، و تصانيفها في مختلف الآداب و العلوم و الفنون " [2] لقد زاد الصنهاجيون بعد ذلك هذه النهضة الثقافية و الأدبية في تكوين شخصية إفريقية مستقلة في النقد و الأدب ، إذ ظهر في هذا العصر أول بذرة نقدية شارك فيها الحصري بكتابه " زهر الآداب و ثمر الألباب " و إن لم يبلغ فيه ما بلغ معاصروه و تلاميذه مثل عبد الكريم النهشلي , و ابن رشيق ، و ابن شرف ، إلى أن للحصري فضل المبادرة كما أنه سعى إلى تقليد المشارقة .

يقول حسن حسني عبد الوهاب عن هذا العصر " في عهد الصنهاجيين وضع القيروانيون فن نقد الشعر فألف إبراهيم النهشلي كتاب " الممتع " و ألف ابن رشيق "العمدة " و ألف محمد بن شرف " رسالة الانتقاد " و كل هذه الكتب في أساليب النقد و مناحيه " [3]

ولقد زخرت الحياة الأدبية و الثقافية في القيروان بجملة من الأدباء و الشعراء و النقاد و اللغويين من أمثال : أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، و محمد بن عبدون الوراق ، و الكاتب القيرواني إبراهيم بن غانم ، و علي بن أبي الرجال رئيس الدولة الصنهاجية ، و أحمد بن القاسم بن أبي حديدة و كان كاتبا بديوان الرسائل ، و أبو طاهر التجيبي البرقي القيرواني ، ولقد حفلت كتب التراجم الأدبية بذكر الكثير من الأدباء و النقاد

1)- ابن عذارى المراكشي – البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ج1- ص :.303

2)-بشير خلدون الحركة النقدية على ايام ابن رشيق المسيلى القيروان الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر (1981) ص.34

3)- حسن حسنى عبد الوهاب مجمل تاريخ الادب التونسى ص77.

و المؤرخين الذين ظهروا في هذه الفترة المشعة في تاريخ الأدب العربي في القيروان مثل كتاب " مسالك الأبصار " لابن فضل الله العمري ، و " وفيات الأعيان " لابن خلكان و معجم الأدباء و الحلل السندسية .. كما أن الكثير من الأدباء و الشعراء هم شخصيات متعددة الجوانب فمنهم الشاعر الفقيه و الشاعر الناقد حتى الشاعر الطبيب أو الفليسوف وليس هذا غريبا على عصر كان من أمرائه المعز بن باديس ، و تميم ابنه ، و تربعت فيه القيروان ، و تميزت الحركة الأدبية بفنونها المتعددة الأفنان و الفروع [1] .

لقد بلغ تطور الأدب في القيروان حدا زهت به بلاد المغرب و تافست بلاد المشرق حتى غصت دور الملك و مجالس الأمراء بالكتاب و الشعراء خاصة على أيام الدولة الصنهاجية حيث يقول ابن سعيد المغربي " و لقد اجتمع بباب المعز أكثر من مائة شاعر [2] " و نجد أن هؤلاء الشعراء كان لا يقلون موهبة و قريحة عن فحول شعراء المشرق ، و قد ذكر ابن رشيق في كتابه الأنموذج " أحمد بن أبي حديدة ، إبراهيم الحصري ، إبراهيم الرفيق إسحاق ابن إبراهيم ، الحسن التجيبي ، الحسن التاهرتي و خديجة بنت أحمد المعارفي ، و ابن شرف ، و عبد الكريم [3]

و إذا كان أولي الآمر من حكام القيروان قد عنوا هذه العناية بالعلم و رجال الثقافة و الأدب و أجزلوا لهم العطايا ، فلاغرو أن تجد القيروان حاضرة الثقافة و الأدب ، ببلاد المغرب يومئذ تموج بهذا الكم الهائل من رجال القرطاس و القلم و أن يمتد إشعاعها إلى الحواضر البعيدة ، و يتشرب طلاب العلم من سنا نورها و منهل معينها .

الأحداث في عصر الحصري :

تعتبر الفترة التي عاشها الحصري فترة النضج الثقافي في عصرين مهمين هما :

العصر الفاطمي (العبيدي) ، و العصر الصنهاجي ، و الملاحظ أن النقاد و المؤرخين يسجلون بأسف بالغ انعدام الأخبار التي تشير إلى اندماج الحصري ، أو تفاعله مع أحداث عصره و يتضح ذلك من خلال كتب الحصري نفسه أو شعره الوجداني من جهة ، و كذلك في مختلف الكتب التي تعرضت لحياة الحصري ، و أحداث عصره بالدراسة و التحليل .. و لذلك فإن الباحث يستشعر هذه السلبية في تعاطي الحصري مع أحداث عصره ، أو على الأقل هذا ما توصل إليه الدارسون و النقاد من المصادر التي وصلت إلى أيديهم ، غير أن الدكتور عبده قليقية يشير إشارة طفيفة بقوله : " إن الحصري صحيفة سياسية تؤيد دولة الصنهاجيين ، و تنشر دعوتهم ، و إن الصنهاجيين اصطنعوه مع

1)- بشير خلدون الحركة النقدية على ايام ابن رشسق المسيلى القيروانى ص .31
2)-ابن سعيد المغربى
3)- ابن رشيق المسيلى القيروانى شعراء القيروان من انموذج الزمان ص

من اصطنعوا " [1] إن سكون الحصري عن عصر كان يموج بالأحداث يكشف عن شخصية الحصري الغامضة ، هذه الشخصية التي نعتها الشادلي بويحي بالشخصية الضعيفة [2] في معرض حديثة عن انصراف الحصري عن تأليف كتاب حول الشعراء في زمانه و هو الذي أزمع العمل ثم نكص بعد ذلك ، فتلقف ابن رشيق الفكرة ، و ألف كتاب "أنموذج الزمان في شعراء القيروان " .

إن كتابات الحصري تخلو من الحديث عن إنتاج الأدباء و الشعراء المغاربة ما عدا نبذا قليلة أوردها لكل من : عبد الكريم النهلشي (- 405 هـ) و ابن هاني (326 – 362 هـ) و علي الأيادي (- 365 هـ) و تميم ابن المعز الفاطمي (337 – 374 هـ)

و نرى أن الحصري لا يحفل بالأحداث السياسية التي اهتم بها المؤرخون من أمثال ابن خلدون (732 – 808 هـ) و ابن الأثير (525 – 630 هـ) و ابن عذارى (نحو 695 هـ) و غيرهم ، و رغم أن هذه الأحداث جرت في عصره و بعضها في بلاد المغرب.

إلا أن ذلك لا يشكل أدنى إشارة في نثر و شعر الحصري مما يجعل رأي الدكتور عبده قلقيلة الفائل بأن الحصري كان بمثابة صحيفة سياسية – يؤخذ بتحرز شديد ....

غير أن بعض الدارسين المنصفين لا يحملون الحصري وزر الصمت عن الأحداث الجارية في عصره ، و إنما يرون أن الحصري حفل كثيرا بأدب المشارقة و عكف على دراسته و التعريف به لدى المغاربة ، و إذا كان أهمل الإشارة إلى إنتاج الأدباء و الشعراء المغاربة كما ألمحنا آنفا فليس من العسير عليه أن يهمل الحديث عن الأحداث السياسية في بلاد المغرب .

<u>الأدب في القيروان :</u>

لقد بلغت القيروان شأوا بعيدا في الميدان الأدبي و أثرت الحركة النقدية ثراء كبيرا خاصة في العهد الصنهاجي أيام باديس و ابنه المعز و ذلك قبل النكبة الأليمة التي خلت بها على أيدي الأعراب من بني سيلم و هلال و أدت إلى خرابها و انهيارها ... لكن قبل ذلك فإن القيروان بلغت ذروة النهضة في الحياتين العلمية و الأدبية و يكفي أن نذكر أمثال الرقيق المؤرخ و ابن رشيق و ابن شرف و الحصري صاحب " زهر الآداب " [3] و غيرهم كثيرون ، هؤلاء الأدباء و النقاد استمدوا التشجيع كما أسلفنا من باديس الصنهاجي و ابنه المعز الذي كان شاعرا و أديبا محمودا كما كانت القيروان ملتقى العلماء و الأدباء و مثوى المهاجرين من المشرق و الأندلس .

1)- عبده قلقيلة النقد الادبى في المغرب العربى مكتبة الانجلوا المصرية - القاهرة (1973) ص .32

2)- الشاذلى بو يحيى الحياة لادبية في افريقية تحت حكم الزيريين الشركة التونيسية للتوزيع – تونس (1972) ص .23

3)-

و لا أدل على ذلك من كتاب " العمدة " لابن رشيق الذي اعتمد في جانب كبير منه على المصادر المأخوذة من الثقافة المشرقية و التي كانت على صلة سريعة و قوية بالقيروان حاضرة العلم و الأدب يومئذ ببلاد المغرب .. و لقد أثرت هذه الحركة في نمو الحركة النقدية ، و ظهر التنافس الشديد بين الأدباء في حاضرة بني زيري لا سيما و أن هذه النهضة اصطبغت بظلال المذاهب المشرقية المتعددة التي زحفت إلى أنديتهم و مجالسهم الأدبية ، فتأثروا بالنقاد المشارقة أمثال ابن قتيبة و قدامة و ابن وكيع و الجرجاني و الرماني و غيرهم .. و هكذا كانت جميع العوامل مسعفة على ظهور حركة نقدية في القيروان ، فكان من أعلامها أبو عبد الله القزار الذي ألف كتابا في ما اخذ على أبي الطيب و ابن ميخائيل محمد بن الحسين القرشي ، الذي كان شديد الانتقاد على مذهب قدامة [2] إلا أننا لا نعرف له مؤلفا نقديا ... إضافة إلى ما نعرف من نقاد من أمثال عبد الكريم النهلشي صاحب " الممتع " و ابن رشيق مؤلف " العمدة " و " قراضة الذهب " و " الأنموذج " و ابن شرف مؤلف " رسالة الانتقاد " .

إن القضية التي استقطبت أنظار النقاد خاصة في القرنين الهجريين الرابع و الخامس ، هي ظاهرة الحديث عن البلاغة و الفصاحة ، و قد تميز من بين فنونها علم لبديع الذي شهد حركة متميزة كانت ميدانا للتباري و التسابق بين النقاد البلاغيين من أجل اكتشاف صورة بيانية أو بديعية ، و لعل ذلك هو الذي كان سببا في جمود الحركة النقدية [1]

و الأكيد أن النقاد المغاربة تناولوا عدة قضايا نقدية حبل بها النقد العربي في المشرق و من أهم هذه القضايا :

- الحديث عن الشعر و النثر
- اللفظ و المعنى
- القديم و الجيد
- المطبوع و المصنوع أو الطبع و التكلف
- السرقات الأدبية
- الوازنات الأدبية

إضافة إلى علم البديع ، و وحدة القصيدة ، و قضايا أخرى تصدر في أغلبها عن النقد المجمل العام ..

1)- ابن عذراى المراكشى – البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ج1- ص :.303
2)-بشير خلدون الحركة النقدية على ايام ابن رشيق المسيلى القيروان الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر (1981) ص.34
3)- حسن حسنى عبد الوهاب مجمل تاريخ الادب التونسى ص77.

اسمه ونسبه :

هو أبو إسحاق إبراهيم بن على (بن إبراهيم) [1] بن تميم الحصري [2] الأنصاري [3] القروي [4]

ذكر ابن رشيق انه ابن خالة أبي الحسن الحصري [5] .

أما ابن خلكان (608- 674) ه – فينسبه إلي عمل الحصر وقد شكلها بضم الحاء وتسكين الصاد [6] .

ويقول الزبيدي : بالضم قال شيخنا والمعروف ضبطه بضمتين كما في الطبقات [7] وإذا كانت النسبة لبيع او عمل الحصر ، أو لقرية تعمل فيها الحصر ، فان النسبة الصحيحة تكون بتسكين الصاد .

غير أن محمد المرزوقي والجيلالي بن الحاج يحي شكلا الصاد بالفتح . كما أن محقق "تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون " للصفدي يشكلها بالفتح أيضا .

ويرى الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب " إن الحصر هي قرية صغيرة كانت حذو القيروان ، يصنع بها الحصر [10] .

ولو أن محمد المرزوقي و الجيلالي بن الحاج يحي في كتابهما أبو الحسن الحصري يشكان في صحة هذا المكان لأنهما لم يهتديا إلي المصدر الذي ذكر هذه القرية " [11]

1- ابراهيم الاخيرة – زياد حسن حسني عبد الوهاب – مجلة ، الثريا عدد 9 ض4 ومجلة البدر عدد 2 ض 310

(2) – ابن رشيف – شعراء الزمان من ا نمودج القيروان – جمع العابدين السنوسي دار المغرب العربي تونس (1973) ص18.

(3) – ابا الطاهر التجيبي – كتاب المختار من شعر بشار ص 149،157،147،129،89.

(4)- الشاذلي بو يحي – الحياة الادبية في افريقية تحت حكم الزيربين ص 20

(4)- ابن بري – اقتطاف الزهر واجتناء االثمر دار الكتب المصرية ص 3

(5) – ابن رشيف – شعراء القيروان من انموذج الزمان ص19.

(6) – ابن خلكان – وفيات الاعيان ص 38

(7)- الزبيدي – تاج العروس ج3 ص/145

(8) محمد المرزوقي والجيلالي بن الحاج يحي – ابو الحسن الحصري مكتبة المنار تونس (1963) ص 21

(9)- الصفدي – تمام المتون في شرح رسالة بن زيدون دار الفكر العربي القاهرة (1969) ص 117

(10) – حسني عبد الوهاب – مجلة التريا العدد 9 ص 4

(11) – محمد المرزوقي والجيلالي بن الحاج يحي – ابو الحسن الحصري ص 21

إن الذين أشاروا إلي نسبه الحصري إلي بيع الخصر من المؤرخين القدماء لم يؤكدوا على أن الحصري و أباه أوجده كانوا يتكسبون من صنع الحصر أو يتخذونها صناعة لهم .
ذلك أن الدكتور عبده قلقيلة ذكر الأمرين ، بيد انه لم يرجع صناعة الحصر أو بيعها من طرف الحصريين ، ولم يرجعها أيضا إلي قرية الحصر وهي إحدى ضواحي القيروان [1]
هذه النسبة للحصري تخص الحرفة ، ولكن النسبة من ناحية القبيلة نجد لها إشارة لدى تلميذه ابي طاهر التجيبي ، كما ان ياقوت الحموي يرى أن نسبه يتصل بالأنصار ويسميه " بـ " الأنصاري "[2] .
أما محمد المرزوقي و الجيلالي الحاج بن يحي يريان ان الحصري فهري [3] وهذا الأمر يصح لو انه ثبت أن الحصري الضرير ابن عم لأبي إسحاق الحصري .
ذلك أن محمد المرزوقي والجيلالي بن الحاج يحي يستدلان على ان الضرير فهري نسبة إلي فهربن مالك بن نضرا بن كنانة احد أجداد النبي – صلى الله عليه وسلم – من ذلك :
أ – انه ولد في حي الفهريين الواقع في الجهة الشمالية من جامع عقبة بن نافع ،
ب- إن للحصري الضرير أبياتا يفتخر فيها بنسبه إلي بني فهر كقوله يخاطب ابنه :

أقرة أعين الأشراف فهر وجدك منهمو المحض الصريح

يرى محمد المرزوقي و الجيلالي بن الحاج يحي انهما ابنا على القول الثاني الذي يذهب إلي أن ابراهيم خال للضرير .
وعلى هذا تكون ام الحصري الضرير أختا لإبراهيم ، الي ذلك تكون فهرية جريا على عادة العرب انهم لا يتزوجون من الموالي ، وإذا كانت ام الضرير فهرية فلا بد أن يكون إبراهيم فهريا لأنها اخته (4).

غير أن الأستاذ محمد بن سعد الشويعر يرى أن " كون الحصري الضرير فهريا لا يعني بالضرورة ان تكون آمه فهرية إلا إذا صح أن إبراهيم الحصري فهري [5] .
واذن فمن المحتمل ان تكون ام الضرير فهرية كما يحتمل ان تكون عربية من غير بني فهر.

(1)- د- عبد الله قلقيلة – النقد الأدبي في المغرب العربي ص 123
(2)- ياقوت الحموي – معجم الأدباء القاهرة (1973) ج1 ص 358 .
(3) – محمد المرزوقي والجيلالي بن الحاج يحي – ابو الحسن الحصري ص22
(4) - المرجع السابق ص 22
(5)- محمد بن سعد الشويعر – الحصرى و كتابه زهر الآداب ص71

بل ان بعض الشواهد تلغى هذه القرابة ، ذلك ان بعض الأقوال تعزو ذلك الي بيع الحصر أو عملها ، و أحيانا ينسب إلي قرية الحصر "

لكن الأستاذ محمد بن سعد الشويعر يذهب أكثر من ذلك حين يرى أن الحصري وصف بانه انصاري .... وحين ترجح ان الضرير فهري فينبغي تقاربهما في النسب لان الفهريين عدنانيون ، والانصار قحطانيون " [2]

مولده :

- لم توافينا المراجع القديمة عن مكان وسنة ولادة أبي إسحاق الحصري ، لكننا نستشف من قول ابن رشيق " انه مات وقد جاوز الأشذ " [3] ان الرجل لم يجاوز الأربعين حين وفاته ، على اعتبار أن الاشد عند اللغويين : أربعون سنة [4] و نجد لهذا الاثر في النص القرآني حيث يقول سبحانه و تعالى " حتى إذا بلغ أشذه و بلغ أربعين سنة " [5]

و حسب الاستاذ سعد الشويعر فإنه من المرخح أن يكون الحصري عند وفاته في نهاية الأشذ , وبداية الشيخوخة أي خمسون عاما ، لان هذا اقرب شيء يتفق مع التعبير اللغوي وعلى هذا فان ولادته تصبح عام 363 هـ تقريبا وهذا الارجح عندي [6]

إلا أن الباحث يجب أن يتوخى سبيل الحذر في تحديد تاريخ الميلاد لرجل مثل الحصري عرف بسعة الصيت في المجال الأدبي ولا يرسل الآمر على عواهنه إلا بعد تحريات معمقة .

---

(1)- د- عبد الله قلقيلة – النقد الادبي في المغرب العربي ص 123
(2)- محمد بن سعد الشويعر – الحصري وكتابه زهر الاداب ص 69
(3) – ابن رشيف – شعراء القيروان من انموذج الزمان ص20
(4) - الزبيدي – تاج العروس
(5)- صورة الاحقاف الاية 15
(6) - محمد بن سعد الشويعر – الحصري وكتابه زهر الآداب ص 71

و أنا شخصيا ارتأيت من خلال متابعتي لمآثر الحصري ومؤلفاته التي سنعرض لها بعد حين ان الرجل ربما يكون قد تقدم في السن هذا الي كونه كان شيخا ومعلما ذائع الصيت تتلمذ على يده نخبة غير قليلة من أئمة الأدب والنقد لعل أبرزهم تلميذه ابن رشيق وكذلك ابن شرف ...

وكون عدم التثبت من تاريخ ميلاد الحصري ، آو تتبع اطوار حياته بشكل دقيق لا ينقص من مكانه الحصري على الإطلاق ... بل أن المحدثين أماطوا اللثام عن بعض جوانب حياته وذلك من خلال الومضات التي توفرت لهم واستخلصت من اقوال تلامذته ومعاصريه.

فهذا ابن رشيف يشير إلي أن " شبان القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه ، وانه رأس عندهم وشرف لديهم ، وانثالت علىه الصلات من الجهات " [1]

ويضيف ابن خلكان الي كلام ابن رشيف السابق " وسارعت تاليفاته بعد كلمة وشرف لديهم " [2]

و الأمر نفسه ثابت عند الصفدي حيث زاد على ذلك بقوله " وسارت تاليفاته وانثالت علىه الصلات " [3]

ولا يبعدابن السراج [4] موافقا للصفدي في أرائه .

مما لا ريب فيه أن الحصري نشا بالقيروان و أخد عن علمائها ، ثم انبرى للتدريس بعد ذلك , خاصة بعد انتقال الحكم الفاطمي إلي مصر عام 362 واصطحابه لغالبية الشعراء مما جعل الحصري يتبوأ مكانة مرموقة في لقيروان ...

ولا يبعد إن شهرته قد ذاعت بعد تاليفاته لكتابه الجامع " زهر الآداب وثمر الألباب " كما ان الشاذلي بو يحي يقول " ان شباب القيروان اجتمعوا حوله مستفيدين من ثقافته الواسعة ، في المادة الأدبية ، و إرشاداته في نظريته عن الأدب التي من خلالها اصبح في صورة الأستاذ القائد في الوقت نفسه " [1]

---

(1)- ابن رشيف – شعراء القيروان من انمودج الزمان ص19 – جمع زين العابدين السنوصي
(2)- ابن فلكان – وفيات الاعيان 12 ص 37
(3) – الصفين – الوافي بالوفيات 62 ص 61
(4) - ابن السراج – الحلل السندسية ص277

و إذن فنحن إزاء رجل عرف بمكانته الادبية الفائقة وانه من أساطين الثقافة في القيروان حاضرة الأدب والعلم في بلاد المغرب يومئذ .

كما أن الأستاذ عمر فروح يقول "ان الحصري كان على شيء من الوجاهة في بلده وعلى كثير من العلم والادب فكان شبان القيروان يجتمعون عنده وياخذون عنه " [2]

واذن فان الكل يجمع على وجاهة الحصري العلمية والأدبية مستخلصين ذلك من اعمال الحصري ومؤلفاته من جهة وما وصل الي ايديهم من اقوال معاصريه وتلاميذته من جهة اخرى . الا ان عمر فروخ يضيف قائلا عن الحصري : " ويبدو انه كان يتكسب بالشعر او يرتزق بتآليفه " [3]

ثقافة الحصري :

لا شك أن المرء يستشف المدى الرفيع الذي بلغته ثقافة الحصري من أسماء مؤلفاته ، هذه المؤلفات التي تبين عن عمق هذه الثقافة من جهة وتجليات مواهبه من جهة أخرى .

ولعل ابرز ما يظهر للعيان الجهد الكبير المتخلف عن موهبة علمية ممثلة في حافظة قوية ومدونات كثيرة أخرجت كتابه " زهر الآداب " هذا الكتاب الذي عرض فيه الأدب المشرقي وبسطه للمغاربة في حلة جليلة تثير الإعجاب .

ولا نجد رغم ذلك من النقاد المؤرخين الذين اطروا مواهب الحصري الشخصية غير ما وصفه به الضبي (... – 599 هـ) بأنه من أهل الذكاء [4]

غير أن الشاذلي بو يحي يشير الي موهبته بالقول " على أن أعماله لها اثر قاطع في موهبته الممكنة بانسجام لأعمال ابن بلده " الذي مات سنة 405 هـ -1014 م (5) ولا شك أن التصدي لمعرفة ينابيع ثقافة الحصري ، ومراحل حياته عموما ، ترتبط بمعرفة شيوخة الذين اخذ عنهم ، وكذا مريديه و تلامذته الذين اخذوا عنه – وتلمسوا طريقة .

---

(1)- الشاذلي بو يحي – الحياة الادبية في افريقة تحت حكم الزيردين ص 20 / 21

(2)- عمر فروح – تاريخ الادب العربي – الادب في المغرب والاندلس الي اخر عصر ملوك الطوائف ص 375

(3) – المرجع نفسه ص 375

(4) - الضبي – بغية الملتمس ص 299

(5) الشاذلي بويحي – الحياة الادبية في افريقية تحت حكم الزيريين ص24

لكن المتتبع لهذه الرحلة يرى ان الحصري لم يشر إلي مشايخه في تضاعيف كتبه ، بل انك تجده يروي عن علماء و أدباء لم يعاصرهم ، ولذلك فهو يروي بالإسناد – فيقول " قال ابو القاسم عبد الرحمن " حدثنا يوسف بن يعقوب قال اخبرني جدي قراءة علىه عن ابي داود عن محمد بن عبد الله عن ابي اسحاق عن البراء يرفعه إلى النبي – صلي الله علىه وسلم – قال : " ان من البيان لسحرا " [1]

ولكنك تجده ينقل عن مشارقة مشهورين كقوله عن الثعالبي " فكل ما مر أو يمر من ذكر ألفاظ أهل العصر فمن كتابه نقلت وعلىه عولت " [2]

- لا شك أن الحصري كان عصاميا في ثقافته ، و في وصقل موهبته الفكرية ولذلك فهو يصدر عما نهل منه من آداب المشارقة وعلومهم اللغوية ذلك انه لا يفتا - يتحدث عنهم ولا يذكر شيئا عمن اخذ عنهم مشافهة من شيوخه ....

بيد أن حسن حسني عبد الوهاب ابدى رايا عاما عندما قال أن الحصري لقي من اللغويين و الادباء أعلاما أخذ منهم [3] و لكن حسن حسني عبد الوهاب لم يسم أي منهم في مقالته , غير أنه مما لا جدال فيه أن للحصري أثر هام في تعلىم أهل القيروان وتثقيفهم في نهاية القرن الرابع ، وبداية القرن الخامس ، ذلك انه أي الحصري كان لا يني يعرف تلامذته بإعلام المشارقة و أدبهم على انه لا يحرص كثيرا على التعريف بأدب المغاربة .. ولعل كتابه زهر الآداب خير دليل على ذلك ...

لعل الحصري كان يرى أن المغاربة في حاجة إلى التزود بأدب المشارقة ، لذلك جعل نفسه واسطة بين المشارقة وبين تلامذته فكان منكبا على ذلك بما عرف عن حافظته وجمعه وتدوينه .

---

(1) – الحصري – زهر الاداب ص 38
(2) – الحصري – زهر الاداب – ص 18
(3) - حسن حسني عبد الوهاب – مجلة الثريا العدد 9 ص 4

و أضاف الحصري إلى هذا التعريف بالأدب القديم لتلاميذه التحبيب بأدب المحدثين المشارفة أيضا .

ثم إن الحصري كان له تأثير لا ينكر في تلامذته وبعض مؤلفاتهم الأدبية .

من ذلك تأثيره في ابن شرف صاحب رسالة الانتقاد وعبد العزيز الطارقي احد شعراء الأنموذج [1]

كما ان الحصري اوحى لابن رشيق بـ " الأنموذج " من خلال سعيه هو – أي الحصري للتأليف عن الشعراء .. حيث يرى الأستاذ عبد الرحمن ياغي ." أن اثر الحصري في ابن رشيق يغلب عليها اتجاه التأليف" (2)

ولا يبعد أن يكون ابن رشيق كما يقول الأستاذ محمد بن سعد الشويعر : " استقى معلوماته في الانموذج من شيخه الحصري " (3)

ونتلمس أيضا رد ابن شرف على أن ابن رشيق قد سطا على آراء أستاذه عبد الكريم النهشلي مما حدا بابن رشيق إلى تأليف " قراضة الذهب " دفاعا عن نفسه .

وعلى العموم فان الحصري الأثر الواضح على تلاميذته فهذا الدكتور عبد الرحمن ياغي يقول : " إن للحصري الأثر الواضح في ابن رشيق فليس من شك في ان ابن رشيق كان يشهد مجالسه التي كانت تقوم في القيروان ، وكا يفد عليه الشباب وليس من شك في انه كان يتتبع أخبار ما لم يتح له حضوره من مجالس ، ودليلنا على ذلك اتصاله بالحصري حين بلغه عزمه على أن يعمل طبقات الشعراء " (4)

لا شك أن الحصري بثقافته الواسعة وحافظته القوية اثري المكتبة الأدبية بحصيلة جيدة من المؤلفات على الرغم من أن كثير من المؤرخين شك في نسبة

---

(1) الشاذلي بو يحي – الحياة الادبية في افريقية تحكم حكم الزائريين ص 23 و ص105

(2) عبد الرحمن ياغي – حياة القيروان ص 163

(3) محمد بن سعد الشويعر – الحصري وكتابه زهر الاداب ض 80

(4) – عبد الرحمن ياغي – حياة القيروان ض 153

بعض المؤلفات و ألحقها بالحصري الضرير وكان ذلك ناتجا عن اختلاط الأمر عليهم بخصوص الحصريين أي أبي إسحاق الحصري و أبو الحسن الحصري الضرير – غير إن ما تم تأكيده من مؤلفاته هي :

أ – زهر الآداب وثمر الألباب

ب- نور الطرف ونور الظرف – ذكره ابن رشيق وذكر السنوسي انه يسمى كتاب النورين (3) ، غير إن ياقوت الحمري اعتبره اختصارا لكتاب " زهر الآداب " حيث قال: وهما يتضمنان أخبارا و أشعارا حسانا " (4)

يقول عنه السنوسي في حاشيته على كتاب " شعراء القيروان من انمودج الزمان " انه (أي كتاب النورين " مازال مخطوطا ومنه نسخة في مكتبة الاسكوريال ، ونسخة بمكتبة غوطة ، وكان موجودا منه نسخ في المشرق نقل عنها ياقوت الحموي . (5)

ويرى الأستاذ عبد العزيز البشري إن الحصري اختصر هذا الكتاب من زهر الآداب " كما أن كارل بروكلمان يرى إن هذا الكتاب عبارة عن مختارات شعرية قصيرة ، وان ياقوتا ذكرها في إرشاد الأديب باسم " رسالة النورين " (6)

ج- المصون في سر الهوى المكنون و أول من ذكره ابن رشيق (7)

كما أن ابن خلكان وصفه بأنه مجلد واحد فيه ملح و آداب " (8)

د- الكتاب المطبوع بعنوان : الجواهر في الملح والنوادر ، أول من ذكر هذا الكتاب هو ياقوت الحموي (574-626 هـ) وقد نقل ذلك عن عبد القادر البغدادي صاحب الخزانة " (9) لكن محمد البجاوي أثناء تحقيقه لهذا الكتاب ص " د " حذف كلمة النوادر قال : وكان مقتضى هذا أن يكون اسم الكتاب " جواهر الملح " على أن بروكلمان اعتبره ذيلا "لزهر الآداب "

---

(1) – هو ابو الحسن على بن عبد الغني الفهري القيرواني الضرير ولد بالقيروان سنة 420 هـ (1029) عمى في طفولته ، نبغ في الشعر والترسل ، على ان شهرته كانت في شعره... اشتهر خاصة بقصيدته : ياليل ** متى غده ! توفي بطنجة على الارجح في سنة 488 هـ (1095) م عمر فروخ الادب في المغرب والاندلس ص 708

(2)- ابن رشيف – القيروان من انموذج الزمان - جمع السنوسي ص 19

(3)- المصدر السابق ص 19 الحامشية

(4)- ياقوت الحصري - معجم الادباء 12 ص 36

(6)- عبد العزيز البشري - ***** لجمع الجواهر ص 8

(7)- كارلبروكلمان – تاريخ الادب العربي - ترجمة رمضان عبد التواب 52 ص 106

(8)- لبن رشيف – شعراء القيروان ص 19

(9)- ابن فلكان – وقيات الاعيان 12 ص 37

جزء مما قيل في طيبات الأغاني ومطربات القيان حيث يقول عنه الحصري في كتابه " جمع الجواهر " كنت كتبت جزءا مما قيل في طيبات الأغاني " ومطريات القيان" (1)
غير أن هذا الكتاب على حد قول كثير من النقاد والمؤرخين لم يعثر له على اثر ولم يشر له في أي مصدر غير هذه الإشارة .
لكن احمد بن عامر يرى أن الحصري اشتهر بولعه بالأغاني و ألف كتابا جمع فيه الأشعار التي تناسب الغناء (2)
كما أن الأستاذ حسني عبد الوهاب يقول " للحصري جملة مصنفات أدبية بديعة النسج من ضمنها كتاب جمع فيه الأشعار التي تناسب الغناء ضاع مع جملة ما تلف من تأليف الإفريقيين في عصر فيض حضارة القيروان قبل زحفة الهلاليين " (3)
5- تأليف عن طبقات الشعراء : يبدو أن الحصري بدأ بتأليف هذا الكتاب و أراد أن يجعله على غرار طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي لكنه لسبب ما عدل عن تأليفه ، غير أن تلميذه ابن رشيق يقول " قد كان اخذ في عمل طبقات الشعراء على ترتيب الأسنان ، وكنت اصغر القوم سنا فصنعت :

رفقا أبا إسحاق بالعالـــــــم حصلت في أضيق من خاتم
لو كان فضل السبق مندوحة فضل إبليس علـــــى ادم

فلما بلغه البيتان امسك عنه واعتذر منه ، وسد عليه باب الفكرة ولم يصنع شيا . (4)
يحيلنا قول ابن رشيق هذا إلي أن الحصري أنجز شيا من هذا الكتاب ثم امسك عن ذلك ويؤيد هذا القول ما ذهب إليه ياقوت الحموي حيث يقول أن الحصري " همّ ان يصنع كتابا يذكر فيه شعراء القيروان وترتيبهم على حسب أعمارهم فبلغ ذلك ابن رشيق " (5)
لكن الأستاذ الشاذلي بويحي يعزو عزوف الحصري عن تتمة مشروعه إلي ضعف شخصيته

---

(1) – الحصري – جمع الجواهر ص 317 تحقيق محمد ****
(2)- احمد بن عامر – الدولة الصنهاجية ص 53
(3)- حسن حسني عبد الوهاب – ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ص22
(4)- ابن رشيف – شعراء القيروان من انموذج الزمان ص 19 ، 20 / ياقوت الحصري - معجم الادباء ص358 ، الصفني – تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ص 117
(5) – ياقوت الحمري – معجم الادباء 12 ص 359

و يذكر ابن خلكان : أن للحصري ديوان شعر [1] ، كما ذكره أيضا ابن السراج [2] هذا ما تم إجماله من مؤلفات الحصري ، غير أن الأستاذ عبد العزيز البشري [3] ينسب إليه كتاب ، المستحسن من الأشعار ، الذي ألفه لابن عباد (431 -488 هـ) [3] لكن الأستاذ محمد بن سعد الشويعر يعتبر هذا الري ضربا من الوهم لان هنا الكتاب هو للحصري الضرير ، ذلك أن أبا إسحاق لم يعاصر ابن عباد ولم يذكر ارتحاله للأندلس " [4]

كما أن بروكلمان ينسب إليه الكتب التالية : المعشرات ، قصيدة في القيروان ، معارضات قصيدة " ليل الصب " وكتاب العجائب والطرف [5]

غير أن هذه القصائد والكتب ينسبها الكثيرون إلى الحصري الضرير و إنما نسبه بروكلمان إلى الحصري أبا إسحاق نظرا لخلطه بين الحصريين .

وفاة الحصري :

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة الحصري حيث يقول تلميذه الحسن بن رشيق : " انه مات بالمنصورة سنة 413 هـ وقد جاوز الأشد " [6]

أما ابن بسام فيقول في ذخيرته : بلغني انه توفي سنة 453 هـ [7]

أما المستشرق مرجليوث فانه يرجح التاريخ الذي أورده ابن بسام ، ويعزو ذلك كون المؤرخين نقلوا رأيين في وفاته سنة 413 هـ آو سنة 453 هـ ، ولكن مرجليوث لا يحبذ الرأي الأول ، لان الحصري كما يرى مرجليوت ألف " زهر الآداب " بعد هذا التاريخ بسبعة وثلاثين عاما ، ومن هنا وجب اعتماد الرأي الثاني الذي يقول بوفاته سنة 453 هـ و إذن فلقد فلقد صار هذا الرأي هو المعتمد عند مرجليوت [8]

ويرى بروكلمان أن الحصري توفي سنة 413 هـ [8] [9]

كما ان محمد زغلول سلام يقول بوفاة الحصري سنة 513 هـ

---

(1) – ه ابن خلكان – وفات الاعيان ج 1 ص 37

(2)- ابن السراج – الخليل *** 12 ص 276

(3)- عبد العزيز البشري – مقدمته لجمع الجواهر ص 8

(4)- ياقوت الحصري - معجم الادباء 12 ص 36

(5) - كارلبروكلمان – تاريخ الادب العربي ص 106 ،52- ترجمة رمضان عبد التواب

(6)- ابن رشيف – شعراء القيروانمن انموذج الزمان – ص 20 جمع الهادي الشويغر

(7)- ابن بسام – الذخيرة في محاسن الجزيرة ص

(8)- مرجيلوت في حامتينة على معجم الادباء لياقوت الحمري 12 ص 358

(9)- كارل بروكلمان – تاريخ الادب العربي ج15 ص 105 ترجمة د / رمضان عبد التواب

ولكن الأستاذ محمد الشويعر يرى أن ابن رشيق توفي سنة 413 هـ : وهو اذ يسوق هذا التاريخ يعتمد على عدة ترجيحات كما يقول هو نفسه [1]

أ – إن الحصري ألف " زهر الآداب " عام 405 هـ ، لا عام 450 كما نص على ذلك الحصري نفسه بزهر الآداب . [2]

ب- قال حسني عبد الوهاب أن سنة 450 هـ التبست بسنة 405 هـ .

ويتبعه الشاذلي بو يحي مؤيدا بقوله : " وما اقرب سنة خمس من سنة خمسين في النطق وفي الخط .. و أمثال هذه الأغلاط كثيرة يألفها من يمارس المخطوطات العربية .[3]

ويستدل الأستاذ الشويعر على بطلان رأي القائلين بوفاة الحصري سنة 453 هـ " ان مدينة المنصورة والقيروان خربتا سنة 449 هـ بأيدي الهلاليين، والمؤرخون مجمعون على أن الحصري مات في المنصورة فكيف تكون وفاته بالمنصورة سنة 453 هـ ، وهي قد خربت ونزح عنها السكان ، ولم يبق بها سوى حثالة قليل من الناس " [4]

<u>أثار الحصري الأدبية</u> :

لا شك إن مؤلفات الحصري كما أوردنا سابقا تدخل في نطاق الكتب الأدبية الدائرة حول الأخبار والنوادر وملح الشعر والنثر على الرغم من كون هذه المؤلفات لا تخلو من اضاءات نقدية .

وعلى هذا نرى إن الحصري كان من طراز هؤلاء الأدباء الإخباريين الذي يصلحون للمنادمة والسمر كونهم يملكون حافظة قوية ومدونات لا يستهان بها من مأثورات الشعر والنثر و الأخبار ، ومعنى ذلك إن الحصري لم يتخصص في جنس أدبي معين ولم يكتب كتابا عن النقد بأتم معنى الكلمة " كطبقات الشعراء " لابن سلام الجمحي مثلا آو " نقد الشعر " لقدامة بن جعفر آو "العمدة " لابن رشيق و إنما هو أديب يأخذ من كل فن بطرف ولذلك يقول عنه الضبي " انه لغوي " [5]

---

(1) – محمد بن سعد الشويعر – الحصري وكتابه زهر الاداب ض 99

(2)- الحصري -- زهر الاداب ض 126

(3)- الشاذلي بو يحي – حوليات الجامعة التونسية العدد 1 ص13

(4)- ينطر مجلة الثريا عدد 9 الستة الاولي ص 5 ومجلة البدر (311/2)

(5) – الضبي – بغية الملتمس ص 209

كما أن ابن رشيق لم يعدد من ثقافته إلا انه شاعر نقاد [1]

يقول عنه الشاذلي بويحي : ترك أبو إسحاق إبراهيم الحصري ، مؤلفات تدل قيمتها الأدبية على صحة ما شهد له به القدماء من التفوق والزعامة , و الأثر البعيد في تيار الأدب العربي بافريقية زمن دولة بني زيري من صنهاجة وان خمد صتيه عند المتأخرين [2]

كما يقول عنه أيضا وهو يعلق على اختيار الحصري في" زهر الآداب " انه يكشف لنا عن مفهومه الخاص لنوع الأدب ، وطرق تعليمه ، مقتنعا بقيمة الأعمال الحديثة ، و أسبقية الجديد ، وترك ما هو معروفا جانبا . [3]

أما الدكتور محمد زغلول سلام فيعتبره من رجال العالم والشعر ، و الأدب بالقيروان المشهورين . [4]

والى هذه الآراء يقول عنه محمد بن سعد الشويعر " انه عالم غير متخصص ، وذلك انك تراه إذا عالج موضوعا فقهيا ، أو أدبيا ، تناوله الإخباريين النقلة ، من الأدباء ، ولهذا لما تعرض لحكم المزاح لم يكن بحثه كالبحث الذي نجده في كتب الفقه ، وشرح الحديث يمحص النقل دراية ، ورواية ، ويرتب الحجج ويرجح بينهما .

ثم يضيف الأستاذ الشويعر قائلا " حتى في الأجناس الأدبية لم يتبلور مذهبه في مؤلف خاص ، آو ضميمة من شتى كتبه تتميز بطابعه الخاص ، كما تبلورت الشخصية المتخصصة عند تلميذه ابن رشيق ، وابن شرف في كتبهما النقدية وعند سابقه عبد الكريم النهشلي [4] .

---

(1) – ابن رشيف – شعراء القيروان من انموذج الزمان – جمع الهادي السنوسي ص 18
(2)- الشاذلي بويحي – حوليات الجامعية التونسية العدد الاول 1964 ص 9 /10
(3)- الشاذلي بو يحي – الحياة الادبية في افريقية تحت حكم الزايريين ص21
(4)- محمد زغلول سلام – تاريخ النقد الادبي ج 2 ص 19
(5) – محمد سعد الشويعر – الحصري وكتابه زهر الاداب ص 109

شعر الحصري ومصادره :

للحصري ديوان شعر ، صنفه الحصري نفسه كما أن العلامة حسني عبد الوهاب جمع شيئا من هذا الشعر في كتابه ديوان الأدب التونسي ، كما أن الدكتور عبد الله فلقيلة ذكر أن العلامة حسني عبد الوهاب جمع شعره في كتاب " المنتخب المدرسي في الأدب التونسي " [1]

ويؤيد هذا الطرح قول آبي طاهر التجيبي الذي يقول فيه : أنشدني إبراهيم الحصري آبا إسحاق رحمه الله لنفسه [2]

لكن بعض الأدباء و المؤرخين كما أوردنا سلفا يخلطون بين الأديبين الحصري الضرير الشاعر صاحب " زهر الآداب " و الحصري الضرير الشاعر صاحب " ياليل الصب متى غده " فينسبون بعض كتب احدهما إلي الآخر .

من هؤلاء المقري (.....- 1041 هـ) ، واحمد أمين حيث أشار احمد أمين إلي أن من المآخذ على أبي إسحاق الحصري انه استجدى ابن عباد في منفاه وكان ابن عباد فقيرا فأخذته أريحية ، وبعث لأبي إسحاق بكل ما معه [3] .

كما أن المقري يذكر هذه القصة وينسبها إلي أبي إسحاق الحصري ويحسبه مؤلف كتاب المستحسن من الأشعار " بينما القصة هي للحصري الضرير ومؤلف الكتاب هو على بن عبد الغني المعروف بالحصري الضرير . [4]

ويورد المقري بيتين من الشعر هما في الأصل للحصري الضرير :

ضاقت بلنسيه بـــــي وذاد عني غموضي
رقص البراغيث فيها على غناء البعـوض [5]

كما بعض المؤرخين ينسبون ديوان اقتراح القريح و اجتراح الجريح لأبي إسحاق الحصري غير أن محمد المرزوقي وزميله اثبتا أن هذا الديوان لأبي إسحاق على بن عبد الغني الحصري الضرير [6]

---

(1) – د. - عبد الله قلقيلة – النقد الادبي في المغرب العربي ص
(2)- شرح ابي الطاهر التجيبي – المختار من شعر بشار ص 98
(3)- احمد امين – ظهر الاسلام ج 3 ص 180
(4)- المقري – نفح الطيب ج 4 ص 246 /247
(6)- عبد العزيز البشري - ***** لجمع الجواهر ص 8
(7)- كارلبروكلمان – تاريخ الادب العربي - ترجمة رمضان عبد التواب 52 ص 106
(8)- لبن رشيف – شعراء القيروان ص 19
(9)- ابن فلكان – وفيات الاعيان 12 ص 37

خصائص شعره واراء النقاد فيه

يبدو أن معظم شعر الحصري يدور حول الغزل غير أن هذه الأشعار جاءت في معظمها عبارة عن مقطوعات قصيرة لا يطول نفسها ...

كما أن شعر الحصري في مجمله يعبر عن خواطر ذاتيه ، تلهج بها دواخله ويجيش بها خاطره ، فالحصري لم يكن من هؤلاء الذين قصدوا بيوت الممدوحين أو طرقوا أبواب الفاطميين و الصنهاجيين ، ولم يتكسب بشعره كما فعل آخرون من أمثال ابن رشيق ، وابن هانئ ، وابن شرف...

ولو أنني عثرت على رأي للدكتور عمر فروخ يقول فيه " كان (أي الحصري) على شيء من الوجاهة في بلده و على الكثير من العلم بالأدب فكان شبان القيروان يجتمعون عنده و يأخذون عنه و يبدو أنه كان يتكسب بالشعر أو يرتزق بتأليفه [1]" ثم يتبع ذالك بقول ابن خلكان و كأنه يستشهد به للتأكيد على رأيه " حتى إنتالت عليه الصلات من الجهات "[2] بيد أن هناك بيتا واحدا مدح به الحصري شخصا مجهولا و ليس هناك ما يؤكذ وجود هذا الشخص من عدمه خيث يقول البيت اليتيم :

أبا بكر إن أصبحت بعض ملوكهم فإن الليالي بعضها ليلة القدر

و من خلال ملاحظتنا لشعر الحصري نجد أنه يغرق في التكلف و يرتاد البديع الذي كلف به فيراه يحرص على الجناس و الطباق كثيرا كما في هذا البيت :

و حبك مالك لحظي و لفظي و إظهاري و إضماري و حسي

و كما في قوله : فلم أقدر على إخفاء حـــال يحول بها الأسى دون التأسي

و نحن نستشف من شعر الحصري احتفاله الشديد بالبيع فهو يتحرى طريقة أبي تمام الذي أغرم به و يسير على مذهبه حيث يقول في هذه الاستعارة التي هي من منهل أبي تمام :

د. عمر فروخ ← تاريخ لادب العربي (الادب في المغرب و الاندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف) ص 375

ابن خلكان ← وفيات الاعيان ج1 ص 54

فيغضي جفون الفكر عنك مهابتـــي و يحبس عن وهم الضمير عناني
و يحجب إغضائي لحاظ خواطري و يخرس عن ذكراك نطق لساني

و قد تهب عليه أحيانا نفحة فلسفية فيلهج قائلا :

أقصى نهاية علمي فيه معرفـــتي بالعجز مني عن إدراك معرفتــه

و لا يغرم الحصري بأبي تمام وحده بل نراه أحيانا يترشم خطى ابن المعتز حاشرا الصور الحسية حيث يقول :

و معذرين كأن بنت خدودهـــم أقلام مسك تستمـــد خلوقـــا
قرنو البنفسج بالشقيق و نظموا فوق الزمرد لؤلؤا و عقيقـــــا

إن الشعر الحصري في معظمه يدور حول الغزل و الوصف و لا يخلو من بعض التأملات الفلسفية و هو إن لم يكن من فحول الشعراء إلا أنه لا يغبن و يحط من حابنه في مضمار الشعر حيث يقول الدكتور محمد بن سعد الشويعر : [1] " و على كل لا نستطيع أن نضع الحصري في مرتبة الشعراء المجيدين فهو وسط بين الضعف و الفحولة ذلك لأنه لا ينطق عن عفوية بدليل قصر نفسه الشعري إذ هو لا يتعدى المقطوعات إلى القصائد فمقطوعاته لا تزيد عن البيتين إلى الثلاثة إلى العشرة ..

و مع قصر نفسه نجده يكرر القافية في المقطوعة القصيرة و هذا شيء يسميه النقاد الإبطاء [2] و هو من عيوب القافية "

لكن ابن الأثير يجعل الحصري من طبقة شعراء الخريدة الذينمنهم القاضي الارجاني (540 – 544هـ) و ابن سناد الملك (545 – 608 هـ) و الحيص بيص (592 – 574هـ) و عمارة اليمني (.....- 569 هـ) [3]

كما أن الصفدي يكتفي بقوله " الشاعر المشهور " [4]

و يورد ابن بسام ثناءا حسنا لابن فضل الله العمري (700 – 749 هـ) يمدح به الحصري حيث يقول " و أشعاره أندى من نسيم الأسحار و أذكى في شميم الأزهار, و قد خرجت من كلامه ما لا ينكر فضله و لا ينشئ مثله إلا مثله "[5]

محمد بن هدى الشويعي ← الحصري و كتابه زهر الاداب ص 128
ابن رشيف ← العمدة ص 169
محمد زغلول سلام ← تاريخ الادب العربي ص 306
الصفدي الوافي بالوفيات ج6 / ص 61
ابن بسام ←الذخيرة في محاسن الجزيرة ص 55

و يقول عنه الدكتور زكي مبارك " إن الحصري من الكتاب الذين غلب عليهم النثر و كان له مع ذلك شعر جيد " و أضاف " إنه مقل في شعره " [2] أما حسني عبد الوهاب فيرى أنه من الشعراء المجيدين لولا ما يتكلفه في نظمه حسبما أشار ابن رشيق [3]

أما بروكلمان فيرى " أن الحصري يعتبر كأول واحد من شعراء شمال افريقية و صقلية " [4]

و نورد هنا رأي الأستاذ الشاذلي بويحي حيث يقول عن الحصري " إننا لا نملك سوى بضعة أبيات قدرها خمسين بيتا في الوصف و الغزل حيث الوصف البسيط المعتدل في تقليد أبي تمام إلا أنها لا تخفي كلية قريحة حقيقية و حساسية مرهفة كما أن شهرته تعتمد على إنتاجه في الأدب المحفوظ له و المتمثل في مؤلفاته " [5]

غير أنه يبدو أن للحصري أشعار جيدة لا شك أنها ضاعت في جملة ما ضاع من مؤلفاته و لو لا ذلك لما وضعه ابن الأثير مع طبقات شعراء الخريدة و قد كان هؤلاء أغزر شعرا و أسلس عبارة و أطول نفسا "

1- زكي مبارك ← النثر الفني ص 29
2- حسين حسني عبد الوهاب ← مجلة الثرية التونسية / العدد التاسع ← السنة الأولى ص 4
3- كارل بروكلمان ← تاريخه الأدب العربي ← ترجمت الدكتور رمضان عبد التواب ج 5 ص 105
4- الشادلي بويحي ← الحياة الأدبية في افريقية تحت حكم الزيرين ص 20

نثر الحصري و خصائصه

إن النثر الذي وصل إلى أيدي المؤرخين و النقاد قليل إذا استثنينا كتب الحصري المطبوعة و هي كتاب " زهر الآداب و ثمر الألباب " و كتاب " جمع الجواهر " و كتاب " المصون في سر الهوى المكنون " و هو مخطوط..... و لا يمكن أن تكون هذه الكتب إنشائية الطابع من نثر مؤلفها و إنما هي نقول من هنا و هناك كما هي عادة الطابع الأدبي في القرن الرابع حيث الأخذ من كل فن بطرف.

و لذلك فنثر الحصري النابع من بنات أفكاره قليل مقارنة مع الوارد في تضاعيف كتبه من نقول مختلفة فلا نكاد نعثر على نثره الخاص إلا في بعض السطور في المقدمة و الخاتمة و بعض الشذرات بين حنايا الكتاب إلا أن الأمر يختلف في كتابه " المصون في سر الهوى المكنون " حسب الدكتور محمد بن سعد الشويعر الذي يرى " أن كتابه المصون مع صغر حجمه بالنسبة لكتابيه السابقين أكثر كتب الحصري استيعابا لنثره لأنه جعله حوارا بين عاشقين يتكرر كثيرا في ثنايا الكتب "[1]

آراء في النتر الحصري :

لعل مكانة الحصري الأدبية جاءت كونه كان من الأوائل الذين أغنوا الخزانة المغربية بمآثر المشارقة و مؤلفاتهم وفتح أعينهم على كثير من القضايا الأدبية و النقدية لا بل إن كتابه زهر الآداب مثلا يعتبر موسوعة أخذ فيها من كل فن بطرف .

و أول من يطالعنا برأيه حول مكانه الحصري الأدبية هو تلميذه ابن رشيق الذي يقول عنه : كان شاعرا نقادا عالما بتنزيل الكلام و تفصيل النظام يحب المجانسة و المطابقة و يرغب في الاستعارة تشبها بأبي تمام في أشعاره

1- محمد بن هذى الشوهر ← الحصري و كتابه زهر الأدب ص 133

و تتبعا لأثاره ، و عنده من الطبع ما لو أرسله على سجيته لجرى مجرى الماء و رق رقة الهواء و سارت تأليفه و انهالت عليه الصلات من الجهات " [1] و يؤكد ابن فضل الله العمري مقولة ابن رشيق السابقة و يزيد على الحصري ثناء فهو ينقل لنا رأي ابن بسام في ذخيرته حيث يقول ابن فضل الله العمري " أن الحصري منبع لا يغيض ، و جدول يأبى أن يفيض ، رقيق الحاشية دقيق المعاني " [2]

أما ابن السراج فاعتبره من أدباء القيروان و بلغائها أثناء تحدثه عنه [3] كما يطالعنا الدكتور زكي مبارك و هو الذي خالط الحصري أدبيا برأيه عن نثر الحصري حيث يقول " أما نثر الحصري فمستملح ، و يغلب فيه السجع المقبول الخالص من شوائب الصنعة و التكلف ، و السجع في الأصل حلية و زينة و إنما يعاب عند الغلق و الإغلاق [4]

كما أن الدكتور زكي مبارك يلحق الحصري ببديع الزمان الهمزاني و الخوارزمي و الثعالبي (350 – 429 هـ) و الصابي (313 – 384 هـ) و الميكالي (..... – 436 هـ) في طريقة السجع [5]

و لكن الدكتور زكي مبارك يأخذ على الحصري تحفظه الأخلاقي الذي جعله يحجم عن كثير من المأثورات الشعرية على وجه الخصوص حيث يقول " إن حرص الحصري على الأخلاق ضيع علينا ما أعرض عنه من الآثار الأدبية و كنا في حاجة إلى أن نعرف كل ما ترك الأولون " [6] كما يقول عنه عوستاف فون غرنباوم "[7] الحصري مثلا لمن يشجعون الاستطراد من كتاب العرب في القرون الوسطى و قرنه بالجاحظ و أبي الفرج الاصبهاني (284 – 356 هـ) في هذه الظاهرة .

1- ابن رشيف ← شعراء القيروان فن أنموذج الزمان ← جمع الهادي السنوي ص 18
2- ابن فضل الله العمري ← مسالك الأبصار 72 رقم 17 نقلا عن اين بسام في ذخيرته
3- ابن السراج ← الخلل السندسية في الأخبار التونسية ← تحقيق محمد الحبيب الهيلة ج1 ص 276
4- زكي مبارك ← مقدمة زهر الاداب ص1 ب
5- زكي مبارك ← النثر الفني ج 1 ص 137
6- زكي مبارك ← مقدم زهرة الآداب ج 1 ص 14 من التقديم
7- تموصتاف فوق غرنباوم ← دراسات في الادب العربي ← ترجمة الدطتور احنا عباس ص 31

و يرى الشادلي بويحي أن الحصري كان أديبا رفيعا صاحب ثقافة واسعة في الأدب و أنه هدف في كتبه إلى النصوص القصيرة ليسهل حفظها و يترسم خطى الجاحظ بالانتقال من الشعر إلى النثر كما يرى أن الحصري قد ترك في الانطلاقة الأدبية في المغرب الإسلامي فن القرن الخامس إلى الحادي عشرة " [1] كما أن الكثير من النقاد و المؤرخين يعتبرون الحصري أقدم من أدخل المقامة إلى المغرب العربي و لذلك فنحن نجد بين كتاب " زهرة الآداب " عددا كبيرا من هذه المقامات .

و لقد سجل الحصري في كتابه أسبقية ابن دريد (828 – 321 هـ) كرائد لفن المقامة بشكها البدائي على حساب اعتقاد الكثيرين كون بديع الزمان الهمذاني هو الأسبق فالهمذاني ما هو إلا تابع لابن دريد حسبما قرره الحصري و نجد هذا التقرير واردا في زهر الآداب [2]

و لو أن هذا الرأي يخضع للمناقشة و الاختلاف من طرف النقاد إلا أن ذلك يطلعنا على سعة ثقافة الحصري من جهة و إسهاماته الأدبية و النقدية لكن الشيء الذي يلفت النظر هو إيحاء الحصري لبعض الكتاب و النقاد بعمل مؤلفات لهم مستوحاة من بنات أفكار الحصري , فلقد رأينا كيف عمل تلميذه ابن رشيق " النموذج " بناءا على شروع الحصري في العمل الخاص بطبقات الشعراء ، ثم تحايل ابن رشيق عليه حتى تخلص له الفكرة فيؤلف عنها , و قد كان له ذلك بعد نكوص الحصري عن هذا الأمر و لو أن ابن رشيق راح يدحض فكرة السرقة عن نفسه عندما عمل " قراضة الذهب في نقد أشعار العرب " إلا أن تأثير الحصري كان أبعد من ذلك حيث يعتقد أن ابن حزم عمل " طوق الحمامة في الألفة و الإيلاف" متأثر في ذلك بكتاب الحصري " المصون في سر الهوى المكنون "

1- الشاذلي بويحي ← الحياة الادبية في إفريقية تحت الزير بين ص 24/20
2- الحصري ← زهر الادب ج1 ص 261

و لقد نعلم أن كتاب " طوف الحمامة " من الكتب ذائعة الصيت المؤلفة عن الحب و العشق ، غير أن الدكتور الشاذلي بويحي يعتبر أول منت لفت النظرة إلى المقارنة بين المصون " و طوق الحمامة " حيث أشار إلى أن في المصون مشابهة لطوق الحمامة .

ويرى الدكتور محمد الشويعر أن ابن حزام تأثر الحصري تأليف طوق الحمامة من عدة أوجه حيث يرى أن ابن حزم يكون زار القيروان [1] و لا أدل على ذلك من قول ابن حزم نفسه في طوق الحمامة " لقد سألني أبو عبد الله محمد بن كليب من أهل القيروان أيام كوني في المدينة .... [2] .

و هذا التأثير إن صح فلا يقلل من شأن ا بن حزم و إنما يبرز أيضا المكانة الواسعة التي يتمتع بها الحصري و كذا سعة إطلاعه و غزارة حافظته و ثقافته الأدبية .

كتاب زهر الآداب :

لعل شهرة الحصري تأتي من كتابه " زهر الآداب " و لقد سبق أن أثرنا موضوع الاختلاف بين الحصريين عند بعض المؤرخين حيث أن بعضهم نسب الكتاب إلى على بن عبد الغني الحصري الشاعر الضرير و قد سقط في هذا الخلط برو كلمان و آخرون... غير أن المؤكد أن الحصري أبا إسحاق هو مؤلف " زهرة الكتاب " حيث نص الحصري أبا إسحاق في مقدمته للكتاب صراحة بقوله " فمهما تره من ذلك في هذا الاختيار فلا تعرض عنه بطرق الإنكار ، و ما أقل ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب الموسوم " بزهر الآداب و ثمر الألباب " وهذا كاف لنصحي الخلط و الالتباس ثم يتكلم الحصري عن السبب الذي دعاه إلى تأليف كتابه " زهرة الأدب " حيث يقول " و كان السبب الذي دعاني إلى تأليفه و ندبني إلى تصنيفه ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان- أطال الله مدته و أدام نعمته في الأدب ،

1- محمد بن هذى الشويعي ← الحصري و كتابه زهرة الأدب ص 199
2- ابن حزم ← طوق الحمامة ص 73
3- الحصري ← زهرة الأدب و ثمر الألباب ص 5

و إنفاق عمره في الطلب و ماله في الكتب ، إن اجتهاده في دلك حمله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها ، و أغمض في طلبها ، باذلا في ذلك ماله ، مستعذبا فيها تعبه إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره و فصحاء دهره ، طرائف طريفة ، و غرائب غريبة ، و سألني أن أجمع من مختارها كتابا يكتفي به عن جملتها ، و أضيف إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه ، و قارنه ، و شابهه ، و ماثله ، فسارعت إلى مراده ، و أعنته على اجتهاده و ألفت له هذا الكتاب ."

ثم أضاف " ليس لي في تأليفه من الافتخار أكثر من حسن الاختيار" [1] يقول الأستاذ حسني عبد الوهاب عن زهر الآدب " إن الحصري جمعه بطلب من أحد رؤساء الكتاب بالقيروان ، يسمى أبا الفضل العباس بن سليمان و كان من كبار الأدباء و لم نعثر له على ترجمة " [2]

و يرى الدكتور زكي مبارك أن الحصري ألف زهر الآداب قبل وفاته بأكثر من عشرين عاما [3]

إننا نستطيع أن نستكشف من خلال مطالعتنا للكتاب " المنهج الذي سار عليه الحصري في تأليف زهر الآداب إذ يورد الحصري نفسه نصا يخلص فيه نزوعه إلى التنويع الأدبي حيث يقول " و قد نزعت فيما جمعت عن ترتيب البيوت و عن إبعاد الشكل عن شكله ، و إفراد الشيء من ، مثله فجعلت بعضه مسلسلا ، و تركت بعضه مرسلا ، و قد يعز المعنى ، فألحق الشكل بنظائره ، و أعلق الأول بآخره ، و تبقى منه بقية أفرقها في سائره " [4] و يمتدح الحصري تأليفاته بهذين البيتين :

فرقت في التأليف معتمدا ما كان لو قد شئت يأتلف
و العقد ما اختلفت جواهره إلا ليشرف حين يختلف [5]

1- أبو اسحاق الحصري ← زهرة الادب و ثمرة الالباب ج 1 ص 5
2- حسن حسني عبد الوهاب ← مجلة الثريا عدد 9 ص 5
3- د – زكي مبارك ← مقمة زهرة الادب ص 10
4- الحصري ← زهرة الادب (المقدم)
5- الحصري ← جمع الجواهر ص 7 تحقيق محمد البجاوي

و على هذا الأساس فنحن نرى أن الكتاب يأتي ثارتا مرتب الموضوعات منظمها و ثارتا لا يلتزم هذا التنظيم ، و يعتقد أن هذا النظام يسير وفق منهج حدده الحصري لنفسه :

.

أ – حيث كان يروم إبعاد الشكل عن شكله متوخيا عدم الترتيب بغية التنويع الجاذب للقارئ و قد عبر الحصري عن ذلك بنفسه :

" و في التفريق لذاذة الإمتاع , إذا كان الخروج من جد إلى هزل و من حرن إلى سهل أتقى للكلكل , و أبعد للملل " [1]

ب – كان الحصري أحيانا ينزع إلى التنظيم و الترتيب ملحقا التشكل بنظائره بقوله :

" و تظهر في التجميع إفادة الاجتماع " [2]

و يبغي الحصري كذلك زيادة على التنويع الرغبة في التقصي النادر و هو يعبر عن ذلك بقوله " و قد رغبت في التجافي عن المشهور في جميع المذكور لأن أول ما يقرع الآذان أدعى إلى الاستحسان ، مما مجته النفوس بتكراره ، و لفظه العقول لكثر استمراره، فلم أعرض إلا عما أهانه الاستعمال ، و أذاله الابتذال "[3] كما أن الحصري يلجأ إلى الاعتذار في حالة ما إذا قصر حسن الاختيار عن المقصود من عمل الاختيار المؤسس عليه زهر الآداب حيث يقول " و لعل في كثير مما تركت ما هو أجود من قليل مما أدركت ، إذا كان إقتصارا من كل على بعض ، و من فيض على برض ، و لكنني اجتهدت في اختيار ما قصدت ، و قد تدخل اللفظة في شفاعة اللفظات ، و يمر البيت في خلال الأبيات ، و تعرض الحكاية في عرض الحكايات ، يتم بها المعنى المراد ، و ليست مما يستجاد و يبعث عليها فرط الضرورة إليها " [4] يختتم الحصري مقدمته برغبته إفتتاح الكتاب " بغرر التحاميد و أوصافها " و هو إنما فعل ذلك تيمنا و تبركا كما أنه يعطينا فكرة عن استطراداته الطويلة ،

1- الحصري ← زهرة الادب ص
2- نفس المرجع السابق ص
3- نفس المرجع السابق ص
4- نفس المرجع السابق

إذ أنه يعود للمقدمة لإيضاح بقية منهجه

كما أن الحصري يعتز برصيده الأدبي حيث يلمح إلى أن ما تركه أفضل مما أورده رغم إيمانه في مقدمته أن الوارد في الكتاب حسن الاختيار .

و قد تمن هذا الاعتزاز بقوله " وذلك أني ما أدعيت فيما أتيت إلا ما يكون ما تركته أفضل مما أدركته ، و لم أسلك مذهبا مخترعا لم يسبق إليه و لا قصدت غرضا مبتدعا لم يغلب عليه ، و من ركب مطية الاعتذار و اجتنب خطية الاجترار فقد خرج من تبعة التقصير ، و برئ من عهدة المعاذير " [1]

لقد بدأ الحصري من خلال منهجه محكوما بحاسة دينية تأبى عليه الاحتفال "بالعلمانية" و المجون سفاسف الأمور و هو يؤرخ لعمله الأدبي ، و قد يغير النص تحاشيا لذلك و لو أنه أحيانا يسقط في ما أراد الابتعاد عن الخوض فيه .

و لا يعنى الحصري بتوثيق النص ذلك أن الغرض فيما يبدو هو المتعة الدالة كما أنه لا يميز كلامه عن كلام الآخر بالأقواس مثلا أو علامة انتهى .. و يغلب على المؤلف الاستطراد ، متحريا المناسبات الجارة إلى هذا الاستطراد ... كما أن الحصري يحتفل كثيرا بالبديع و لهذا نجده يكثر من ايراد نثر بديع الزمان الهمداني و أشعار مسلم بن الوليد صريع الغواني ، و أبو تمام إضافة إلى ابن المعتز و أبي الفتح البستي .. و يعني كذلك بالوصف موردا منتخبات من أشعار مما عرفوا بالوصف أمثال ابن الرومي و ابن المعتز و كشاجم و غيرهم ... كما أن الحصري يتحاشى حوشي الشعر و غريبه ، و لعله سبب قلة إيراده الشعر الجاهلي المليء بالغريب .

و نجد الحصري يتبع الفكاهة و يأخذ الأقوال الحكيمة و الأمثال و النوادر كما أنه يكثر أحيانا من الاستشهاد بالنصوص معززا الموضوع المثار

1- الحصري ← زهرة الادب (المقدمة) ص

مصادر الكتاب :

إن كتاب زهر الآداب هو محصلة حافظة قوية وسعة إطلاع واسع و اختيار حسن و سجل رائع لأدباء المشارقة توسل به الحصري لإطلاع المغرب بهذا الأدب المشرقي الجم و الحصري نفسه يقرر في مقدمته لكتاب " زهر الآداب " على أن أبا الفضل العباس بن سليمان ارتحل إلى المشرق و أورد من كلام بلغاء عصره طرائف طريفة ، و سأله أن يجمع له من مختارها كتابا يكتفي به عن جملتها على أن يضيف الحصري إلى ما اختاره من مجموع أبي الفضل شيئا من كلام المتقدمين يقاربه و يقارنه [1] .

يبدو أن أبا العباس أعان الحصري على جمع مادة الكتاب من معاصرية المشارقة أثناء رحلته المشرقية علاوة على كلام المتقدمين التي استند إليها الحصري ، و كان دور الحصري في ذلك الاختيار [2] حيث صرح الحصري بذلك قائلا " و ليس في تأليفه من الافتخار أكثر من حسن الاختيار " و نعتقد أن الحصري عول كثيرا في مصادره التي استند إليها على الثعالبي يدلنا ذلك قوله " فكل ما مر أو يمر من ذكر ألفاظ أهل الحصري فمن كتابة نقلت و عليه عولت " ذاكرا من هذه الكتب على وجه التحديد " كتاب سحر البلاغة " [3] .

و أثناء تتبعنا للكتاب ألفينا الحصري يعتمد على عدد من المصنفين أمثال الاصمعي و الجاحظ ، و الزبير بن بكار ، و ابن قتيبة ، و المبرد ، و ابن دريد ... غير أنه لا يشير إلى أسماء الكتب التي أخذ عنها ، غير أن الحصري يصرح في بعض المواطن بالنقل عن البيان و التبيين [4] للجاحظ ، و سحر البلاغة للثعالبي ، [5] وفقه اللغة للثعالبي .

كما أننا نستشف أسماء بعض الكتب التي نقل عنها و إن لم يصرح بها كـ" أخبار أبي تمام للصولي , و طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، و نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، و الشعر و الشعراء لابن قتيلة ، و إعجاز القرآن للرماني ، و مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصبهاني....

1- الحصري ← زهرة الادب ص
2- نفس المصدر السابق ص 127
3- نفس المصدر السابق ص 128
4- نفس المصدر السابق ص 44
5- نفس المصدر السابق ص 127

كما أن هناك قسم لم يصرح فيه الحصري بالنقل عن مصدر معين ، كما أن الأستاذ محمد البجاوي يورد طائفة من المصادر التي اعتمدها الحصري دون أن يصرح بها و ذلك انطلاقا من أن هذه المصادر تحتوي نفس الصيغة التي أوردها الحصري في زهر الآداب .

و على ذلك يمكن أن ندرج ضمن هذه المصادر كتب الجاحظ و الثعالبي و بديع الزمان الهمذاني ، و مجالس تعلب ، و كتب النقد الأدبي ككتب ابن قتيبة ، و قدامة بن جعفر ، و الناشئ و الحاتمي و الصولي ..

كما نجد الحصري في مؤلفه هذا يمر بأسماء : أبي عبيدة معمر المثنى (110-209هـ)و ابن المرزبان (.....- 420هـ) و ابن طباطا (.....- 322هـ) و الصاحب بن عباد و الحسن بن وهب (.....- 250هـ) و سليمان بن وهب (.....-272هـ) فينقل عنهم ما يستحسنه .

إن المكانة الأدبية لأي منجز أدبي و علمي تقاس و لاشك بآراء النقاد و نظرتهم إليه و إبراز قيمته .

و نحن نحسب أن زهر الآداب قد لاقى أهمية كبيرة لدى الأوساط الأدبية و قد تلقفه الأدباء و النقاد بالتقريض و المناقشة مما جعله ذا قيمة معتبرة و لعل من الأنسب أن نورد آراء طائفة من هؤلاء الكتاب و الأدباء و النقدة في " زهر الآداب " .

فهناك تلميذ الحصري المقرب من ابن رشيق يقول عن " زهر الآداب " أنه تأليف جيد في ملح الشعر و الخبر , صنعه بالقيروان و جمع فيه أخبار أهل المشرق و وقائعهم, أراد بذلك الإعجاز " و هذا ابن خلكان يقول " إن الحصري جمع في زهر الآداب كل غريبة " [2]

1- ابن رشيف ← شعراء القيروان من أنموذج الزمان ← جمع الهادي ص 19

2- ابن خلكان ← وفيات الاعيان ج1 ص 38

و اعتبره الصفدي في كتابه " جنان الجناس " من أمهات كتب الآداب [1] ، و يقول عنه ابن فضل الله العمري " و لو لا أن الحصري يشغل أكثر أجزائه بكلام أهل العصر دون كلام العرب ، لكان كتاب الأدب [2] .

و يلاحظ ابن فضل الله العمري صاحب " مسالك الأبصار " أن الحصري بكتابه زهر الآداب قد عارض الجاحظ [3] .

و يعتبره أحمد الحلبي صاحب " الطراز " من كتب اللغة و الأدب كما يعتبره من مقدمة مراجعه [4]

و مما زاد من قيمة " زهر الآداب " أنه محل اهتمام الدارسين و كانوا يقرؤونه على مشايخهم .

فأبو العباس الغبريني (644 – 714هـ) يقرأ منه و من الأمالي على شيخه التميمي القلعي (.....-673هـ) [5] و لم يكن الامر مقصورا على اهتمام القدامي أو المحدثين منهم بل ان الاهتمام بزهر الآداب لم ينقطع في العصر الحديث فلقد أشاد به الكثير من الكتاب و النقاد و صنفوه من بين الكتب الهامة في التراث العربي .

يقول الشيخ محمد النيفر (1276 – 1330 هـ) " إن المتأدب لو أقتصر على زهر الآداب لكفاه من حفظ الجيد من النثر و النظم لاكتساب ملكة الأدب ، و أغناه عن جميع التآليف في ذلك الغرض "[6] .

أما الشيخ عبد العزيز البشري فيقول في مقدمته لجمع الجواهر " نسج الحصري كتابه " زهرة الادب " على طريقة الجاحظ في البيان و التبيين و أبى على القالي في كتابه " النوادر" و يظهر أنها طريقة للمتقدمين فقد حكى لنا المقري في " نفح الطيب " عند ذكر

1- عن تاريخ الادب العربي للدكتور محمد غلول سلام ج 2 ص 306
2- عبد الرحمن باغي ← حياة القيروان ص 153/151
3- نفس المرجع السابق ص 152
4- عن تاريخ الادب العربي للدكتور محمد غلول صلام ج 2 ص 277
5- عنواية الدراية ← الغبريني ص 69
6- محمد النيفر ← عنوان الاديب ص 43 ص 44

" سراج الأدب " لأبي عبد الله بن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الأندلس قال "صنعه على " منزع النوادر لأبي على ، و زهر الآداب للحصري .[1]

و نجد العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب يشيد بالكتاب و يقول عنه إن زهر الآداب من أمتع الكتب الأدبية المعروفة صنعه على نحو البيان و التبيين للجاحظ ، و النوادر لأبي على القالي "[2]

ولقد حقق الدكتور زكي مبارك كتاب زهر الآداب و ارتبط به روحا و معنى لدرجة أن النثر الذي سلكه الحصري في مؤلفه أوحى لزكي مبارك كتابة " النثر الفني " كما يعترف هو بذلك ، و قد اعتبر زكي مبارك الحصري أول من كشف عن بدء فن المقامة عند بني دريد [3]

و يقول عنه الأستاذ أحمد أمين إنه يدل على ذوق في الأدب رقيق و إطلاع واسع على ما أنتجه الأدباء من الجمل الروائع ، و الرسائل البليغة "[4]

و لقد قارن الدكتور عبد الرحمن ياغي زهر الآداب بـ " العمدة لابن رشيق (.....-456 هـ) " حيث يرى أن التلميذ بز أستاذه عندما قال " ولعل زهر الآداب للحصري إذا وضع إلى جانب العمدة أن يبز ابن رشيق و فتنته بالتبويب ، و ميله إلى الترتيب ، و عنايته بالتنظيم ، و التزامه لمنهج البحث " [5]

و اعتبره أربو القاسم كرو و عبد الله شريط من أضخم المصادر لتاريخ الأدب العربي كما اعتبراه من كتب النقد [6]

كما أن الأستاذ عبد العزيز قلقيلة أهتم به اهتماما كبيرا و ذلك في كتابه " النقد الأدبي في المغرب العربي " و سلكه في عداد كتب النقد [7]

غير أن البعض من المؤرخين و النقاد تجاهلوا الحصري و كتابيه " زهر الآداب " و "جمع الجواهر" تماما على الرغم من مكانة الحصري الأدبية خاصة و أن الحصري

1- عبد العزيز البشري في قصصه لجميع الجواهر ← نفح الطيب للمقري ج 3 ص 184
2- حسن حسني عبد الوهاب العدد 9 ص 5 مجلة الثريا
3- زكي مبارك ← النتر الفني ج 1 ص 244/243
4- أحمد أمين ← ظهر الاسلام ج 1 ص 306
5- عبد الرحمن باغي ← حياة القيروان ص 368
6- أبو القاسم كرو ← عبد الله شريط ← عصر القيروان ص 33
7- عبد العزيز قلعيلة ← النقد الادبي في المغرب العربي ص 136/123

من جهة أحد أعلام مدينة القيروان المشهورين ، حيث يذكر هنا الدكتور إحسان عباس الذي ألم بالنقد في القيروان و هو يؤرخ للنقد الأدبي عند العرب حيث لم يجعل " زهر الآداب " من كتب النقد بل اعتبره من كتب الأدب و لم يتناوله بالدراسة كما فعل مع ابن رشيق ، و النهشلي ، و ابن شرف [1]

و يتجاهل بروكلمان الحصري ، و كتابه زهر الآداب ، و هو يستعرض في الباب السادس أدب السمر و كتب الثقافة العامة ، [2] خاصة و أن الحصري في " زهر الآداب " بالذات لا يخرج عن هذا الاتجاه كما رسم هو شخصيا في منهج كتابه .

كما أن المؤرخ رابح بونار لدى استعراضه لعلماء و أدباء المغرب في كتابه "المغرب العربي تاريخ و ثقافة " تجاهل مكانة الحصري العلمية و الأدبية و لم يشر إليه من طرف خفي حينما تعرض لحكاية عتب ابن رشيق على الحصري و هم يهم بتأليف كتاب عن طبقات الشعراء [3]

و لكننا نجد طائفة أخرى من المؤلفين المعاصرين يهتمون كثيرا بمنتوج الحصري الأدبي و النقدي و يلفتون الانتباه إلى كثير مما جاء في كتاب " زهر الآداب " [4] على وجه الخصوص .

فهذا الدكتور زكي مبارك يرجع اكتشافه اختراع فن المقام لابن دريد لا لبديع الزمان الهمداني ، كما هو سائد و ذلك يرجع إلى نص وجده في " زهر الآداب " و نجد أنيس المقدسي يورد مقتطفات من زهر الآداب للدلالة على أنواع السجع الذي احتذاه كثير من الكتاب في مؤلفه " تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي " [5] و يستند الدكتور عبد المنعم خفاجي على بعض الآراء النقدية التي أوردها الحصري في زهر الآداب مستشهدا بنماذج من الأمثلة التي ساقها الحصري كبراهين على المذاهب الأدبية في العصر العباسي الأول .[6]

كما أن الدكتور عبد العزيز قلقيلة راح يتصيد من زهر الآداب العبارات الداخلة تحت بعض القضايا النقدية موضحا أن شخصية الحصري النقدية و الأدبية تقف إلى جانب كبار النقاد في الغرب العربي .

1- إحسان عباس ← تاريخ النقد الادبي عند العرب ص 389-469
2- كارل برو كلمات ← تاريخ الادب العربي – ترجمة رمضان عبد التواب ج 1 ص92 /150
3- راجع بونار – المغرب العربي تاريخية و ثقافية ص 308
4- زكي مبارك النثر الفني ص 243
5- أنيس المقدسي تطور الاساليب ص 260/252
6- عبد المنعم خفاجي ← الادب العربية ص 78/77

يقول الدكتور محمد بن سعد الشويعر " إن كتاب " زهر الآداب " أتحف أهل القيروان بأدب المشارقة و عرفهم بفن المقامة التي ازدهرت فيها بعد كما نعتبره من مصادر التراث الأصلية التي يرجع إليها الباحثون ". [1]

كما أن الحصري يورد طائفة من الكتب و المصادر التي اعتمدها في تأليف كتابه "زهر الآداب " إذ يقول " و ألفت له أي " أبي الفضل العباس بن سليمان " هذا الكتاب يستغني به عن جميع كتب الآداب إذ كان موشحا من :

- بدائع البدائة (أي بديع الزمان الهمذاني المتوفي سنة 398 هـ)
- لآلئ الميكالي (الأمير أبو الفضل النسابوري المتوفي سنة 436 هـ)
- شهي الخوارزمي (أبو بكر المتوفى سنة 403 هـ)
- شذور (أبي منصور الثعالبي المتوفى سنة 429 هـ)
- نفيس قابوس (ابن و شمجير المتوفى سنة 403 هـ)

بكلام يمتزج بأجزاء النفس لطافة و بالهواء رقة و بالماء عذوبة [2] .

و يعتقد أن الحصري كان يعتمد على مصادر أخرى مفقودة أيضا أمثال " مثالب لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، و كتاب الشعر للناشئ .

و يقول محمد بن صعدا الشويعر " أنه أي زهر الآداب مهم في تخريج النصوص الأدبية لأنه يشتمل على شعر أناس لا توجد دواوينهم كأبي العباس الناشئ ، و على بن محمد الإيادي ، و عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي ، كما أنه يشتمل على زيادات لا توجد في الدواوين و المطبوعات " [3]

و يتصيد الحصري في كتابه " زهر الآداب " النوادر الأدبية و هو مولع بها كقوله :

- أول من فتح الباب في الجمع بين تهنئة و تعزية عبد الله بن همام فولجه الناس. [4]
- و قوله " لا يعلم امرأة ولدت بنت ستين سنة إلا قرشية " [5]
- و قوله " و لا نعرف رجلا مدح من لا يعرف غير أبي خراش " [6]
- و قوله " أما الصولي أول من نادمه المكتفي و اختلط به [7]
- و قوله " لم يل الخلافة أحد أسمه على إلا علي بن أبي طالب و علي بن المعتضد المكتفي" [8]

1- محمد بن صعدا الشويعي ← الحصري و كتابه زهرة الادب ص 227
2- الحرص ← زهرة الادب ج 1 ص 5
3- محمد الشويعي ← الحصري و كتابه زهرة الادب ص 227
4- الحصري : زهرة الادب ج 1 ص 54
5- المرجع نفسه ج 1 ص 89
6- المرجع نفسه ص 106
7- المرجع نفسه ج 2 ص 1065
8- المرجع نفسه ج 2 ص 1065

و يذهب بعض المؤرخين و النقاد إلى أن الحصري اختصر زهر الآداب بعد التأليف الأول حيث أشار الهادي السنوسي في كتابه شعراء القيروان إلى أن الحصري إختصر " زهر الآداب " غير أنه لم يوضح لنا كيفية اختصاره [1]

و يقول حسني عبد الوهاب عن هذا الاختصار " إن الحصري نفسه اختصر كتابه " زهر الآداب " تحت عنوان " نور الطرف " و " نور الظرف " و يسمى أيضا " النورين " و هو كتاب في جزء واحد منه نسخة خطية في مكتبة الإسكوريال بأسبانيا و نسخة بمكتبتي [2]

غير أن الاهتمام الكبير بكتاب " زهر الآداب " دفع الإمام اللغوي أبا الحسن محمد بن بري (730-760 هـ) إلى اختصاره في كتاب أسماء " اقتطاف الزهر و اجتناء الثمر" حيث يقول الدكتور الشويعر " أن هذا الكتاب كان لا يزال مخطوطا بدار الكتب المصرية تحت رقم 687-1942-1414 بخط مغربي و أخذ عنه نسخة أحرى بخط النسخ كتبت في عام 1361 هـ " [3]

و إنما أردنا هنا هذا الكتاب لابن بري لنسوق الاهتمام الكبير بزهر الآداب خاصة و أن المدة الفاصلة بين الحصري و بن بري قرابة ثلاثة قرون ....و لقد أورد الصفدي إشارة أخرى إلى أن جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي (630-701 هـ) صاحب لسان العرب قد شارك في اختصار " زهر الآداب " [4] و هذا يدل على مكانة هذا الكتاب في الأوساط الأدبية و خاصة في المغرب و الأندلس و لازالت مكانته مثار الإعجاب بين أهل الثقافة و الأدب .

1- الهادي السنوسي في تقديم وجمعه لكتاب شعراء القيروان من الموج الزمان (ابن رشيف ص 20
2- حسن حسني عبد الوهاب – مجلة التريا عدد 9 ص 5
3- محمد الشويعي ← الحصري و كتابه زهرة الادب ص 229
4- الفي – الواقي بالوفيات ص 56

القضايا النقدية في زهر الآداب :

إننا إذا تأملنا المقدمة التي قدم بها الحصري كتابه " زهر الآداب " متوخيا السبيل المنهجي الذي يروم سلكه في كتابه لألفيناها خالية من المنحى النقدي الذي يروم الناقد التصدي له فهو يشير إلى أنه ينزع إلى الاختيار و على أن اختيار الرجل قطعة من عقله ... حيث يقول " هو كتاب ينصرف الناظر فيه من نثره إلى شعره ,و مطبوعه إلى مصنوعه و محاورته إلى مفاخرته ، و منا قلته إلى مساجلته ، و خطابه المبهت إلى جوابه المسكت ، و تشبيهاته المصيبة إلى اختراعاته الغربية ، و أوصافه الباهرة إلى أمثال السائرة ، وجده المعجب إلى هزله المطرب ، و جز له الرائع إلى رقيقه البارع " [1]

و على ضوء هذا الكلام للحصري نرى أن مفهوم النقد الأدبي لم يكن قد تبلور بعد في المشهد الأدبي العربي عموما ، و لذلك فإن هذا النقد كان ينصب على دراسة علم البلاغة ، ثم إن النقد الأدبي في العصر القديم تبدى في صورتين :

أ – صورة التقنين الأدبي : يدخل في نطاق علم البلاغة و مهمته التقنين و التقعيد دون التعليق إلا فيما يتعلق بالشواهد البلاغية .

ب – صورة التطبيق : و تعني الدراسة الأدبية حيث الاعتناء ينصب على دراسة النصوص في ضوء القواعد البلاغية و مهمته جمع النصوص و التعليق عليها و لا تهتم بالقواعد إلا نادرا ، و يقل الاعتماد هنا على كتب التراجم للأدباء ، و كتب جمع الأشباه و النظائر ، و كتب الموازنات الشعرية " كالشعر و الشعراء " لابن قتيبة ، و الأشباه و النظائر للخالديين ، و الموازنة للآمدى ، و الوساطة للقاضي الجرجاني ، و زهر الآداب للحصري ....

على أن هناك كتب يغلب عليها التقنين كـ " شروح التلخيص " و " مناهج البلغاء " لحازم القرطاجني (608-684 هـ)

و هناك أيضا كتب دراسة يغلب عليها التقنين كـ " العمدة " لابن رشيق و الموشح للمزرباني .....

1- الحصري ← زهرة الادب ج 1 ص 4

و ما دمنا قلنا : إن النقد الأدبي في ذلك العصر في الأغلب و الأعم هو علم البلاغة حيث توجب أن يكون لهذا الفن فروعا ثلاثة :

أ- **علم المعاني** : حيث يعرف مدى مطابقة اللفظ العربي لمعتضى الحال و التقديم و التأخير و الغرض من القصر و متى يكون الفصل و الوصل ..... و الإيجاز و الإطناب ، و المساواة ...

ب- **علم البيان** : و يعرف به وضوح الدلالة في الطرق التي يعرف بها عن المعنى الواحد، و نوع هذه الدلالة أهي حقيقية أم مجاز ؟ و يدل في ذلك مباحث المجاز و الاستعارة و التشبيه و الكناية ..

جـ - علم البديع : و هو معرفة وجود تحسين الكلام و تزويقه ، و نرى أنه ألصق بنظرية النقد الجمالي في العصر الحديث ..

لكن الحصري لم يحفل بهذا التقسيم كثيرا و إنما نجده يركز على مذهب نقدي عنده هو البديع ، حيث نجده مقتديا في ذلك ببديع الزمان الهمداني ، كما يشمل جميع مباحث البيان و كان في ذلك مقتديا بأبي تمام ..... و هذا لا يعني أن الحصري لم يتطرق إلى قضايا نقدية أخرى ، من قبيل اللفظ و المعنى ، و الطبع و الصنعة و التكلف ، و القديم و الجديد ، و الشعر و النثر ، و الوحدة العضوية ، و لكننا وجدنا كتاب " زهر الآداب " يدور حول قضايا نقدية أساسية أهمها إلى جانب البديع ، قضية السرقات الأدبية و الموازنات الأدبية .

الفصل الأول

السرقات الأدبية

1-مفهوم السرقات الأدبية

لقد تعرض الكثير من النقاد المحدثين و المعاصرين في كتبهم للبحث في تاريخ السرقات الأدبية ، حيث يرى الدكتور محمد مندور في " النقد المنهجي عند العرب[1]" و قبله الدكتور طه إبراهيم في كتابه "تاريخ النقد عند العرب[2]" أن دراسة السرقات الأدبية دراسة منهجية لم تظهر إلا عندما قامت الخصومة حول أبي تمام، ويؤيد قوله هذا ما ذهب إليه الدكتور إحسان عباس إذ يقول : " كانت الظاهرة التي يمثلها أبو تمام في الشعر قد شغلت النقاد و المتذوقين في القرن الثالث ، ثم ورثها نقاد القرن الرابع و أمعنوا فيها"[3].

ثم يضيف إحسان عباس " كشف أحمد بن أبي طاهر (....- 280) بعض المعاني التي سرقها أبو تمام من غيره ، هذا في باب التأليف ، أما الخصومة الشفوية حوله فقد كانت واسعة النطاق، ولم تسكن ثائرتها في القرن الرابع بل لعلها ازدادت في النصف الأول منه حدّة ، كما أن حركة التأليف في الانتصار له ، أو في تبيان عيوبه قد اتسعت. [4]

لكن الدكتور محمد مصطفى هدارة يدفع ذلك و هو يستعرض أسماء بعض المؤلفات التي تناولت ظاهرة السرقات الأدبية و الشعرية منها على وجه التحديد التي ظهرت قبل الخصومة حول أبي تمام : كسرقات الكميت من القرآن الكريم ... و غيره لإبن كنّاسة المتوفى سنة 207 هـ ، كما ذكر ابن النديم في الفهرست، و كسرقات الشعراء و ما اتفقوا عليه لابن السكيت المتوفى سنة 204 هـ كما ذكر ذلك إبن النديم أيضا[5] ، وكسرقات الشعراء و ما اتفقوا عليه ، لابن السكيت المتوفى سنة 204 هـ كما ذكر ذلك ابن النديم أيضا [6].

و ككتاب "إغارة كُثير على الشعراء " للزبير بن بكّار المتوفي سنة 256 هـ كما ذكر ذلك ياقوت الحموي في معجم الأدباء[7].

---

[1] **محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب- مكتبة نهضة مصر – القاهرة (1948)- ص 352.**
[2] **طه براهيم ، تاريخ النقد عند العرب- دار الحكمة –بيروت ( ) ، ص 171.**
[3] **د. احسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب-دار الثقافة – بيروت (1986) ، ص 147 .**
[4] **المصدر نفسه – ص 147.**
[5] **عبد الله ابن النديم – الفهرست – مطبعة الاستقامة – القاهرة ( ) – ص 111.**
[6] **المصدر نفسه – ص 114.**
[7] **ياقوت الحموي – معجم الأدباء – ج4 – ص 219.**

يقول الدكتور مصطفى هدّارة : " حقيقة أن هذه الكتب لم تصل إلينا ، وصحيح أنّ أسماءها لا تدل على ما في بطونها من دراسة ، و لكننا نستبعد مع ذلك أن تكون هذه الكتب الثلاثة خالية من دراسة منهجية.[1]

لقد اهتم العرب و النقاد منهم على وجه الخصوص بتتبع السرقات الأدبية وتصيد مكامنها، ثم الإبانة بعد ذلك عن جوهر هذه السرقة إن كانت في اللفظ أو المعنى، وهم من شدة اقتفائهم للسرقات الأدبية و علمهم بها ، لم يكونوا يستثنون منها كبار الشعراء والأدباء ويعزونها إلى الخاملين منهم فقط،و إنما كانوا يتحرّون الأمر كثيراً و بحس نقدي كبير.

" لقد كان هذا الأدب من أعظم أسباب اتّصالهم بأمتهم العريقة، وبه كانت تذلل لهم كثير من الصعاب في فهم دينهم و معرفة عقيدتهم ، حتى لقد بلغ من حرصهم على ذلك التراث أن يقرنوا كل نص برواية ، و كل خبر أدبي بسلسلة طويلة من أهل الرواية ، كما كانوا يفعلون في رواية الأحاديث النبوية و ينبهون على ما في بعض رجال السند من الضعف أو ما يدعوا إلى اتهامهم بالوضع و الانتحال ، أو صدق الخبر و تحرير الرّواية". [2]

لقد أكبر النقاد و الشعراء العرب على حد سواء نسبة القول لغير قائله ، و نحل أديب من آخر و اغتصاب كلام الآخرين مما عدّ بنظرهم اعتداءً سافراً فاق الاعتداء على الأموال والممتلكات، لأن هذا النوع من السرقات برأيهم يطال عصارة الفكر و جُهد الذّهن، "ولذلك فهم ينعتون هذا العمل سرقة ، و سرقاً ، و انتهاباً ، و إغارة ، و غصباً ،و مسخا، إلى كثير من تلك الألقاب او الأوصاف التي تشين صاحبها، و الرفقاء منهم يتلطفون في تلك الألقاب تحرزاً من الخطأ ، وإحسانا للظن ، فيسمونه اقتباساً، و أخذاً ، و تضمينا، واستشهاداً وعقداً ، وحلاً ، تلميحاً، وغير ذلك من لأسماء الرقيقة المهذبة."[3]

يقول الآمدي :" إنّ من أدركه من أهل العلم بالشّعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوئ الشّعراء ، و خاصة المتأخرين منهم ، إذا كان هذا باباً ما تعرى منه متقدم و لا متأخر".[4]

---

[1] د. مصطفى هدارة – مشكلة السرقات في النقد العربي –المكتب الإسلامي – بيروت (1975) – ص 87.

[2] د. بدوي طبانة – السرقات الأدبية – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة– (1956م) – ص 34.

[3] المرجع نفسه – ص 34 .

[4] أب القاسم الآمدي – الموازنة بين أبي تمام و البحتري – تحقيق : أحمد صقر – دار المعارف – القاهرة (1972) – ج1 – ص 291.

أما القاضي الجرجاني يرى أن " السرق داء قديم ، و عيب عتيق ، و مازال الشاعر يستعين بخاطر الآخر، و يستمد من قريحته ، و يعتمد على معناه و لفظه ، و كان أكثره ظاهراً كالنّوارد، إن تجاوز ذلك قليلا في الغموض لم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ".[1]

و لا نشك في أنّ الآمدي و الجرجاني مع هذا التهوين الذي أبدياه حول السّرقة الأدبية- كانا يلمسان بنفاذ بصيرتهما النقدية أعماق ذلك السّطو الذي يعتري الأثر الأدبي.

لقد أشار الباقلاني إلى خطورة هذا الأمر وإلى قدرة النقاد الأفذاذ على تمييز الأصيل من التخيل، ذلك لأن الآخذ يعمد إلى إخفاء أخذه حتى ليصعب التمييز إلا على الخبراء المجيدين بقوله : " قد يتقارب سبك نفر من شعراء عصر,وتتدانى رسائل كتاب دهر، حتى تشتبه اشتباها شديدا وتتماثل تماثلا قريبا. فيغمض الفصل، وقد يتشاكل الفرع والأصل،وذلك فيما لا يتعذر إدراك أمده، ولا يتعصب طلاب شأوه، ولا يتمنع بلوغ غايته, والوصول إلى نهايته ,لأن الذي يتفق من الفصل بين أهل الزمان إذا تفاضلوا وتفاوتوا في مضمار ,فصل قريب وأمر يسير. " [2]

ثم يبين الباقلاني عن مكامن السرقة لدى بعض الشعراء الكبار الذين اكتشف النقاد أمرهم حيث يقول : " وكما يقولون إن البحتري يغير على أبي تمام إغارة ، ويأخذ منه صريحا وإشارة ،ويستأنس منه بخلاف ما يستأنس بالأخذ من غيره، ويألف إتباعه كما لم يألف إتباع سواه ، وكما كان أبو تمام يلم بأبي نواس ومسلم ، وكما يعلم أن بعض الشعراء يأخذ من كل أحد ، ولا يتحاشى ، ويؤلف ما يقوله من فرق شتى". [3]

ثم يضيف قائلا :" وما الذي نفع المتنبي جحوده الأخذ وإنكاره معرفة الطائيين؟ وأهل الصنعة يدلون على حرف أخذه منهما جهارا ، أو ألم بهما إسرارا ، وأما ما لم يأخذه عن الغير ، ولكن سلك فيه النمط وراعي النهج ، فهم يعرفونه ويقولون هذا أشبه به من التمرة بالتمرة وأقرب من الماء إلى الماء ، و ليس بينهما إلاّ كما بين الليلة والليلة " [4] ونحن نعلم بأن أكابر

---

[1] القاض علي الجرجاني- الوساطة بين المتبني و خصومه- تحقيق محمد علي البجاوي – دار إحياء الكتب العربية – بيروت ، ص207.

[2] أبو بكر ابن الطيب الباقلاني – إعجاز لقرآن – تحقيق: أحمد صقر – دار المعارف – القاهرة (1963) – ص 105

[3] المرجع نفسه – ص 105

[4] المرجع نفسه – ص 105

الشعراء لم يسلموا من الرمي بالسرقة والسطو على أفكار غيرهم حيث ادعى جرير على الفرزدق السرقة فقال :

سيعلم من يكون أبوه قينا ومن عرفت قصائده اجتلابـــا

وادعى الفرزدق مثل ذلك على جرير فقال :

إن استراقك يا جرير قصائدي مثل ادعاك سوى أبيك تنقـــل[1]

ولقد عد النقاد والشعراء السرقة من أخطر العيوب التي تمس مكانة الشاعر على الرغم مـــن تلطف البعض في رمي الشاعر بالسرقة الأدبية الموصوفة إن جاز هذا التعبير، ولذلك فـــإن حسان بن ثابت يذم السرقة من الشعراء ويفخر بشعره حين يقول :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعـــــــري[2]

1.1 أقســـام السرقات :

يقول ابن رشيق: " وهذا باب متسع جدا لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة إلا على البصير الحاذق بالصناعة، وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل ، وقد أتى الحاتمي في حلية المحاضرة "بألقاب محدثه تـــدبرتها لـــيس لهـــا محصول إذا حققت كالاصطراف، الاجتلاب,والاهتدام, والإغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق، وكلها قريب من قريب، وقد استعمل بعضها في مكان بعض ،غير أني ذاكرها على ما خيلت فيما بعد[3] " ونحن نرى هنا أن ابن رشيق لا يضيق على الشعراء بل هو يقر علـــى أنـــه لا مناص من الأخذ من معاني الآخرين أو ألفاظهم، ما دام ذلك لا يعني السرقة الصريحة التي تخرج صاحبها من طائفة الشعراء، وتجعله يردد كلام الآخرين وحسب.

ولذلك فإن الأخذ من كلام الآخرين ليس بنقيصة مادام يصبغ بشخصية الشاعر ويضاف إليه من موهبته وإبداعه ، كما أن أبا عمرو بن العلاء عندما سئل : أرأيت الشاعرين يتفقان فـــي المعنى ويتواردان في اللفظ, لم يلق واحد منهما صاحبه , ولم يسمع شعره؟ قال تلك عقـــول رجال توافق على ألسنتها !

---

[1] أنظر الشعر و الشعراء لأبن قتيبة – ج1 – ص381

[2] بدوي طبانة – السرقات الشعرية – ص 42

[3] ابن رشيق – العمدة في نقد الشعر وتمحيصه – دار صادر – بيروت (2003) – ص 531

وسئل أبو الطيب المتنبي مثل ذلك فقال: " الشعر جادة ، وربما وقع الحافر على موضع الحافر[1] " على أنّ من النقاد من رأى هناك أمورا لا يحكم فيها بأخذ ولا سرقة ومن ذلك التنحيل : وهو أن يعطي الشاعر شعره نفسه لغيره دون أن يعلم المنحل أو يرضى لأنه لو علم لكان مرافدة[2] كما فعل ابن الرومي عندما قال شعرا ونحله بشارا،[3] فهذا ليس سرقة لأنه إعطاء والسرقة أخذ.(*)

وهناك المعنى المشترك و هو ذلك المعنى العادي الذي استوى الناس في مشاهدته والإحساس به فأضحى عاما مشتركا،ولقد حدد " جون هرمان راندن " و " جوستاس بوخلر" في كتابهما" مدخل إلى الفلسفة " مفهوم المعنى المشترك خير تحديد بقولها : " إن الفهم العام المشترك ناشئ عن إجماع الأكثرية الساحقة ، ومصدرها استعمال الحواس والذاكرة,وأبسط أنواع المحاكمة العقلية ، كما يريان أن الفهم المشترك منطلق كل بحث لا يستغنى عنه في الابتداع والابتكار". [4]

والنقاد في أغلبهم مجمعون على أن المعنى المشترك لا تجرى فيه السرقة ويرى الدكتور مصطفى هدارة :" أن قول عبد الكريم النهشيلي : " السرق لا ينحل في المعاني المشتركة رأي جديد ".[5]

غير أن الآمدي صاحب الموازنة يسبقه إلى هذا الرأي بقوله : " لا يجري الحكم بالسرقة إلا في المعنى البديع المخترع ,لا في المعاني المشتركة ، لا سيما ما تقدم الناس فيه، وتردد في الأشعار ذكره، وفي الطباع والاعتياد".[6]

والمسلم به أن النصوص الشرعية ثقافة مشاعة وعلى هذا الأساس عدت من المعاني المشتركة ، ونحن نقف على قول لأبي نواس أورده الحصري حيث يقول :

صحت علانيتي له وأرى دين الضمير له على حرف

---

[1] **المرجع السابق – ص 540**

[2] **المرجع نفسه – ص 532**

[3] **ابو اسحاق الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 – ص 897**

(*) ذكر عن بديع الزمان الهمذاني أنّه نحل بشر بن أبي عوانة قصيدة – أنظر المثل السائر لإبن الأثير ، ج1، ص 166.

[4] **جون راندن و وجوستاس بوخلر – مدخل إلى الفلسفة – ترجمة : د. ملحم قربان – ص 59**

[5] **د. مصطفى هدارة:مشكلة السرقات، ص115**

[6] **الآمدي – الموازنة بين ابي تمام و البحتري – ج1، ص346**

ثم يورد الحصري قول ابن المعتز :

إنك في الشوق إليناكمن يؤمـــن بالله على حـــــرف

ومما لا ريب فيه أن هذا مأخوذ من الآية الكريمة:﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾. [1]

غير أن الحصري لم يشر إلى ذلك ، على أنه بعد ذلك يرى أن بيت الأعرابي المأخوذ من مرثية:

و بعدك لا آسى لعظم رزية قضيت فهونت المصائب أجمعـــا

مستهلكا متداولا فيقول : "و معنى هذا البيت تداوله الناس نظما ونثرا "[2].

ولا يفوتنا أن نستحضر مقولة الجاحظ : "إن المعاني غير مقصورة ولا محصورة ، يعرفهـــا العجمي و العربي والبدوي والقروي[3] "،ومما لا مرية فيه أن الأديب مطلوب منه أن ينمـــي ثقافته بالمعاني والأخيلة والثقافات المختلفة، وتنطوي تحت هذا المجال المعـــاني المشـــتركة والتي يضيف عليها الشاعر من بنات أفكاره ،وحسن صياغته، وحلاوة شعره ما يجعلها تبدو كأنها خاصة به وحده، ومتفجرة من قريحته الفريدة .

كما أن النقل من لغة أجنبية على سبيل الترجمة أو على سبيل ما يشرع مـــن اقتبـــاس ، أو تضمين لا يعد سرقة, ولو أن الأستاذ مصطفى هدارة ينتقل رأيا مخالفا للشيخ البديعي اعتبر فيه أن النقل من لغة أجنبية من الابتداع ،على اعتبار أن المعنى الأصلي غير موجود فـــي الشعر العربي."[4]

ويجمل ابن رشيق أقسام السرقات في: الاصـــطراف ، الانتحـــال ، الادعـــاء ، الإغـــارة ، الغصب، الاغتصاب المرافدة ، الاهتـــدام ، النظـــر والملاحظـــة ، الاخـــتلاس ، الموازنة، الموارد ة ، الالتقـــاط والتلفيق، والتركيب.[5]

وكثيرا ما اختلف النقاد في تصنيف السرقات الأدبية أو التساهل فيها ولقد نجد أن ابن حـــزم الأندلسي يقرر أن اتفاق الخواطر يحصل في الكلمة أو الكلمتين حيث يقول : " وقد يقع فـــي

---

[1] سورة الحج الآية 11.

[2] الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ص 345

[3] بو عثمان عمرو بن بحر الجا حظ – الحيوان – تحقيق : عبد السلام هارون – القاهرة (1945) – ج3 – ص 132

[4] مصطفى هدارة: مشكلة السرقات في النقد العربي، ص 147.

[5] ابن رشيق – العمدة في نقد الشعر و تمحيصه – ص 532

الندرة التي لم نكد نشاهدها اتفاق الخواطر على الكلمات اليسيرة، والكلمتين ونحو ذلك، والذي شاهدنا اتفاق شاعرين في نصف بيت، شاهدنا ذلك مرتين من عمرنا فقط , واخبرني من لا أثق به أن خاطره وافق خاطر شاعر أخر في بيت كامل واحد "[1].

والذي يقرره جمهور النقاد أنه كما يستحيل التوافق في اللفظ الكثير يستحيل الاتفاق في المعنى الكثير أيضا...

وعلى هذا يضيف ابن حزم: " ولو أنك تكلف إنسانا واحدا اختراع حديث طويل كاذب لقدر عليه، يعلم ذلك بضرورة المشاهدة، فلو أدخلت اثنين في بيتين لا يلتقيان, وكلفت كل واحد منهما توليد حديث كاذب، لما جاز بوجه من الوجوه أن يتفقا فيه من أوله إلى آخره, هذا أما أبو هلال العسكري فإنه يعتبره معيبا, وإن ادعى أن الآخر لم يسمع قول الأول بل وقع لهذا ما وقع لذاك."[2]

غير أن بن رشيق يعتبر رائدا في بلورة مصطلحات السرقات جميعا حيث اتخذ لها تقسيمات محددة وأعطى لكل منها مفهوما معينا[3].

2-منهج الحصري في بحث السرقات :

لاشك أن الحصري لم يشذ عن القاعدة على عادة غيره من نقاد زمانه في تتبع وتصيد السرقات الأدبية، غير أن الحصري قد أفاض في تقصي هذه السرقات إذ أننا نجد "زهر الأداب" يحفل بدراسة مستفيضة عنها,

ولا ريب أن الحصري كان يستشعر متعة فائقة من خلال متابعته لهذه السرقات، خاصة وأن "زهر الآداب" كان يلم بالأخبار، ويرجو المتعة الأدبية .

" لقد شغل النقد في القرن الرابع الهجري كثيرا بالكشف عن السرقات ,ويتضح ذلك في النقد الذي دار حول أبي تمام والبحتري والمتنبي,غير أن هناك شعراء آخرين ألفت كتب عن سرقاتهم, ومما وصلنا في هذا الموضوع " سرقات أبي نواس " لمهلهل بن يموت بن المزرّع(-344 ، وتذكر المصادر كتابا عاما في السرقات لجعفر بن محمد ابن حمدان

---

[1] **أبو محمد علي بن حزم الأندلسي – الأحكام في أصول الأحكام – تحقيق : أحمد شاكر – مطبعة السعادة – القاهرة – ج1 – ص 108.**

[2] **المرجع نفسه – ج1 – ص 108.**

[3] **أنظر العمدة لابن رشيق – ص 531.**

الموصلي (–323) يقول ابن النديم ، ولم يتمه ولو أئمة لإستغنى الفاس عن كل كتاب في معناه، ولعل التأليف في السرقات يربو على المؤلفات في أي موضوع آخر".[1]

يعتبر العصر الذي عاش فيه الحصري وهو القرن الرابع الهجري عصر النضج النقدي في المشرق العربي, إذ أن الحصري نفسه يلجأ إلى كتبهم متخذا إياها مصادر ينهل منها ونحن نجده يشير إلى آراء أصحابها في كتابه.

ومن هؤلاء النقاد نجد: قدامه بن جعفر، وثعلب ، والثعالبي ، والصولي والحاتمي وغيرهم[2]...بيد أن الحصري لا ينزع إلى اصطناع منهج محدد في نقده على غرار هؤلاء النقاد على اعتبار أنه لم يتخصص في هذا المضمار، إذ أنه يعترف بذلك ويؤكد على أن هدفه من تأليف " زهرا لآداب " هو تحقيق المتعة الأدبية، وإذن فقد جاء الكتاب مبنيا على حسن الاختيار، ملما بشتى الآراء، مما يجعلنا نعثر على النقود المختلفة للحصري مبثوثة في ثنايا الكتاب، ولذا وجب على الباحث استخلاص هذه الأحكام النقدية استخلاصا .

لقد تناول الحصري قضية السرقات الأدبية تناولا عمليا دوأن يحفل كثيرا بالتنظير، أو يلجأ إلى التعليق المسهب، ويعرض رأيه في هذه القضية قائلا : " إن حق من أخذ معنى قد سبق إليه أن يصنعه أجود من صنعه السابق إليه ، أو يزيد عليه حتى يستحقه، وأما إذا قصر عنه فهو مسيء معيب بالسرقة ، مذموم على التقصير".[3]

كما أن طريقته في التنبيه على وجود سرقة أو أخذ معنى من المعاني تتخلص غالبا في إيراد أبيات شعرية في معنى من المعاني,ثم ينبه أن شاعرا آخر سبقه إلى هذا المعنى ، أو أخذ هذا من قول الآخر، أو ألم بقول الآخر.[4]

لقد لاحظت أنّ الحصري يقتفي أسلوب القدماء وهو يلحظ تقاربا بين نصين يدخلان في باب السرقة,إذ أنه يحكم ضمنيا على المتأخر من صاحب النصين بالسرقة عن الأول.وهذه الطريقة يلتزم بها الحصري في مجمل معالجته لمشكل السرقات حتى ولو كان المعنى بينهما مشتركًا عامًا.

---

[1] د.إحسان عباس :تاريخ النقد الأدبي عند لعرب، ص131.

[2] الحصري – زهر الآداب و ثمر الآلباب – ج1 ص312.

[3] المرجع نفسه – ج2 ص 1016.

[4] أحمد يزن– النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي – مكتبة المعارف للنشر و التوزيع – الرباط() – ص 349.

وهذا الحكم على اللاحق من الشعراء عند الحصري لا يشفع كون السابق قد أضاف إلى المعنى المشترك وحسن صياغته، مما يوحي بأن المعنى مبتكر غير مجتر أو مطروق..فنحن نرى أنّه يحكم بأخذ عبيد الله بن طاهر من عقيل بن علقمة [*] في قوله :

لكل أبي بنت يرجى بقاؤها ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر

فبيت يغطيها وبعل يصونها وقبر يواريها وخيرهما القبر

إذ أن عبيد الله بن طاهر أبان عن إضافتين مهمتين وهما الصهران الآخران غير القبر " البيت والبعل "[1]

بينما يقول عقيل بن علقمة :

إني وإن سبق إلي المهر ألف وعبدان وذود وعشر

أحب أصهاري إلي القبرُ

وهناك شاهدا آخر لهذه الظاهرة التي التزم بها الحصري حيث يورد هذين البيتين للنمر بن تولب (.. نحو 14 هـ).

يود الفتى طول السلامة والبقا فكيف يرى طول السلامة يفعل

يعود الفتى من بعد حسن وصحة ينوء إذا رام القيام ويحمل

وقد رُوي في الحديث الشريف: " كفى بالسلامة داء"[2]

ولعنا نستشف ضمنيا اتهام الحصري للنمر بن تولب بالسرقة، ولو لا ذلك لم يبادر إلى إبراز الحديث الشريف وهو يخبر عن النمر بن تولب.. بيد أنّه لم يكن ينعت الشاعر بالسرقة الصرفة، بل تجده يتحرج من إلصاقها به صراحة ويتجاوز ذلك إلى التماس الأعذار والتبريرات.

ونلاحظ أن أحكام الحصري حول هذه القضية النقدية لم تكن مؤسسة على منهج ثابت ، فهو لا يدعو الشاعر إلى السرقة المطلقة ، وإنّما يدعوه إلى الاستفادة من شعر غيره بطريقة تجعله يزيد فيه من إبداعه وخلقه ، ويتوسع في جزئياته وتفاصيله ، كما أنه لا يستعمل لفظ "السرقة " إلا قليلا.

---

[*] ورد باسم عقيل بن علفة (أغير العرب)- أنظر إبن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء- شرح : محمود محمد شاكر -مطبعة المدني –القاهرة (1974) ج2 ، ص709-.

[1] الحصري : زهر الآداب و ثمرة الألباب ، ج1، ص 484.

[2] المرجع نفسه – ج1 – ص 484

وذلك " حينما يجد سرقة فاحشة أو مبالغة فيها ، وكان يستعيض عن هذا المصطلح بكلمات الأخذ ، أو الإلمام ، أو النظر، أو الإشارة ، أو التشبيه" [1] وغيرها.

وملخص السرقة عند الحصري أنها تتمثل في أخذ معنى من المعاني التي سبق إليها المتقدمون, كما يرى أن السرقة تكون في جنسي الأدب : "الشعر والنثر" فقد لاحظ مثلا أن أبا تمام وغيره من الشعراء قد أخذوا قول عمر بن عبد العزيز لغلام حطب أمامه فأعجب ببيانه وقال تكلم فهذا السحر الحلال ".[2]

أخذ أبو تمام فقال يعاتب أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي ويصف قصائده بأنها :

هي السحر الحلال لمجتليه ولم أرقبلها سحرا حلالاً[3]

ثم يستعرض الحصري ذكر الشعراء والكتاب الذين أخذوا قول عمر بن عبد العزيز،وضمنوه شعرهم ونثرهم ، ويضيف أن العميد حلل في بعض رسائله قوله: " فقد يتفجر الصخر بالماء الزلال " من قول ابن الرومي :

يا شبيه البدر في الحسن وفي بعد المنال

جد فقد تنفجر الصخرة بالماء الزُّلال[4]

وإذا ما تتبعنا المعاني الشعرية المتفقة التي تناولها عدد من الشعراء والتي ساقها الحصري ،لوجدناه يعمد إلى الكشف عما قام به المحدثون نحو القدماء من اقتباس ، أو تصرف، أو سرقة في المعنى.

وصفوة القول: "أن الحصري لم يأت بجديد في قضية السرقات وإنما كرر ما قاله النقاد الذين سبقوه، اللهم إلا تنبيهه على ما أخذه شعراء المغرب من معاني شعراء المشرق".[5]

ولقد ألمحنا في معرض حديثنا عن منهج الحصري إلى أنّه لم يكن يعمد إلى التنظير في قضايا النقد بصفة عامة ،وقضية السرقات خاصة، بقدر ما كان يستعرض هذه السرقات بكيفية عملية مفصلة، دون أن يبخل علينا ببعض الآراء والأحكام القصيرة .

---

[1] أحمد يزن : النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي – ص 353

[2] المرجع نفسه ، ص349.

[3] الحصري : زهر الآداب و ثمرة الألباب ، ج1، ص 41.

[4] المصدر انفسه ، ج2 ص602

[5] أ.د. الشيخ بوقربة: مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي (من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري) رسالة دكتوراه (1999– 2000) – ص 330.

ولقد أبان –ابن بسام في ذخيرته–هذا النوع من النقد الذي يصدر عن ميل أو إعجاب شبه غريزي بموطن من مواطن الجمال الفني ، ولكن دون أن يصدر في ذلك عن قاعدة واضحة أويبني على مقياس موضوعي يمكن النظر فيه ،فهو إذن يحتكم إلى الذوق وحده.[1]

يقول الدكتور محمد طول : " إن هذا اللون النقدي قد مارس بمقتضى آلياته المهتمون بعلم الأدب نقودهم على ضوء النموذج النقدي التنظيرى المستمدة مبادئه من التراث الأدبي العربي الإسلامي ،وإن كان هذا اللون النقدي لا يحلل النصوص ولا يستخلص مقوماتها مضمونا وشكلا، إلا أنه من خلال ما كان يصدر من آراء وما يقفه من مواقف تجاه الشعراء أحيانا، وصوب الشعر أحيانا أخرى، قد أسس لمنطلقات العملية النقدية التي تتعامل مع مضمون وشكل النص الأدبي, كما عكس في الوقت نفسه ، الوعي بحدود الشعر التي يجب أن يتحرك الأديب في إطارها ووفق الذوق النقدي السائد." [2]

وعلى هذا النمط سار الكثير من النقاد القدامى خاصة الذين لم تتبلور عندهم رؤى نقدية جادة، والحصري لم يخلص للنقد وحده وإنما كان يروم جمع الأخبار في كتابه "زهر الآداب"، ثم الولع بالبديع وضروب البيان.

ومن انطباعات الحصري وأحكامه رأيه في المتنبي : أكثر المحدثين افتتانا,وإحسانا في الإغراب بهذا الباب[3].... وهو يعني هنا الأمثال السيّارة.. ولا شك أن الحصري يشير إلى شهرة المتنبي بالحكمة في شعره .

ثم من جملة أحكامه العامة على جملة الشاعر قوله : "ولسعيد بن حميد(*) حلاوة في منظوره ومنثوره لكنه قليل الاختراع، كثير الإغارة على من سبقه "، ثم يضيف الحصري :" وكان يقال : لو رجع كلام كل واحد إلى صاحبه لبقي سعيد بن حميد ساكتا. "[4]

والأحكام العامة التي لا ترتكز إلى دليل أو تعليل يسندها كثيرة عند الحصري، ومن أمثال ذلك ما نقله عن عبد الملك بن مروان لمعن بن أوس (...– 64 هـ) بأنه أشعر من امرئ القيس والنابغة ، والأعشى لقصيدته الميمية التي مطلعها.

---

[1] **ابن بسام الأندلسي : كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – ص 394.**

[2] **د. محمد طول– في النقد الأدبي الجزائري – دار الغرب للنشر و التوزيع – وهران (2004) – ص 47.**

[3] **الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 – ص 769.**

[*] **هو أبو عثمان سعيد بن حميد الكاتب ، ولد في بغداد و نشأ في بيت علم و معرفة، و قلده المستعين العباسي ديوان رسائله ، كانت وفاته سنة 257 هـ – 870 م – أنظر الطبقات ابن المعتز – ص 426.**

[4] **المصدر نفسه – ج2 ص1029**

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه وهو ليس له بحلم [1]

هذه الأمثلة التي أوردناها تظهر لنا الأحكام العامة التي أصدرها الحصري أو نقلها عن غيره، مكتفيا بكلمات الاستحسان أو الجودة ، أو المختار، أو نحو ذلك.

3-قضية الأولوية و الابتكارات عند الحصري :

لقد أبان الحصري عن نماذج من المبتكرات مقيما إياها على الرصد التاريخي، لأن الحصري احتذى حذو جماعة من حفاظ الأدب نراهم يحكمون لبعض الأدباء بالأولوية في معنى من المعاني من منطلق عدم الأسبقية إلى هذا المعنى من طرف الأدباء الآخرين، ويكون هذا الحكم في الغالب مرهونا بالاستقراء التاريخي .

ونحن نرى أنه لا يمكن الجزم بهذه الأولوية طالما أن الشعر العربي لم يكن مقيدا ولا مدونا،بل جاء متواترا عن طريق الرواية السّنوية،و لذلك وجب توخي الحذر في إلحاق هذا الحكم بصاحبه.

ويسوق الحصري كثيرا من النماذج التي حكم فيها بالأولوية أو الاختراع، فقد ذكر: قيد النواظر – وعقله الظبي – وما في معناهما حيث يرى أن أول من استشار هذا المعنى امرؤ القيس بقوله :

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل[2]

ويرى الحصري أن أول من طرد الخيال طرفة بن العبد في قوله :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب إليها فإني واصل حبل من وصل[3]

كما يرى أول من فتح الباب في الجمع بين تهيئة وتعزية عبد الله بن همام فولجه الناس.[4]

كما يرى الحصري أن قولهم ألقى عصا التسيار مثل شرود ، مبتكر هذا المعنى زهير بن أبي سلمى بقوله :

فلما وردن الماء زرقا جمامة وضعن عصي الحاضر المتخيم[5]

---

[1] **المرجع السابق – ج1 ص 481.**
[2] **الحصري زهر الآداب وثمر الألباب – ج1 ص 10 .**
[3] **المرجع نفسه – ج2 ص 702.**
[4] **االمرجع نفسه – ج1 ص 54.**
[5] **االمرجع نفسه – ج1 ص 185.**

يواصل الحصري جرد الأوائل في تقول المعاني ويعزوها إلى قائلها الأول، حيث يرى أن من ذكر عذوبة ريق الحسناء,ثم يحترس بأنه لم يذقه ، وهذا معنى استهلكه النـــاس,غيـــر أن الحصري يعتبر النابغة (..- 18 ق هـــ) مبتكر ذلك لقوله : في وصف ريق المتجردة امرأة النعمان بن المنذر ملك الحيرة:

زعم الهمام بأن فاها بارد عذب مقبله شهي المـــــــــــورد

زعم الهمام ولم أذقة أنـــه يشفى بريا ريقهـــا العطش الصدي

قال الحصري: ومن قوله : " ولم أذقه" أخذ كل من أتى بهذا المعنى ففتقه الناس بعد.[1]

ونجد الحصري يعد المهلهل بن ربيعة أول كاذب في شعره، ولا يقصد هنا الكذب بمفهومـــه اللغوي والفقهي، بل يقصد به المبالغة والإفراط في التشبيه حيث يقول المهلهل :

فلولا الريح اسمع من بحجـــر صليل البيض تقرع بالذكور

يعلق الحصري على ذلك بقوله :" وهذا البيت للمهلهل مما يعدونه من أول كـــذب العـــرب، وكانت قبل ذلك لا تكذب في أشعارها".[2]

ومؤدى هذا الكذب حسب تفسير الحصري : أن بين الموضع الذي كانت فيه هـــذه الواقعـــة وهي بالجزيرة وبين حجر وهي قصبة باليمامة مسافة بعيدة[3] .

كما أن الشعراء كثيرا ما كانوا يشتبهون الغبار بين المتسابقين بقميص أو رداء، وعـــد هـــذا المعنى أمر مستهلكا، لكن الحصري يطلعنا بقوله :أول من نظر إلى هـــذا المعنـــى شـــاعر جاهلي من بني عقيل فقال :

يثيران من نسج الغبار عليهما قميصين أسمالا ويرتديـــان[4]

ونحن نجد في أشعار العرب صورا بيانية تعبر عن ثقة المغير بالظفر، مما يجعل الشـــعراء يتفننون في كيل المديح له وتصوير ملاحقة الطير له ثقة بالكسب على أثره، ولا أدل علـــى ذلك من بيتي النابغة الذبياني .

---

[1] الحصري : زهر الآداب وثمر الألباب – ج1 ص 228.
[2] المرجع نفسه – ج1 ص 234.
[3] المرجع نفسه – ج1 ص 234
[4] المرجع نفسه – ج2 ص 926

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

جوانـــــح قد أيقـــــن أن قبيلـــه إذا ماالتقى الجمعان أول غالب[1]

غير أن الحصري يرد السبق فيه للأفوه الأودي (...نحو 50 قهـــ) عندما قال : وأول مـــن ابتكر هذا المعنى الأفوه الأودي في قوله :

وأرى الطير على آثارنـــا رأي عين ثقـــة أن ستمـــــار[2]

ويرى الحصري أن القول بأن الحبيب لا يشتاق ما دام حبيبه موجودا أمـــام ناظريـــه ، ولا ينتفع بحاضر إذا غاب حبيبه ترد من حيث الريادة لمالك بن مسمع (..-73 هـــ) عندما قال للأحنف بن قيس(3قه-72ه) "ماأشتاق للغائب إذا حضرت, ولا أنفع بالحاضر إذا غبت"[3]،علما أن هذه الحالة النفسية قد تكون مشتركة بين الناس جميعا لا تحتاج إلى رائد أو سابق.

كما أن تشبيه صاحب الملك الواسع المهيب بليل أو نهار يصعب الإفلات منه ، قـــد يكـــون طرق في الشعر العربي غير مرة، لكن الحصري يرجع ريادته إلى النابغة الذبياني عنـــدما يقول : وأول من نبه إلى هذا المعنى النابغة في قوله للنعمان :(...-15ق ه)

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع[4]

والحصري يرد الأسبقية مرة أخرى إلى النابغة,الذبياني وهو يرى أن الخـــوف مـــن الملـــك واتقاء غضبه ليس من العار أو نقض الرجولة، حيث يقول الحصري: وهو أول من ابتكـــره عندما يقول - أي النابغة -.

وعيّرتني بنو ذبيّان خشيته وما علي بأن أخشاك من عـــار[5]

ووصف عنترة بن شداد المشهور للذباب والذي يقول فيه :

وخلا الذباب فليس ببارح غردا ، كفعل الشارب المترنـــم

هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجـــذم

---

[1] **الديوان – ص 10.**

[2] **الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 ص 1000.**

[3] **المرجع السابق – ج2 ص 1021.**

[4] **المرجع نفسه ، ج2 ص 1031.**

[5] **المرجع نفسه – ج2 ص 1033.**

يصف عنترة الذباب إذا كان واقعا ثم حك إحدى يديه بالأخرى ، فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليد، يقدح بعودين ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك ، يقول الدكتور فؤاد أفرام البستاني: " ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنترة"[1].

يعلق الحصري على هذا الوصف للذباب" أوحد فردًا ، ويتيما فذًا ، وأن من أتى بعده متعلق بذيله".[2]

وهنا نقف على رأي السيوطي حول الجملة المركبة حيث يقول: " إن الأخذ فيها لفظي، واستعمال الألفاظ حق للجميع ، وهذا صحيح إذا كان المأخوذ ألفاظ مفردة ، أما الجمل المركبة فلا ،لأن تركيب الجمل عمل عقلي، وليس عملا نقليًا".[3]

ومما يدل على اختراع الجملة المركبة أن يكون للفظ المأخوذ معنى بديعيا.

حيث تدخل الاستعارة حسب الاصطلاح المعروف في زمن الحصري، والذي يعتبر الاستعارة من البديع[4].

يقول ابن رشيق: " إن أهل التحصيل مجمعون على أن السرقة إنما تقع في البديع النادر ، والخارج عن العادة ، وذلك في العبارات التي هي الألفاظ".[5]

وفي هذا الشأن يرى الدكتور مصطفى هدارة" أن الأدباء قيدوا إجراء السرقة في الألفاظ بأن يكون فيها معنى بديعي,وذلك منذ أخذت مشكلة السرقات تتحول من دائرة النقد إلى فن البلاغة ابتداء من القرن الرابع الهجري، أو منذ عهد ابن المعتز(247–296)على وجه أدق"[6] أدق"[6]

ومن النقاد الذين أجروا السرقة في البديع نذكر الثعالبي (350–489هـ) وابن رشيق حيث يرى ابن رشيق مثلا أن الألفاظ التي يجري فيها البديع,أو بعض صور البلاغة فلا مدخل للسرقة فيها,

---

[1] فؤاد افرام البستاني – الروائع –عنترة بن شداد – منشورات دار المشرق – بيروت (1982) – ص 430.

[2] الحصري : زهر الآداب وثمر الألباب – ج2 ص 741.

[3] جلال الدين السيوطي– المزهر في علوم اللغة و أنواعها –تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، أحمد جاد المولى ، محمد علي البجاوي –دار إحياء الكتب العربية –القاهرة –ج1 ص 14.

[4] الآمدي – الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري – تحقيق : أحمد صقر –دار المعارف –القاهرة(1972) ج1 ص 55.

[5] إبن رشيق– قراضة الذهب ي نقد أشعار العرب– تحقيق: الشاذلي بويحية– الشركة التونسية للتوزيع (1972)–ص12

[6] د. مصطفى هدارة – مشكلة السرقات في النقد الأدبي – ص 97.

ولهذا استفتح ابن رشيق كتابه"قراضة الذهب" بنقد لاذع لما رماه بالسرقة من عبد الكريم النهشلي قوله :

إذا ضربت فيه الطبول تتابعت به عذب تحكي ارتعاد الأصابع

تجاوب نوح بات يندب شجوه وأيدي ثكالي فوجئت بالفواجع

بينما يقول عبد الكريم النهشيلي وهو يصف ما يحدث عند اندفاع الجدول في الماء من تلك الرغوة والزبد:

قد ضاع فيه الغمام أدمعه درا ورواه جدول غمر

يجيش فيه كأنما رعشت إليك منه أنامل عشر[1]

يتحدث الذين يتهمون ابن رشيق بالسرقة كونه ذكر ارتعاد الأصابع، والنهشلي ذكر ارتعاش الأنامل ، ففيه تقارب في الألفاظ.

و مؤدي هنا الانتقاد أنه ليس وراء هذا التقارب معنى بديعي. ويعتبر اللغوين أو معظمهم على الأقل استعمال الألفاظ اللغوية المفردة نقلا لغويا ، ويعتبرون تركيب الألفاظ من عمل الأفراد ، ذلك أن اللغة تنقل المفردات ولا تركب الجمل وما دام تركيب الجمل من عمل الأفراد فينبغي ذلك أنها تدخل فيه السرقة لأن الابتكار من عمل الأفراد.

ويدخل في حكم أخذ الجمل المركبة النسج على منوالها امرئ القيس .

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

حيث وصف امرئ القيس فرسه بقيد الأوابد ، ذلك أنه يقيدها لأنه يسبقها فما دام يسبقها فقد قيدها، ولقد حذا كثير من الأدباء حذو هذا المنوال، وخلعوا أوصافا تماثلها شاعت في بطون الكتب من مثل:" تحفة قادم, عيادة مريض ، واسطة عقد ، شرك العقول، عقلة الظبي، قيد النواظر، حتف المثقل ، أجل الظليم ، ربقة السرحان ، درك الطالب ، منجى الهارب ، قيد الرهان ، قيد الأبصار ، أمد الأفكار، نهاية الاعتبار ، لمعة بارق".[2]

---

[1] **ابن رشيق – قراضة الذهب في نقد أشعار العرب – ص 12،14.**

[2] **الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1 ص 9 ، ص13.**

يرى الحصري أن كل هذه الألفاظ مأخوذة من قول امرئ القيس " قيد الأوابد" إذ يقول الحصري " وأول من استثار هذا المعنى امرئ القيس بن حجر الكندي في قوله :" وقد أغتدي والطير (...).[1]

ولا نستشف من عبارة الحصري هذه ما يدل على أنها سرقة، بحيث أنها لا تندرج تحت أي نوع من السرقات عند الحصري, بل تعتبر من مفردات اللغة الشائعة كما استبان ذلك عن الجمل المركبة سابقا.

وإذا كانت الجملة المركبة غير شائعة الاستعمال فإنه يجري فيها حكم السرقة لأنها تعتبر من المبتكرات، ويدل الحصري على ذلك بهذين البيتين اللذين نقلهما لأحد المحدثين:

بدعا من السحر الحلال تولدت عن ذهب مصقول الذكاء مشوفه

مثلا لضاربه ، وزاد مسافر جعلت ، وتحفة قادم لأليفه

ويعلق الحصري قائلا : وعلى ذكر" تحفة قادم" قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :" وصف رجل رجلا فقال : كان والله سمحا سهلا ، كأنما بينه وبين القلوب سببا ، أو بينه وبين الحياة سبب ، إنما هو عبادة مريض ، وتحفة قادم ، وواسطة عقد".[2]

فعبارة" تحفة قادم " لم تشتهر بين عامة الأدباء إلى يومنا هذا ، وقد توجد أحيانا في بعض الكتب ، لكنها ليست جارية على ألسن الأدباء ،ولولا ما نقله الحصري عن إسحاق وإبراهيم لقنا أن ذلك الشاعر المحدث وهو غير معروف أو مشهور فيما يبدو، هو مبتكر ذلك العبارة. وهذا يبين أنه إذا لم يكن الأخذ في الجمل المركبة فالأحرى أن لا يكون الأخذ في الألفاظ المفردة لأنها ملك الجميع .

4-صور السرقات الأدبية في " زهر الآداب".

1.4 السرقة الصريحة :

ونعني بها الأخذ الذي يجري فيه حكم السرقة كالمعاني والأخيلة والجمل المبتكرة، ولا يوجد في هذا الأخذ وسيلة من وسائل إخفاء السرقة كالقلب والتقديم والتأخير والإلمام ببعض المعنى وما أشبه ذلك.[3]

---

[1] **المرجع نفسه- ج1 ص 10.**

[2] **المرجع السابق- ج1 ص9**

[3] **بدوي طبانة – مشكلة السرقات الأدبية – ص177.**

ونجد الحصري يقدم لنا شواهد من هذه السرقة دون أن يفصح عنها صراحة فهو يقول عن بيت أبي دعبل الجمحي .

نزر الكَلاَم مِنَ الحياء تخالـــه ضَمَنِا وليس بجسمه سقـمٌ

بأنه أخذه من قول ليلى الأخيلية (..- 80هـ) :

وَمُمزق عنه القميص تخاله وَسَط البيوتِ مِن الحَياءِ سقيما[1]

ولا شك أن الحصري يعني بالأخذ معنى البيت ، كما يقول عن بيت أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُوِيَت أتاح لها لسانَ حسُـودِ

أن البحتري أخذه فقال :

ولن تستبين الدهر موضوع نعمة إذا أنت لم تدلل عليها بحاسـد[2]

ولا شك أن البحتري حاول إخفاء أخذه باختلاف اللفظ ، ولكن المعنى المأخوذ ظهر جليا ، وقد نقل ذلك الآمدي في كتابه "الموازنة بين الطائيين"[3] واعتبره سرقة واضحة.

ولقد يعمد الشاعر إلى الاتفاق مع شاعر آخر في المعنى ، والاشتراك معه في أغلب الألفاظ كقول محمد بن وهيب(..-225 هـ) .

قال الحصري : أخذ معنى البيت أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي فقال :

والمشرقات النيرات ثلاثة الشمس والقمر المنير،وجعفـر[4]

كما يبين الحصري عن اشترك آخر في معظم الألفاظ ، مع اتحاد المعنى كقول ابـن هـانئ الأندلسي: المدنفان من البرية كلهـــــــا وطرف بابلي أحـــــــــور

قال الحصري : إنه مأخوذ من قول ابن الرومي :

ليـس في الأرض عليـــل غيـر جفنيـك وجسمـــــي[5]

ويسوق الحصري بيت البحتري :

كأن سناها بالعشي لصحبـــها تبلج عيســى حين يلفظ بالوعـد

---

[1] الحصري :زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1، ص 180.
[2] المصدر نفسه – ج1 ص 202.
[3] الآمدي : الموازنة بين الطائيين – ج1 ص 324.
[4] الحصري: زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2، ص 648.
[5] المصدر السابق – ج2، ص648.

ويعلق الحصري قائلا : يقول أحد المتحمسين للبحتري عن هذا البيت : ومن ذا الذي لطف لأن يخرج من وصف روض إلى مدرج فقال أحسن من قوله: يعني أحسن من هذا البيت .

فلقد أجاب الحاتمي عن ذلك بقوله : إنه نظر فيه إلى قول دعبل بن علي (148-246 هـ) :

وميثاء خضراء رزبيـــة بها النور يلمع في كـل فـن
ضحوكا إذا لاعبته الرياح تأود كالشـارب المرجحـــن
فشبه صحبي سنا نورهـا بديباج كسرى وعصب اليمن
فقلت بعـدتـم ولكننـي أشبهه بجانب الحســـــــن[1]

ونلاحظ هنا أن الحصري ينقل هذا الرأي موافقا للحاتمي على أنه سرقة، كمـا يبـرز لنـا الحصري قول إدريس بن أبي حفصة يصف إبلا :

لها أمامك نـور تستضيء به ومن رجائك في أعناقها حادي
لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الرتوع وتلهيهـا عن الزاد

قال عنه الحصري : وأصله قول عمرو بن شأس الأسدي (نحو 20 هـ)

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا كفى لمطايانا بوجهك هاديـا
أليس يزيد العيس خفة أذرع وإن كن حرى أن تكون أماميا[2]

ويبني الحصري حكمه كون السـرقة واضـحة لأن كـلا البيتـين تنـاول معنيـين همـا: اهتداء الإبل بنور الممدوح، وسرعتهن لرجائـه.كما يسوق الحصري قول القطـامي (.... 130هـ) يصف مطيئة:

إن ترجعي من أبي عثمان منجحة فقد يهون على المستنجح العمل

قال الحصري عنه : ومن قول القطامي أخذ الآخر قوله :

إذا ما تعنى المرء في إثر حاجة فأنجح لم يثقل عليه عناؤه[3]

وعندما يورد الحصري قول السمط بن أبي حفصة :

فتى لا يبالي المدلجون بنوره إلى بابه ألا تضئ الكواكب:

فإنه يعلق على ذلك بقوله : أخذه من قول جده مروان بن أبي حفصة الأكبر(105-182 ه).

---

[1] المصدر نفسه –ج2 ص 507.
[2] المصدر نفسه – ج2 ص 591
[3] المصدر نفسه– ج2 ص 591

إلى المصطفى المهدي خاضت ركابنا دجى الليل يخبطن السريحا المجذما

يكون لـــها نـــور الإمـــام محمـــــد دليلا به تسرى إذا الليل أظلمـــــــا[1]

ولا شك أن الحصري يعزو السرقة إلى تقارب المعنى ولذلك استعمل كلمة " أخذ" ،كما أنه لم يتطرق إلى زيادة الحفيد، فإذا كان الجد يشبه نور الإمام بنور القمر إذا أظلم الليل ,فإن الحفيد يرى أن المدلجين لا يهتمون بالكواكب إذا لم تضيء .

والملاحظ أن الحصري يتلطف في نعت الشاعر بالسرقة ويكتفي بكلمة الأخذ"، ومثال ذلك ما أورده من قول ابن المعتز : الموت سهم مرسل إليك ، وعمرك بقدرة سفره نحوك ، ويعلـــق الحصري بقوله : أخذه بعض أهل العصر فقال :

فالموت سهم مرســـــل والعمر قدر مسافتـــه[2]

ويلاحظ أن الأخذ آتيا من ناحية اللفظ والمعنى جميعا.

ويرى الحصري أن قول القطامـــــــي :

والناس من يلق خيرا قائلون لـــه ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل

مأخوذ من قول المرقش :

ومن يلف خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما[3]

ومؤدّى بيت المرقش أن من يفعل الخير يمدح، ومن يفعل الشر يذم، ولكن القطامي يرى أن المحسن يتملك قلوب الناس ، ويخضعون له ، بينما يدعون على المسيئ وعلى أمـــه بالثكـــل والنكال .

ولكن الحصري لا يعتبر اللاحق مجيدا، بل إن منهجه في الغالب يعتمد على تقـــديم الســـابق مهما أجاد اللاحق.

لقد كان الحصري كما ألمحنا إلى ذلك من قبل مولعا بتتبع السرقات الأدبيـــة بشـــكل عـــام، والسرقات الشعرية على وجه الخصوص ، وكان يرى أن السرقة إنما تكون في الشعر والنثر على حد سواء ويعتقد أن السرقة تتمثل في أخذ معنى من المعاني التي سبق إليها المتقدمون، وبالتالي فإن المتأخرين لا شك قاصرون عن بلوغ شأوهم.

---

[1] **المصدر نفسه – ج1 ، ص 507.**

[2] **المصدر نفسه – ج2، ص 864.**

[3] **المصدر نفسه – ج2 ص 592.**

ولذلك فهو لا يفتأ يتصيد المعاني أو الألفاظ التي يتواردها الشعراء عن بعضهم الــبعض أو يأخذها اللاحق عن السابق.

نجده يعرض لقول ابن الرومي وهو يصف طول خصائل الشعر :

وفاحم وارد يقبل ممشاه إذا اختال مسبلا غـــــدره

حتى تناهي إلى مواطئه يلثم من كل موطئ عفــره

كأنّـــه عاشق دنا شغفا حتى قضى من حبيبه وطره

قال الحصري : أخذه بعض أهل العصر وهو محمد بن مطران فقال :

ضباء أعارتها الظبا حسن مشيها كما قد أعارتها العيون الجــآذر

فمن حسن ذاك المشي قامت فقبلت مواطئ من أقدامهن الغدائـــــر[1]

وهنا يتبدى المعنى فريدا وواحدا في الأنموذجين ذلك أن ابن الرومي يرى أن الغدائر قبلــت موطئ قدم صاحبة الخصائل كأنها عاشقة لها، على حين يرى محمد بن مطران أن الغــدائر قبلت موطئ ذات الغدائر إكراما لحسن مشية صاحبة الغدائر .

ثم يرى الحصري أن قول المنصور للربيع " سلني ما تريد فقد سكت حتى نطقت، وخففــت حتى ثقلت" يرى الحصري أن" أبو تمام أخذه فقال لمحمد بن عبد الملك الزيــات(173-233 هــ).

فثقلت بالتخفيف عنك وبعضهم يخفق في الحاجات حتى يثقلا[2]

ولا شك أن الحصري يعزو أخذ أبي تمام الجملة المركبة بداعي عدم تداولها أثرا ، ثم هــو يسوق بعد ذلك قول كشاجم :

كل اللباس عليها معرض حسن وكل ما تتغنى فهو مقتــرح

يعلق عليه الحصري قائلا : هذا من قول ابن المعتز :

وغنت فأغنت عن المسمعين واربح بالطرب المجلــس

محاسنها نــزهة للعيـــون ومعرضها كل ما تلبـــس[3]

---

[1] **المصدر السابق – ج2،ص596.**

[2] **المصدر نفسه – ج 1، ص 544.**

[3] **المصدر نفسه – ج2 ص 612**

وإذا اللباس مما يعرض هذا المرأة للحسن يدخل في المشترك من المعاني، غير أن الحصري إنما يجري فيه السرقة في الأغلب كون الموضوع يتعلق بمنح مطربة، ثم مدح حسن المنظر والإسماع على التحديد، وكشاجم إلى ذلك يقتفي نحو ابن المعتز في أوصافه وهذا مشـــهور بين مؤرخي الأدب، ومثال أخر يضربه الحصري على أخذ الشعراء من بعضهم، ومـــؤدى ذلك مدح بشار بن برد لعمر بن العلاء.

إذا أيقظتك حروب العـــدا فنبه لها عمرا ثـــم نـــم

دعاني إلى عمر جـــــوده وقول العشيرة بحر خضم

ولو لا الذي ذكروا لم أكن لأمدح ريحانة قبل شـــم

فتى لا يبيت على دمنـــة ولا يشرب الماء إلا بـــدم

حيث يرى الحصري أن أبا سعيد المخزومي أخذه فقال:

وما يريدون لولا الجبن من رجل بالليل مشتمل بالجمر مكتحل

لا يشرب الماء إلا من قليـــب دم ولا يبيت له جار على وجل [1]

ويلاحظ أن أبا سعيد المخزومي أخذ معظم اللفظ من بشار، إضافة إلـــى أن المعنيـــين فـــي غرض واحد وهو المدح .

كما أن الحصري وهو يورد قول الحسن البصري (21–110ه) يا أبا سعيد ما نراك تلحـــن! قال سبقت اللحن .

يرى قائلا : أخذه أبو العتاهية وقيل له: إنك تخرج في شعرك عن العروض فقال : ســـبقت العروض.[2]

وإذا كنا نرى هنا أن الحسن البصري يقصد بكلامه سرعة بديهته وأسر بيانـــه، فـــإن أبـــا العتاهية يبالغ في إظهار ألمعيته الشعرية، ولعل ذلك لا يدرج تحت طائلة الأخذ بقـــدر مـــا نجعله يحتذي مثال البصري، كما يقول الحصري : ولأهل العصر : الدنيا معشـــوقة,ريفهـــا الراح,أخذ هذا المعنى من قول ابن الرومي في صاعد بن مخلد :

فتى هاجر الدنيا وحرم ريقها وهل ريقها إلا الرحيق المورد

---

[1] **الحصري : زهر الآداب وثمر الألباب – ج1، ص330.**

[2] **المصدر نفسه – ج1 ص 720.**

ولو طعمت في عطفه ووصاله أباحته منـــها مرشفا لا يصرد[1]

والحصري يطلق كلمة " الأخذ" على هذا النوع من السرقة، ولا يبين كعادته عن مكمن الأخذ بالتعليل الشافي، ولكنه يسرق كلاما أشبه شيئا بالمأثورات حين يقول : الخمر أشـــبه بالـــدنيا لاجتماع اللذات والمرارة فيها,لكل شيء سر, وسر الراح السرور,لا يطيب المدام الصـــافي, إلا مع النديم المصافي .

والملاحظ أن الحصري ليس لديه تقسيمات للسرقات,أو تحديـــدا لأنواعهـــا ومصـــطلحاتها المتعارف عليها عند النقاد بدء بأبن قتيبة الذي[2] وإن لم يؤسس للمصطلح النقدي إلا أنه أبان عن هذا الحس، كما جاء أبو هلال العسكري متناولا لبعض المصطلحات النقديـــة قبـــل أن تتبلور المصطلحات النقدية وبوضوح على يد تلميذ الحصري ابن رشيق ، وقبـــل أن نكمـــل الحديث نشير إلى أن الحصري اعتبر المطوعي آخذا قوله في وصف يوم ممطر : " فلما سل سيف الصبح من عمد الظلام " من قول أبي الفتح البسيتي ":

رب ليل أغمد الأنوار إلا نـــور ثغـــر أو مـــدام أو نـــدام

قد نعمنا بدياجيه إلى أن سل سيف الصبح من غمد الظلام

والحصري يعبر عن هذا بكلمة الأخذ ، غير أن هذا النوع من السرقة يدخل في باب الإهتدام حسب إصطلاح الحاتمي ، و إبن رشيق[3] ، و عند أبي هلال العسكري[4] ، تعتبر ذلـــك مـــن السرقات القبيحة، باعتبار المطوعي أخذ اللفظ و المعنى معاً .

2.4- الإلمام ، النظر و الملاحظة.

أثناء تتبعنا لقضية السرقات الأدبية في كتاب " زهر الآداب" رأينا الحصري يورد أمثلة لكل من الإلمام ، النظر، الملاحظة ، ولكنه لا يعرف أي منها .

ويشير الدكتور عبده قلقيلة إلى أنه أخذ تعريفات هذه المصطلحات من خلال التفريـــق بـــين الأمثلة التي ذكرها الجرجاني حيث يقول : " ويمكن أن نفهم منها- أي الأمثلة- أن الملاحظة

---

[1] **المصدر نفسه - ج1 ص 456**

[2] **د.بدوي طبانة : السرقات الأدبية- ص61.**

[3] **أنظر – العمدة – ابن رشيق – ص 532**

[4] **أنظر – كتابة الصناعتين – أبو هلال العسكري – ص 74**

هي التقليد والمحاكاة لا في التفكير والتعبير، ولكن في طريقتهما".[1]

ثم يضيف الدكتور عبده قلقيلة" وقد فهمت من كلام الجرجاني عنه وتمثيله له أنه شيء بين الملاحظة والإلمام أو هو مزيج متعادل منهما ، وقد ذكرنا أن الإلمام أخذ في خفاء، وأن الملاحظة تقليد ومحاكاة ، ونذكر هنا أن التناسب قد جمع بينهما في شيء من المساواة".[2]

غير أن ابن رشيق يجعل الإلمام ضربا من النظر حيث يعرفه: " أن يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتقاوما ثم يصحا جميعا ، وذلك من افتنان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم"[3]

أما الملاحظة" فيعرفها بأن يتساوى المعنيان دون اللفظ مع إخفاء الأخذ".[4]

لكن الحصري كما أسلفنا لا يعرف المصطلحات وإنما يورد الأمثلة والنماذج ولذلك نستطيع أن نستشف من نماذجه أن الإلمام عنده هو المحاذاة التي يتم بها تساوي المعنيين من إخفاء هذا الإلمام بنقل المعنى من غرض إلى غرض ، عندما يكون الإلمام مزيجا من الاحتذاء والقلب ولذلك يذكر قول أبي الفتح البستي :

لما أتاني كتاب منك مبتسم عن كل بر ولفظ غير محدود
حكت معانية في أثناء أسطره أثارك البيض في أحوالي السُّودِ

ثم قال : كأنه ألم بقول الطائي :

يرى أقبح الأشياء أوبه أمل كستها يد المأمول حله خائب
وأحسن من نور تفتحه الصبا بياض العطايا في سواد المطالب[5]

والمتأمل لهذين القولين – استخلاصا لمعرفة الإلمام–يرى أن البستي يعبر ع الكتاب الناص على عطية أنه مبتسم_ ويجد الطائي يشبه هذا الكتاب بأنه أحسن من نور تفتحه الصبا ذلك أن النور يعطي معنى التبسم.

ثم نلاحظ أن البستي يعبر من بياض العطايا بالآثار البيض، ويعتبر عن سواد المطالب بالأحوال السود ، ذلك أن المطالب وهي الاستجداء هنا تكون مقرونة بسواد الأحوال.

---

[1] **د. عبد الله قلقيلة– القاضي الجرجاني و النقد الأدبي – ص 343**
[2] **المرجع نفسه – ص 344**
[3] **ابن رشيق– العمدة – ص 384.**
[4] **المصدر نفسه – ص 386.**
[5] **الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1، ص 135.**

ولذلك فإن الصورة المشابهة بين تفتح النور وابتسام الكتاب تدلان على الإلمام حسب ما يراه الحصري.

ويأتي الحصري بكافية ابن الرومي في التشوق للوطن التي يقول فيها :

عهدت به شرح الشباب ونعمه بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا

وقوله: بلد صحبت به الشبيبة والصبا.

ثم ذكر قول رجاء بن هارون العكي :

أحن إلى وادي الأراك صبابة لعهـــد الصبافيـــه وتذكـــار أول

كأن نسيم الريح في جنباتـــه نسيم حبيب أو لقاء مؤمّـــــــل

ثم قال : قال أبوبكر الصولي :" ولست أشك أنه يعني شعرا بن الرومي من قول رجاء أخذ، وبه ألم ، وعليه عول، لأنه– في تناوله المعنى – غريب الأخذ – غائر السهم، لا يعـــارض معنى معروفا ، إذا أنشد علم الناس أنه معدنه الذي انتحته منه " [1]

والحصري عندما ينقل تعليق الصولي لا يزد عليه أو يعلق عليه مما يدل على أنه مطمئن له آخذا بمفهومه.

كما يأتي الحصري بقول إبراهيم بن العباس الموصلي : " والله ما اتكلت في مكاتبه قـــط إلا على ما يجلبه خاطري, ويجيش به صدري ، إلا قولي في فصل: وصار ما كـــان يحـــرزهم يبرزهم، وما كان يعقلهم يعتقلهم ، فإني ألممت فيه بقول أبي تمام :

فإن يبن حيطانا عليه فإنما أولئك عقالاته لا معاقلـــه[2]

ثم قال :إبراهيم :" وقولي في رسالة أخرى ، فأنزلوه من معقل إلى عقـــال، وبـــدلوه آجـــالا بآمال، فإني ألممت في هذا بقول الصريع:

موف على مهج في يوم ذي رهج كأنه أجل يسعى إلى أمَل[3]

و لا شك أن وجه الإلمام اعتبار من يسعى إلى أجله كمن يستبدل أملا بأجل.

---

[1] **المصدر السابق – ج2 ص 684.**

[2] **المصدر السابق – ج2 ص 1019.**

[3] **المصدر نفسه – ج2 ص 1019.**

3.4- إتباع المنهج :

يرى الدكتور عبده قلقيله أن الجرجاني أول من فرق بين السرقة والتأثر.[1]

ولقد أشار الحصري إلى نماذج كثيرة من الاحتذاء .

قال عن بشار بن برد : "إنه أستاذ أبي نواس يحتذيه في الأشعار التي وصف بها ترك الشراب ,وطاعتة لأمر الأمين ,فهو يصب على قالبه, ويترسم خطاه".[2]

ويقول مرة أخرى عن أبي نواس " أستاذ الناس في هذا الشأن"[3] والأستاذية تعني أن من أتى بعد أبي نواس قد أقتفى أثره وانتهج دربه في وصف الخمر.

كما أن الحصري يوافق الجاحظ في رأيه عن أدب العتابي(...-220ه) بأنه كان يحتذي حذو بشار بن برد في البديع ولم يكن في المولدين أجود بديعا من بشار وابن هرمة"[4]

ومن باب الاحتذاء أيضا ما أورده الحصري بقوله: "إن الأضبط بن قريع كان سيدا في بني سعد ، وكانوا يشتمونه ويؤذونه ، فانتقل إلى حي من العرب فوجدهم يؤذون سادتهم فقال:"حيثما أوجّه ألف سعداً، فأرسلها مثلاً.[5]

كما نلاحظ أيضا أن الحصري أبان عن نماذج من شعر الميكالي في تجنيس القوافي :

كأن يأتي ببيت قافية " تسريبه" بمعنى تسربه ويكون البيت الذي بعده قافيته " يسرى به" بمعنى يسير في الليل .

ثم قال :" وعلى هذا الحذو يقول أبو الفتح البستي "[6]ويورد نماذج من شعره في تجنيس القوافي وهو يريد بالحذو إتباع المنهج .

ثم يورد الحصري بعد ذلك رأي البحتري في إتباع المنهج بحذو الكلام إذ يقول الحصري: قال علي بن العباس النوبختي (...-327ه) قال البحتري: أتدري من أين أخذ الحسن قوله :

ولم منهم غير ما شهدت به بشرفي ساباط الديار البسابس

---

[1] أنظر دلائل الإعجاز -عبد القاهر الجرجاني – تحقيق: محمد محمود الشنقيطي- دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – ص 360.

[2] الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب- ج1،ص417.

[3] المصدر السابق- ج1 - ص 459.

[4] المصدر نفسه – ج1- ص620

[5] المصدر نفسه -ج1- ص 504

[6] المصدر نفسه – ج1 ص 505

فقلت لا : قال من قول أبي خراش.

ولم أدر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل على واحد محض

فقلت ، المعنى مختلف : فقال : أما ترى حذو الكلام واحدا وإن اختلف المعنى [1].

غير أن كثرة الإتباع في المنهج لا يعتبر عيبا يضيق به الشاعر، فأبو تمام يعتــرف بأخــذه واتباعه في معانيه لكثير ممن سبقوه إلى تلك المعاني ، ولوكان في هذا الأخذ شيء من العار لما وسعهم إلا الإنكار".[2]

إن اتباع المنهج يشمل أيضا " لفت النظر " وذلك أن يتناول أديب ما قضية ما قد لا تخطــر ببال الآخرين,فيأتي أديب آخر بعد ذلك ويتطرق إلى ذات الموضوع بعبارات ومعان آخر[3].

ويضرب الحصري مثالا لذلك بقول بديع الزمان الهمداني في كتابه إلى بعض أهل همــذان "كتابي أطال الله بقاك عن شهر رمضان, عرفنا الله بركة مقدمه ,ويمن مختتمــه ، وخصــك بتقصير أيامه ، وإتمام صيامه وقيامه ، فهو وإن عظمت بركته ثقيل حركته ، وإن جل قدره، بعيد قعره ، وإن عمت رأفته,طويل مسافته ، وإن حسنت قربته ، شديد صحبته ، وإن كبرت حرمته ، كثير حشمته ، وإن سرنا مبتداه ، فلن يسوءنا منتهاه ، فإن حسن وجهه، فليس يقبح قفاه، وما أحسنه في القذال فلكه تحريكا، تنقضي مدته وشيكا ، وأظهر هلاله نحيفا ، ليــزف إلى اللذات زفيفا ، وعفا الله عن مزح يكرهه ومجون يسخطه[4] ".

قال الحصري : "عول البديع في هذا الكلام على قول أبي الفضل بن العميد في رسالة له في مثل ذلك:" أسأل الله أن يعرفني بركته ، ويلقيني الخير في الخير في باقي أيامه وخاتمتــه، وأرغب إليه في أن يقرب على الفلك دوره، ويقصر سيره، و يخفف حركته،و يعجل نهضته، وينقص مسافة فلك دائرته, ويزيل بركة الطول عن ساعاته, ويرد علي غرة شوال, فهي أسني الغرز عندي، وأمرها لعيني, ويطلع بدره ، ويريني الأيدي متطلبــة هلالــه ببشــر، ويسمعني النعي لشهر رمضان ، ويعرض علي هلاله أخفى من السحر ، وأظلم من الكفر،

---

[1] المصدر السابق – ج2 – ص 739

[2] الخطيب القزويني – الإيضاح – شرح : د. محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتاب اللبناني (1971م) – ص 557.

[3] أنظر الصناعتين لأبي هلال العسكري – تحقيق علي البجاوي – القاهرة (1971) – ص 220 – ص221

[4] الحصري– زهر الآداب و ثمر الآداب – ج1،ص 538.

وأنحف من مجنون بني عامر، وأبلى من أسير الهجر، وأستغفر الله جل وجهه مما قلت إن كرهه[1] " .

ولا شك أن البديع يكون اطلع على إرساله ابن العميد للاشتراك في بعض الألفاظ والمعاني والحصري كثيرا ما يورد هذه النماذج يبغي من خلالها حسد الأشباه والنظائر، حيث يردد قوله : هذا البيت نظير هذا البيت ,أو شبهه,أو هذا البيت يناسب هذا البيت أو قال فلان في هذا المعنى ,أو من هذا المعنى .

فهو يورد قول البحتري :

إن غار فهو من النباهة منجد أو غاب فهو من المهابة شاهد

ثم يعقب قائلا : وقال أعرابي يصف رجلا : كان إذا ولى يطابق بين جفونه, ويرسل العيون على عيونه, فهو غائب عنهم شاهد معهم[2].

كما ورد الحصري قول عمر بن أبي ربيعة (23 –93 هـ)

فلما توافقنا وسلمت أقبلت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعها

قال الحصري : يقول : "هذه الوجوه مدله بجمالها, فلا تختمر فتستر شيئا عن الناظرين إليها, وقد أشار إلى هذا المعنى الشامخ بن ضرار(..–22 هـ) يصف ناقته :

بها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا[3]

ونلاحظ هنا أن هذا التنظير يدخل في باب المعنى المشترك ذلك أن الناس يقولون : يأبى هذا الحسن أن يتقنع ,ولذلك فإن الأمر هنا لا يتعلق بالأخذ بل هو من المعاني المشتركة.

5.4–الإغـــــــارة:

الإغارة وتسمى بالاجتلاب : وهو أخذ البيت بلفظه ومعناه ،أو بتحوير قليل من لفظه حسب اصطلاح الجحمي، وجرير (28 –110 ه) ويسمى عندا الحاتمي وابن رشيق بالانتحال[4] وأحيانا يمدح الشعراء شخصا بقصيدة ثم يحولها الشاعر نفسه في مدح شخص

---

[1] المصدر نفسه – ج1 – ص 538 – ص 539

[2] المصدر نفسه – ج2 – ص779

[3] المصدر نفسه – ج1– ص257

[4] ابن رشيق العمدة – ص 284.

آخر فيكون الشاعر أغار على شعره هو كما فعل ابن زيدون.[1]

والحصري يسوق الأمثلة العديدة على إغارة الشعراء على أشعار بعضهم البعض، فنراه يورد هذين البيتين لابن بسام :

لا أظلم الليل ولا أدعي أن نجوم الليل ليست تفور

ليلي كما شاءت فإن لم تزر طال وإن زارت فليلي قصير

يقول الحصري : وإنما أغار ابن بسام على قول علي بن خليل فلم يغير إلا القافية :

لا أظلم الليل ولا أدعي أن نجوم الليل ليست تزول

ليلي كما شاءت قصير إذا جادت وإن ضنت فليلي طويل

ويعلق الحصري على ذلك بقوله وهذه السرقة كما قال البديعي في التنبيه على أبي بكر الخوارزمي في بيت أخذ رويه وبعض لفظه : "وإن كانت قضية القطع تجب في الربع, فما أشد شفقتي على جوارحه أجمع، ولعمري إن هذه ليست سرقة ، وإنما هي مكابرة محضه، وأحسب أن قائله لوسمع هذه لقال: هذه بضاعتنا ردت إلينا,فحسبت أن ربيعة بن مكدم، وعيينة بن الحارث بن شهاب ، كان لا يستحلان من البيت ما استحله ، فإنهما كان يأخذان جله ، وهذا الفاضل قد أخذ كله ".[2]

وهنا يعتبر الحصري هذه السرقة– سرقة ذميمة – ذلك أن ابن بسام لم يجهد نفسه ولم تسعفه قريحته فبادر إلى الخداع من خلال الإحاطة بقول علي بن الخليل وتعيير القافية،ويدخل في هذا النطاق ما قاله الحصري مثلا عن علي بن عبيدة من أنه " كثير الإغارة على ما كان غيره قد استثاره".[3]

6.4- الاغتصاب :

والذي يدخل في باب الأخذ وليس بسرقة فهو الغصب أو الاغتصاب[4]:

وندلل على ذلك ما ذكره الحصري عن الحسين بن الضحاك الخليع(162–250ه) : قال: أنشدت أبا نواس قولي :

---

[1] أنظر محمد سعيد كيلاني في مقدمته لديوان ابن زيدون– ص 37.

[2] ا لحصري زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2، ص 749.

[3] ا المصدر نفسه – ج1، ص 427

[4] ابن رشيق – العمدة – ص 536

وشاطري اللسان مختلف التكريه شاب المجونة بالنســك

فلما بلغت فيـــــه:

كأنــما نصب كأسه قمـــــر بكرع في بعض أنجم الفلك

نعر نعرة منكرة فقلت : حالك فقد رعتني فقال : هذا المعنى أنا أحق به منك ، ولكن ســترى لمن يروى ، ثم أنشد بعد أيام:

إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا

فقلت هذه مطالبي يا أبا علي فقال : أتظن أنه يروي لك معنى مليح وأنا في الحياة ".[1]

والملاحظ أن هذا من اغتصاب المعاني, وقد يكون الاغتصاب باللفظ والمعنى معا, كما روى أن جميلا قال :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفــنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

فقال الفرزدق (..-110 ه) :" أنا أحق بهذا المعنى وأخذه غصبا".[2]

والذي يظهر من مقولة الفرزدق أنه يعتبر نفسه أشرف من جميل نسبا ولذلك وجب الاستئثار بهذا الفخر.

ولقد أثر عن كثير من الشعراء المشهورين ممن يسمعون البيت فيقولون :" نحن أولى به اعتمادا على صبتهم الأدبي ومطاوعة الرواة لهم ".[3]

وينظر النقاد إلى هذا النوع المسرح به على رؤوس الأشهاد أخذا ، ولا يــدخل فــي بــاب السرقة ، ذلك أن السرقة في عرف اللغة والفقهاء تعني الأخذ بإخفاء وهؤلاء لم يروا نحــوا ولم يواربوا ، وإنما صرحوا بأخذهم في غير لبس ولا توريه، بل اعتقدوا أنهم الأولون به ما داموا كسبوا قصب السبق في فن القريض فكان لزاما عليهم أن يخرجوا هذا الأخذ في أبهى حلة، وأنبل طراز، وذلك ما لم يستطعه مخترعو الفكرة المأخوذة.

7.4-الاقتبــاس .

ويمثل الحصري لذلك بقول عثمان بن عفان رضي الله عنه من جملة كتاب بعث به إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله : " ولم يغلبك كمغلب " .

---

[1] الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب-ج1- ص 417.

[2] عبد القاهر الجرجاني -الوساطة بين المتنبي و خصومه- ص 193.

[3] د. مصطفى هدارة – مشكلة السرقات في النقد الأدبي – ص 27

فيراه الحصري مقتبسا من قول امرئ القيس :

فإنك لم يعجز عليك كفاجر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

ويعلق الحصري على ذلك بقوله : إن قول عثمان من قول امرئ القيس ولم يسمه اقتباسا مع أن هذه هي صورة الاقتباس.[1]

كما يسوق الحصري اقتباسا آخر لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه من أبيات نسبت إلى علي بعد قتله عمرو بن عبد ود في وقعة الخندق من ضمنها هذا البيت :

وعففت عن أثوابه ولوأنني كنت المقطر بزني أثوابي

يعلق الحصري قائلا : ويشبه قول علي رضي الله عنه " وعففت عن أثوابه " قول عنترة بنن شداد العبسي ".[2]

هل سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعق عند المغنم

بيد أن الحصري لا يشير إلى الاقتباس صراحة .

ومثل ذلك ما أورده الحصري من قول عمر بن معد يكرب (..-21 ه)

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

فاقتبسه العباس بن الوليد فقال :

عذيرك من خليلي من مرادي أريد حياته ويريد قتلي

ونلاحظ أن الحصري لم يسم كل هذا اقتباسا وإنما قال عن بيت العباس " لم يتفق له في القافية كما قال عمرو فغيره ".[3]

ونلاحظ هنا الأمر يتعلق باقتباس واضح وليس بمدى استقامة القافية، كما يبرز الحصري مثلا آخر عن الاقتباس وإن لم يشر إليه صراحة عندما يأتي بقول أبي نواس:

صحت علانيتي له وأرى دين الضمير له على حرف

---

[1] **الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1- ص500.**

[2] **المصدر نفسه-ج1- ص45.**

[3] **المصدر السابق –ج1- ص 38.**

فهذا بالتأكيد اقتباس من الأية الكريمة :﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ [1]ولم يسم الحصري ذلك اقتباسا ويلحق ذلك بالسرقة.

8.4- إخفاء السرقة عن طريق القلـــــــب

يعتبر قلب المعاني حيلة من حيل الأدباء في إخفاء سرقاتهم.[2]

لذا نعثر على الحصري في أكثر من موضع في" زهر الآداب" وهو يورد نماذج عن قلب المعاني، والحصري يعتبر القلب وإن أخفاء الشاعر سرقة أدبية حيث يقول : "وقلب المعنى إذا تمكن الشاعر من إخفائه يجري في السرقة".[3]

يورد الحصري قول مسلم بن الوليد يهجو قومه :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم بقبح المخبر

و مؤدى البيت أن مناظرهم قبيحة ، فلما خالطهم انكشفت بشاعة مخبرهم فهان عندها قبح مظهرهم ، يرى الحصري أن أبا الطيب قلبه في مديحه فقال :

و استنكر الأخبار قبل لقائه فلنل التقينا صغّر الخبر الخبر[4].

وقد يعبر الحصري عن القلب بقوله: هذا البيت كهذا البيت وإن لم يكن في معناه ومثال ذلك أنه ذكر أبياتا لابن الرومي ذكر فيها أنه تعمم ليقي رأسه القر والحر فلما أصاب رأسه القرع جعل العمامة حيلة لستر صلعته ، يقول ابن الرومي :

وأعجب شيء كان دائي جعلته دوائي على عمد وأعجب بأن نفع [5]

ويعنى أن العمامة التي جعلها دواءه أصابته بداء الصلع وهنا يقول الحصري: وهذا كقوله وإن لم يكن في معناه وقد رأيت من ينسبه إلى كشاجم، وذكر فيها أنه رأى في المرأة شيبتين فقلع إحداهما حبا للتصابي، وأظهر الأخرى حتى تظهر براءته بأنه لا يخضب شيبه ثم قال:

فأعجب بالدليل على مشيبي أقمت به الدليل على شبابي[6]

---

[1] سورة الحج : الآية 11.
[2] االجرجاني – الوساطة بين المتنبي و خصومه – ص 206
[3] الحصري –زهر الآداب و ثمر الألباب –ج1– ص392.
[4] المصدر نفسه – ج1– ص394
[5] المصدر نفسه–ج1 ص 394.
[6] االمصدر نفسه– ج1– ص 258.

ثم يبين الحصري عن وجه آخر من وجوه إخفاء السرقة عن طريق القلب عندما يورد قول أبو تمام في الغزل فيقول:

تعطيك منطقها فتعلم أنـــــــه لجنى عذوبته يمر بثغـــــرهـــا

وأظن حبل وصالها لمحبهـــــا أوهى وأضعف قوة من خصرهـــا

قال الحصري : أخذه أبو القاسم بن هانئ فقال يمدح جعفر بن علي إلا أنه قلبه فقال :

قد طيب الأفواه طيب ثنائـــــه من أجل ذا نجد الثغور عذابـــــــا [1]

ورغم أن الشاعرين قد يوجهان المعنى كل بطريقته الخاصة إلا أن الحصري يعبر عن ذلك بصيغة الأخذ دائما .

ومن ذلك قول أبو تمام :

وما القفر للبيد الفضاء بل التي نبت بي وفيها ساكنوها هي القفـــــر

قال الحصري :

أخذه المتنبي فقال :

إذ ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا أفارقهم فالراحلون همـــــــــــوا[2]

والملاحظ هنا أن أبا الطيب قلب المعنى حيث اعتبر سكان الدار هم المسافرون إذا حصل منهم الجفاء، على حين اعتبر أبا تمام الدار هي القفر إذا حصل الجفاء من سكانها.

ومن خلال الشواهد المساقة ندرك أن الحصري يعبر عن السرقة الصـــريحة بالأخـــذ ، إذا عجز الأديب عن إخفائها ، ذلك أن سرقة أبي الطيب واضحة لم يغطها قلبه للمعنى.[3]

كما يورد الحصري قول أبي يعقوب الخريمي، وكان أعمى يرد على فتاة أنكرت تغزله بها:

قالت أتهزأ بي غداه لقيتهـــا يا للرجال لصبوة العميـــــــــان ؟!

فأجبتها : نفس فداؤك إنمـــا أذني وعيني في الهـــوى سيـــــان

ويعلق الحصري على ذلك بقوله : وقريب من هذا قول الحكم بن قنبر وإن لم يكن منه :

العين تبصر من تهوى وتفقده وناظر القلب لا يخلو من النظر[4]

---

[1] **المصدر نفسه – ج1– ص 153.**

[2] **المصدر نفسه–ج1 – ص 386.**

[3] **المصدرنفسه، ج2، ص 815.**

[4] **المرجع السابق – ج1– ص 153**

وإذا كان الحصري يرى أن هذا ليس سرقة لأن المعنى قد يكون مشتركا فقد عبر بصـــيغة " وقريب من هذا" .

كما يبرز قول أبو تمام في الغزل :

تعطيك منطقها فتعلم أنـــــــــــه لجنى عذوبته يمر بثغرهـــــــــا

وأظن جبل وصالها لمحبتهـــــــا أوهى وأضعف قوة من خصرها

قال الحصري :أخذه أبو القاسم بن هاني فقال يمدح جعفر علي إلا أنه قلبه فقال :

قد طيت الأفواه طيب ثنائـــــه من أجل ذا نجد الثغور عذابـــــــــا[1]

ومؤدي القلب هنا نقل المعنى من الغزل إلى المدح، ذلك أن أبا تمام جعل عذوبة رقة المرأة سببا لعذوبة حديثها ، بينما يرى ابن هانئ حسن الثناء على الممدوح سببا لعذوبـــة الأفـــواه اللاهجة بفضله، وعندما يسوق الحصري قول أبي تمام :

وما القفر للبيد الفضاء بلى التـــي نبت بي وفيها ساكنوها هي القفـــر

يقول : أخده المتنبي فقال :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون همُّـــو [2]

فبينما يعتبر أبو تمام الدار هي القفر إذا جفاها سكانها,يقلب المعنى عند المتنبـــي ليـــرى أن السكان هم المسافرون وقد حصل منهم الجفاء, ولا ريب في أن الحصري قد استوعب المعنى ولكنه عبر عنها بصيغة " أخذ".

وقد نجد الحصري كثيرا ما يعبر عن السرقة الواضحة بصيغة " الأخذ" إذا لم يوقف الأديب في إخفائها مثلما صنع المتنبي.

5-مناقشـــة أحكام السرقات :

إن ظاهرة الدراسة في "زهر الآداب" أبرز من ظاهرة التقنين النقدي ، كما أســـلفنا من قبل وسنحاول في هذا الفصل تشبع جمهرة من أحكام الحصري على ســـبيل الاستشـــهاد والاستقراء لا على سبيل الحصر .

---

[1] **المصدر نفسه – ج1- ص16**

[2] **المصدر نفسه ج1- ص 386.**

ونرجو أن يكون تتبعنا هذا يحتفي بتفسير الشواهد وتصور معانيها، مسنودين بما أسلفنا من أمور لا يجري فيها بحكم السرقة ، وعلى رأسها المعاني المشتركة,ولكننا منتبهون إلى بعض أحكام الحصري التعسفية التي يحكم فيها بالأخذ دون إنعام نظر في دلالة النصوص .

ورغم تسجيل الكثير من تعسفات الحصري في الحكم ، فإن المتتبع لما أورده الحصري في كتابه لا يسعه إلا أن يقر للرجل بسعة ثقافته ، وحافظته ، وغزارة اطلاعه، و يتضح ذلك كثيرا في هذه النماذج الكثيرة فهي كفيلة للتدليل على أن الحصري مستوعب لمعلوماته، مستحضر لها غير نائب عما يجري حوله .

يذكر الحصري قول عليه بنت المهدي (160-210 ه)

وضع الحب على الجور فلو أنصف المعشوق فيه لسمج

و قليل الحب صرفا خالصا لك خير من كثير قد مزج

قال وكأنها ذهبت في الأول إلى قول العباس بن الأخنف :

وأحسن أيام الهوى يومك الذي تروع بالهجران فيه وبالعتب

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والكتب[1]

ولو أنعمنا النظر لكلا الأنموذجين لأتضح لنا أن كلاهما يصدر عن تجربة خاصة مما جعل القصدان مختلفين حيث تقول عليه: إن العاشق يجوز في عتابه وإن كان عادلا لأن هذه سنة الحب بيد أن قول العباس لا ينطوي على موافقة أو مضادة لهذا المعنى من قريب أو بعيد, إلا أن يقال : إن في شعر العباس أن المحب إذ روع بالهجران كان ذلك أحسن أيامه ، فإذا نحن عملنا على ربط كلام العباس بكلام علية دللنا على ذلك بمعنى يوجد في شعر علية ولا يوجد في شعر العباس ، لأنه يمكن لنا القول إنما كانت أحسن أيام الهوى أيام الترويع بالهجران لأن الهجران جور ، والحب وضع على الجور ، وهنا نلحظ التعسف,والتكلف مما يأباه الشطر الثاني من قول علية لأنها تقول : إن قليل الحب صرفا خير من كثير ممزوج وهو عكس قول العباس الذي يرى أن الحب الممزوج بالهجران والعتب والسخط أحسن أيام الهوى .

---

[1] **الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1 ص11.**

كما أن العباس يرى أن أحلى الحب ما كان ممزوجا بالمنغصات " وهذا هو القلب" ولكن الحصري لم يقل صراحة بالسرقة ، وإنما تردد في الإشارة إلى ذلك ..لم يجزم به حيث يقول : وكأنها ذهبت إلى قول العباس .

وكثيرا ما يعبر بمثل هذه العبارة في النصوص التي يبدو فيها التعسف في الإحكام حيث يصرح قائلا : وهذا القول كقول فلان... حيث يورد الأنموذجين على سبيل المشابهة لا على سبيل الحكم.

فعند ما يورد قول جميل بن معمر :

لا أحمل اللوم فيها والغرام بها لا حمل الله نفسا فوق ما تسع

يقول عنه: وهذا البيت كقول على بن العباس الرومي :

لا تكثرن ملامة العشاق فكفاهمو بالوجد والأسواق

إن البلاء يطاق غير مضاعف فإذا تضاعف كان غير مطاق[1]

يلاحظ هنا أن المعنى المشترك بين هذين الأنموذجين يتبدى في أن الغرام يحمل الإنسان فوق طاقته فلا يحتمل اللوم ، لا حمل الله نفسا فوق طاقتها.

ولكن هذا المعنى مشترك شائع نجد له أصلا في القرآن الكريم حيث يقول عز وجل :

﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾[2] فعندما يحمل الحصري ذلك على السرقة فهذا الحكم يمسه التعنت نظرا لأن السرقة غير ظاهرة هنا بل هي معان مشتركة لا تطالها السرقة، ويذكر الحصري قول علية بنت المهدي :

ليس يستحسن في نعت الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج

ويعقب الحصري قائلا: إنه يشبه قول أبي نواس :

حلو العتاب يهيجه الإدلال لم يحل إلا بالعتاب وصال

لم يهو قط ولم يسم بعاشق من كان يصرف وجهه التعذلُ[3]

ولعل الحصري لاحظ المشابهة آتية من جهة اللفظ ، فعليه عندها أن العاشق لا يليق به تأليف الحجج,أما عند أبي نواس فلا يسمى عاشقا من صرفه التعذال.

---

[1] المصدر السابق- ج1 ص 12

[2] سورة البقرة : الآية 286.

[3] الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1 ص07.

ولكن نلاحظ في الأغلب أن الحصري غير ملتزم بمدلول معين في مصطلحاته للسرقة.

يورد الحصري قول أبي حية النميري :

حديث – إذا لم تخش عينا– كأنه إذا ساقطته الشهد أو هو أطيب

لو أنك تستقي بعـد سكـــــرة من الموت كادت سكرة الموت تذهب

ثم قال : إلى هذا ينظر قول الآخر وإن لم يكن منه :

أقول لأصحابي وهم يعذلونني ودمع جفوني دائم العبـــــرات

بذكر منى نفسي فبلوا إذا دنا خروجي في الدنيا جفوف لهاتـي[1]

ونلاحظ أن المعنى المشترك بين الأنموذجين يتمثل في كون حديث محبوبة النميـري يكـاد يطرد سكرة الموت, وعند الآخر يطلب من أصحابه أن يبلوا جفاف لهاته, وربما كان يتمنى عودة الحياة من جديد كما هو شأن النميري .

والملاحظ أن الزعم بأن بعض مناهج الحياة تكاد تطرد الموت وتديم الخلـد ، نجـدها مـن المبالغات المشتركة بين بعض الشعراء بل حتى بين عامة الناس.

كما يسوق الحصري بعد ذلك قول الفرزدق وهو يمدح علي بن الحسين(38–94ه)

يكاد يمسكه عرفان راحتـــه ركن الحطيم إذا ما جاء يستلـــم

فقال : قد تجاذبه جماعة من الشعراء قال أشجع بن عمرو السلمي (... نحو 195ه)

إن أرضا تسري إليها لو استطاعـــت لسارت إليك من قبل سيـــــرك

وإلى هذا أشار أبو تمام إذ يقول:

لو سمعت بقعة لإعظام نعمى لسعى نحوها المكان الجديب

وقال في أي دلف(.–226ه)

تكاد مغانيه تهمش عراصهـا فتركب من شوق إلى كل راكب

وقال البحتري :

لو أن مشتاقا تكلف فوق مـا في وسعه لمشى إليك المنبـــــر

---

[1] **المصدر السابق – ج1 ص15.**

وقال أبو الطيب :

لو تعقل الشجر التي قابلتهـــــــا مدت محيية إليك الأغصنـــــا[1]

غير أنه مما لا يغيب عن النظر أن بيت الفرزدق يتميز بمعنى مغاير الأبيات الأخرى ، ذلك أن عليا بن الحسين وهو من بيت النبوة لكثره ما يستلم الحطيم أو لفرط اشتهاره يكاد الركن يمسه ، فأي قدر هذا الذي يمدح به زين العابدين حيث يسعى إليه الركن الشريف.

أما الأبيات الأخرى فلا ترى فيها إلا الجمادات و هي تكاد تمشي لإعظام نعمى كما في بيت أبـــي تمام ، أو للسوق إلى الممدوح كما في بيتي أبي تمام ، والبحتري ، أو ينبغي أن تمشي لتحية الممدوح كما في بيت أبي الطيب .

وإذن فإن هذه الأبيات نقص كبير عن المعنى الذي اشتمل عليه بيت الفرزدق، ونلمس المعنى المشترك الوحيد فيما بين هذه الأبيات هو تحرك الجمادات لإعظام نعمى أو تلبية شـــوق, أو أداء تحية،ونعتقد أن هذه من المبالغات الخيالية المشتركة التي يشترك فيهـــا عامـــة النـــاس والشعراء على وجه الخصوص دون أن ينفرد بها خيال خاصة، ويورد الحصري قول بشار بن برد :

وصاحب كالدمل الممـــد حملته في رقعـــة من جلـــد

ثم يعقب وهذا كقول الأخر :

يودون لو خاطوا عليك جلودهـــم ولا تدفع الموت النفوس الشحائح[2]

وإذا ما تأملنا معنى البيتين لا نلحظ كثير التقاء سببها بل هما إلى الافتراق والتعارض أقرب، فينما يتحدث البيت الأول عن صاحب مؤذ للشاعر وهو يتحمله بسعة صدر كما يتحمل دملا أصاب جسده, إذ بمعنى البيت الثاني يشير إلى جماعة يودون إخفاء عدو مهم بين جلـــودهم حرصا عليه وضنا أن يصيبه الموت، ولعل الذي أوحى للحصري بفكرة الالتقاء هـــو ورود كلمة " جلد" في البيتين ومما يلفت الانتباه أن الحصري لا يتسرع في الحكم ويسم الشاعر أو الكاتب بالسرقة، وإنما ينتحل الأعذار في أكثر الأحايين ولذلك فنحن نراه يتلطف في استعمال هذا المصطلح ونغيره بكلمات الأخذا والإلمام، أو النظر، أو الإشارة ،أو التشبيه.

---

[1] **المصدر السابق – ج1، ص 75.**

[2] **المصدر نفسه –ج1 ص 425.**

و"نجد أن طريقة الحصري في التنبيه على وجود سرقة أو أخذ معنى من المعاني , تتخلص غالبا في إيراد أبيات شعرية في معنى من المعاني ثم ينبه أن شاعرا أخر سبقه إلى هذا المعنى ، أو أخذ هذا من قول الآخر, أو ألم بقول الآخر". [1]

وعلى هذا الأساس نجد الحصري يحكم بالسرقة عندما ينكر خبر بشار مع جواري المهدي فقال : قال جواري المهدي للمهدي :لو أذنت لبشار يدخل يؤنسنا وينشدنا فهو محجوب البصر لا غيرة عليك منه ، وأمره فدخل إليهن واستظرفنه وقلن له: وددنا والله يا أبا معاذ أنك أبونا حتى لا نفارقك .

قال ونحن على دين كسرى: فأمر المهدي ألا يدخل عليهن ويعقب الحصري قائلا : كأن المتنبي نظر إلى هذا فقال :

يا أخت معتنق الفوارس في الوغى

لآخوك ثم أرق منك وأرحم

يرنو إليك مع العفاف وعنده

أن المجوس تصيب فيما تحكم[2]

فالحصري يرى أن المتنبي ربما ألم بقول بشار السابق حين عزا نكاح ذوات المحارم على أنه من دين المجوس ، وقد يكون المتنبي عرف ذلك عن غير طريق بشار وبالتالي فلا يمكن أن نسم بيتا المتنبي بميسم السرقة.

يورد الحصري وهو يتتبع السرقات التي يرى أن الشعراء قد انزلقوا إليها قول أبي العباس الناشئ يصف ملامسة يد المغنية لأوتار العود :

ويحبسه إبهامها فكأنما في النقر تنفي بهرحا وزيوفا

فقال الحصري: أخذ هذا البيت من قول أبي الشجرة السلمي (...- نحو20ه) وذكر ناقته:

تطير عنه حصى الظران من بلد كما تنوقد عند الجهبذ الورق

وأصله قول امرئ القيس :

كأن صليل المروحين تشذه زيوق ينتقدن بعبقرا [3]

---

[1] أحمد يزن : النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي – ص 349.

[2] الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب –ج1 ص 425.

[3] المصدر نفسه – ج2 ص 610.

ولا شك أن الذي جعل الحصري يحكم بالسرقة هنا انه رأى أن جميع هذه الأبيات اشـــتملت على ذكر الزيوف والبهوج وانتقاد الورق فربما ظن أن المعنى واحد .

ويحكم الحصري على بيت أبي الطيب المتنبي :

خلفت صفاتك في العيون كلامه كالخط يملأ مسعي من أبصرا

بأنه أخذه من أبي تمام الطائي يصف قصائده :

بقرب يراها من يراها بسمعـــه ويدنو إليها ذو الحجا وهو شاسع [1]

فأبوتمام يجعل قصائده مسموعة مرئية,بينما يجعل المتنبي المقروء مسموعا وإذن فهو يعكس كلام أبي تمام، وإذا ما تأملنا البيتين معا لرأينا أن المتنبي لم يأخذ من الطائي معفى مفردا أو صورة معنية ، ولذلك لا يمكن نعت هذا الاشتراك في المعنى بالأخذ فضلا عن السرقة .

ويأتي الحصري بقول ابن المعتز وهو يصف الكأس :

بكأس من زجاج فيها أسد فرائسهن ألباب الرجال

ثم قال: أحسن ما شاء في قوله : " فرائسهن ألباب الرجال " وإن كان أصل المعفـــى لأبـــي نواس في ذكر تصاوير الكأس.

ولا شك أن الحصري يعني قول أبي نواس :

قرارتها كسرى وفي جبناتها مهى تدريها بالقسي الفوارس[2]

ويتضح من البيتين أن المعنى المشترك بين الأنموذجين يكمن في ذكرا الكأس وأنـــه يحـــوي صورا، فكأس ابن المعتز فيها صور أسد تفترس قلوب الشاربين وكأس أبي نواس فيها صور ظباء تطاردها الفوارس بالسهام .

وعندما يقول ابن المعتز في المديح :

أيا موصول النعمى على كل حاله إلى قريبا كنت أو نازح الـــــــدار

كما يلحق الغيث البلاد بسيلـــــه وإن جاء في أرض سواها بإمطار

يعلق الحصري عليه بقوله " كما يلحق الغيث البلاد بسيله " مأخوذ مـــن قـــول نهشـــل بـــن جري'..–نحو45ه) وقد بعث إليه كثير بن الصلت(...–نحو70 ه) كسوة ومالا من المدينة .

---

[1] **المصدر نفسه – ج1 ص147.**

[2] **المصدر السابق – ج2 ص 739.**

جزى الله خيرا والجزاء بكفـــــــه بني الصلت إخوان السماحة والمجـد

أتاني وأهلي بالعراق نداهـــــــم كلما انقض سبل من تهامه أو نجـــد[1]

ولا يمكن إلا أن يحمل قول الحصري هذا على محمل التعسف في الحكم ذلك أن قول الناس فلان غيث ، يعتبر من الأحكام الشائعة والتي تقال في الرجال الكريم الجواد ومـــن المعـــاني المشتركة قول المادح لممدوحه. أن ثنائي عليك أقل مما تستحق بينما يجري فيه الحصـــري السرقة [2]وهو معنى عادي .

وأمثال هذا التعسف الظاهر في أحكام الحصري والذي لا يسند إلى دليل أو تمحيص كثيـــر، بل يكفى أن يرد اللفظ أحيانا متفقا أو يطرق نفس المعنى من قريب أو مـــن بعيـــد، لينعـــت صاحبه السرقة ، على أننا لو أنعمنا النظر لرأينا أن الأمر يتعلق بمعان مشتركة مشاعة بين الناس فضلا عن الشعراء .[3]

والملاحظ أن الحصري لا يلقي بالا للمعنى المشترك فيستثنيه عن أحكامه بالســـرقة والأخـــذ حتى في أكثر المعاني شيوعا، فنحن نعرف أن موسى عليه السلام ضرب الحجـــر بعصـــاه فانفجرت منه اثنتا عشر عينا[4] ، والمعروف أن الحجر مضرب المثل في القساوة ذلك أن الله سبحانه وتعالى ضرب به المثال بأنه يلين و يخشع للذكر على قسوته ، بخلاف قلوب الكفار[5] وهذا على سبيل المبالغة ليتمكن المعنى في نفس السامع ، غير أن الحصري رغم شيوع هذا المعنى في القرآن الكريم واشتراكه بين الشعراء والناس جميعا، يجري فيه حكـــم الســـرقة وخلاصة القول أن الحصري بقدر ما يتحرج من الصاق السرقة صراحة بالشاعر أو الكاتب بقدر ما ينشط ويتعسف في أحكامه, ولو أنه يتلطف في الاستعاضة عن السرقة بمفهوم الأخذ في الغالب.

---

[1] **المصدر نفسه – ج2 ص 778.**

[2] **المصدر نفسه – ج2 ص 223.**

[3] **أنظر زهر الآداب و ثمر الألباب – ص 968،966،973،975،1001،1013،1067،1087 فجميعها معان مشتركة حكم فيها الحصري بالسرقة.**

[4] **أنظر سورة البقرة – الآية 60**

[5] **أنظر سورة البقرة – الأية 74**

الفصل الثاني

الموازنات الأدبية

1-مفهوم الموازنة :

يرى النقاد أنّ الموازنة هي معيار دقيق لقياس الجودة و القبح ،غير أنها كأداة من أدوات النّقد تتنوع بين مفاضلة عامة ، و استحسان مطلق ، دون تعليل أو تفسير، و بين مفاضلة معللة مشروحة مفصلة ، فقد يحتكم النّاقد الموازن بين نصّين أو شاعرين إلى ذوقه الخاص و إعجابه الفطري ، من غير أنّ يوضح الأسباب أو يقدّم الحيثيات ،وهذا ما كان عليه النّقد العربي بصفة عامة ، منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، بيد أنّ بعض النقاد احتكموا الى منهج موضوعي يوضح و يفسّر و يحلّل ويعلّل ،على نحو ما صنع الآمدي في " الموازنة "[1] .

إنّ الموازنة المعلّلة هي الطريقة التي يثبت بها المرء أنه قد أصبح ناقدا و كان الآمدي يقوم بهذه الموازنة المعلّلة لا بين اثنين حكم في أمرهما قدامى العلماء ، بل بين اثنين من المحدثين، هما أبو تمام و البحتري ، فالموازنة – أي الكتاب – ثمرة هذا التحدي ، ليثبت الآمدي أنّ ناقدا من طرازه يقف في مستوى العلماء القدامى إذ لم يكن بقدرته على التعليل والتحليل أفصح مقاما[2] .

و إذن فكتاب الموازنة وثبة في تاريخ النقد العربي ، بما اجتمع له من خصائص لا بما حققه من نتائج ، ذاك لأنّه ارتفع عن سذاجة النقد القائم على المفاضلة بوحي من " الطبيعة " وحدها دون تعليل واضح ، فكانت موازنة مدروسة مؤيدة بالتفصيلات التي تلم بالمعاني والألفاظ، والموضوعات الشعرية بفروعها المختلفة ، وكان تعبيرا عن المعاناة التي لا تعرف الكلل في استقصاء موضوع الدراسة من جميع أطرافه[3].

كان الآمدي صاحب الموازنة يبين عن منهجه الذي ارتضاه لموازنته بين الطائيين أبا تمام والبحتري بقوله : "و أنا أبتدئ بذكر مساوئ هذين الشاعرين لأختم محاسنهما ، واذكر طرفا من سرقات أبي تمام، وإحالاته وغلطه و ساقط شعره ، ومساوئ البحتري في أخذه من أبي تمام، وغير ذلك من غلطه في بعض معانيه ، ثم أوزان من شعريهما بين قصيدة و قصيدة إذا اتفقتا في الوزن و القافية ، و إعراب القافية ثم بين معنى و معنى فإن

---

[1] انظر : الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري لأبي القاسم الآمدي – تحقيق : السيد أحمد صقر – دار المعارف – مصر (1952) – ص 21.

[2] أنظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب لإحسان عباس – دار الثقافة – بيروت (1986) – ص 157.

[3] المرجع نفسه – ص157 .

محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك و تتكشف ، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه، وأفرد بابا لم وقع في شعريهما، من التشبيه و بابا للأمثال أختم بهما الرسالة ، ثمّ أتبع ذلك باختيار المجرد من شعريهما و أجعله مؤلفا على حروف المعجم ليقرب تناوله و يسهل حفظه ، وتقع الاحاطه به إن شاء الله تعالى "[1].

كانت موازنة الآمدي إذن أوّل دراسة منهجية ترجو التصدي للمفاضلة بين شاعرين شغلا عصرهما وانتصر النّاس لكلّ واحد منهما، ممّا جعل الآمدي يخوض في أمرهما محاولا سلك جادة الموضوعية والتجرّد وفق منهج واضح أبان عنه في معرض حديثة عن القصد من موازنته .

يقول الدكتور إحسان عباس عن كتاب الآمدي " قد استغل جميع وسائل النقد التي عرفت حتى عصره، من تبيان للمعاني المسروقة، ومن سلوك سبيل القراءة الدّقيقة، والفحص الشّديد ، ومن الاحتكام إلى الذوق الفردي حينا ، والى الثقافة حينا آخر "[2].

كانت الموازنة بين الشعر تسعى إلى تبيان أسبقية أحدهما على الآخر عن خلال منهج واضح، و شروط محدّدة، بعيدا عن الانطباعات الذاتية والأحكام العاطفية، وذلك حتى تكتسي طابع الجدية والنظرة العلمية، والآمدي نفسه يرى أنه لن يبادر بإطلاق القول في أشعرية البحتري أو أبي تمام، إلا من خلال تقديم جملة من عناصر الشعرية و الأحقية المبنية على منهجه السابق، وذلك " لتباين النّاس في العلم ، لأنّ النّاس لم يتفقوا على أي الأربعة أشعر في امرئ القيس و النابغة وزهير الأعشى، ولا في جرير والفرزدق والأخطل، ولا في بشار ومروان والسّيد ، ولا في أبي نواس ، وأبي العتاهية ومسلم والعباس بن الأحنف، لاختلاف آراء الناس في الشعر و تباين مذاهبهم فيه "[3] .

كما يبين الآمدي عن ثقافة نقدية مؤسّسة تسترعى التّوقف و الإشادة ، فهو لم ينهج طريقا مميزا في موازناته النقدية فحسب، بل قدّم وصفة هامة لما يجب أن يكون عليه الناقد الذي يرجو التصدي لإصدار الأحكام النقدية حيث يقول : " وبعد فإني أدلك على ما ينتهي بك الى البصيرة والعلم بأمر نفسك في معرفتك بهذه الصّناعة أو الجهل بها، وهو أن تنظر ما أجمع

---

[1] أبو القاسم الآمدي – الموازنة بين الطائيين – ج1 ص54

[2] إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – ص158

[3] أبو القاسم الآمدي – الموازنة بين الطائيين – ج1 ص54

عليه الأئمة في علم الشّعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، فإن عرفت علة ذلك فقد علمت ، و إن لم تعرفها فقد جهلت ، وذلك بأن تتأمل شعر أوس بن حجر و النابغة الجعدي، فتنظر من أين فضّلوا أوسا ، وتنظر في شعري بشر بن أبي حازم وتميم بن أبي مقبل، فتنظر من أين فضلوا بشرا ... فان علمت من ذلك ما علموه ولاح لك الطّريق التي بها قدموا من قدّموا و أخّروا من أخّروا ، فثق حينئذ بنفسك و احكم يسمع حكمك .. فإن قلت: إنّه قد انتهى بك– التأمل إلى علم ما علموه لم يقبل ذلك منك حتىّ تذكر العلل والأسباب ..."[1]

لا شك أنّ الآمدي يرى هنا ضرورة الخبرة بالشّعر العربي و تذوّقه على غرار النقاد الذّين حكّموا لشاعر على آخر ووازنو بينهم، وذلك حتى يكون النّاقد على بينة من أمر هذا الشّعر، و حتى يستطيع أن يبين عن مكامن النقص و الفضل، ولن يبلغ المراد حتى يتوسّل بالأسباب و العلل و هو يوازن أو ينقد .

2–الموازنة في النقد العربي :

يرى النقاد أنّ الموازنة هي معيار دقيق وجب توخيه لقياس الجودة والقبح ، وإذا كان الشعراء ومن كسبوا طرفا من الحسّ النقدي في العصر الجاهلي يصدرون عن ذائقة للشعر العربي تنزع إلى تقديم شاعر على آخر ضمن مشهد يتسم بالحكم على الإجادة في غرض محدد، أو استئثار شاعر ما ببيت فارق في القول الشعري، عدّ بحسبهم أجود ما قالت العرب في ذلك الشأن.

فان بعضهم أبان عن شيء من التعليلات العلمية يسند من خلالها مفاضلته بين الشعراء، بل حكمه على الشّاعر المجيد.

فاذا عدنا إلى العصر الجاهلي وجدنا نذر هذه الموازنات المعتمدة على نقد يسعى أن يكون معللا .. فنحن نقف على حكومة أم جندب امرأة امرئ القيس، وهي تحكم لعامر بن الطفيل على حساب زوجها.[2]

---

1 المصدر السابق –ج1 ص394

2 انظر: د. عبد القادر هني – دراسات في النقد الأدبي عند العرب (من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي) – ديوان المطبوعات الجامعية –الجزاءر (1995) –ص 25

يقول ابن قتيبة في ترجمة علقمة " و سمي بالفحل " لأنه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أم جندب لتحكم بينهما فقالت : قولا شعرا تصفان فيه الخيل على روي واحد، وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس :

خليليَ ، مرا على أمّ جندب لنقضي حاجات الفؤاد المعذب

و قال علقمة :

ذهبت من الهجران في كلّ مذهب ولم يك حقا كلّ هذا التجنب

ثم أنشداها جميعا فقالت لأمرئ القيس : علقمة أشعر منك ، قال وكيف ذاك؟ قالت : لأنك قلت :فللسّوط ألهوب و للسّاق درّة و للزّجر منه وقع أهوج متعب

فجهدت فرسك بسوطك و مريته بساقك، و قال علقمة :

فأدركهن ثانبا من عنانه يمرّ كمرّ الرّائح المتحلّب

فأدرك طريدته و هو ثان من عنان فرسه لم يضربه بسوط و لا مراه بساق و لا زجره ، فقال : ما هو بأشعر مني ، و لكنك له وامقة ، فخلف عليها علقمة فسمي بذلك الفحل[1].

كما يبين النابغة الذبياني عن حس نقدي يمتاز بالتعليل و التفسير و الموازنة بين الشعراء وفق قواعد و إن طالها الانطباع الذاتي، إلا أنها لا تخلو من ومضات نقدية مؤسسة، و يتبدى ذلك في حكم الشهير حين كانت تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء ، فتعرض عليه أشعارها ومن جملة من أنشده الأعشى ميمون بن فيس أبو بصير، حيث يقول في أوّل مطوّلته :

مابكاء الكبير بالأطلال و سؤالي وما ترد سؤالي

ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحا و أسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء و ابني محرف فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

فقال له النابغة:" أنت شاعر، ولكنّك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن أنجبك" [2] .

---

[1] **أبو محمد عبد الله ابن قتيبة – الشعر و الشعراء– دار إحياء العلوم – بيروت– (1984) – ص34.**

[2] **المصدر نفسه – ص 24.**

و لا نعدم ونحن نتتبع العقد المعلل في العصرين الجاهلي أو الإسلامي أن نعثر على الموازنة بين الشعراء حتى وإن لم تتبلور هذه القضية كوجهة نقدية تعتمد على التأسيس العلمي والضوابط النقدية الصّارمة مثلما تبلورت لاحقا عند الآمدي مثلا، فعندما تحاكم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وعبدة بن الطيب والمخبل السّعدي إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر أيهما أشعر؟ قال للزبرقان : أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيا فينتفع به، وأما أنت يا عمرو، فإن شعرك كبرود حبر يتلألأ فيه البصر، فكلما أعيد فيها النّظر نقص البصر، وأمّا أنت يامخبل فإن شعرك قصر عن شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم ، وأما أنت ياعبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر ..[1].

ونحن إذا تأملنا هذه الأمثلة الثلاث لرأينا إن أم جندب و النابغة و ربيعة بن حذار لم يكتفوا بمجرد الحكم لأحد الشعراء، وإنما راحوا يسندون إحكامهم بجملة من التعليلات والتفاسير، ولابد من الإشارة هنا إلى دقة المقياس النقدي في موازنة أم جندب ، فقد شرطت على المتنافسين قصيدتين في غرض واحد، وعلى قافية واحدة ، وروي واحد ، فإذا صح اشتراط أم جندب مثل هذه المعايير في الموازنة فان ذلك سيكون دليلا كافيا ..[2] على إن النقد في بعض الأحيان لم يكن سليقة و فطرة ، بل كانت له أصول يعتمد عليها[3].

بيد أنّ هذه المقاييس نفسها كانت سببا في إثارة الشكوك حول هذه القصة، إذ يقول طه إبراهيم بهذا الشأن : " إنّ الموازنة على شريطة الجمع بين ثلاثة أشياء فكرة على شيء من الدقة لا تتلاءم مع الروح الجاهلي في النقد الأدبي ، هذا إلى أننا نرتاب في أن جاهليا يدرك الفرق بين الروي و القافية، ونرتاب في إن هذه الألفاظ تستعمل في المعنى الجاهلي بمعناها الاصطلاحي "[4].

و لا يمكن الجزم بتاتا إن تكون هذه المصطلحات بعيدة عن أذهان الجاهليين حقا؟ ذلك أن المتأمل في الموروث الشعري الجاهلي يقف على بعض هذه المصطلحات عند بعض الشعراء الجاهليين ، فقد أورد ابن رشيق لامرئ القيس قوله :

أذود القوافي عي ذيادا ذياد غلام جرئ جراد

---

[1] المرزباني – الموشح – تحقيق : علي البجاوي – دار نهضة مصر – (1965) – ص 107 – 108

[2] د. عبد القادر هني – دراسات في النقد الأدبي عند العرب (من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي) – ص28

[3] د. طه إبراهيم – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – ص21

[4] المصدر نفسه – ص22

فلما كثرن و عنينـــه تغير منهم شتى جيـــــاد

فأعزل مرجانها جانبا و أخذ من درها المستجادا

و يضيف ابن رشيق : " هكذا في أكثر النسخ و في بعضها – جراد – بالحاء مكسورة غير معجمة، و– شتى جيادا – بالشين معجمة مفتوحة غير منونة التاء "[1].

و حين يوازن الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – بين زهير بن أبي سلمى و بين بقية الشعراء و يفضل زهيرا عليهم جميعا فانه يسوق التعليل على ذلك بقوله :" كان لا يعاظل بين الكلام ، و لا يقول إلا ما يعوق، ولا يمدح الرجل الا بما يكون فيه"[2]، وإذا كانت هناك جملة من المعايير النقدية احتكم إليها الخليفة عمر فإن أعمها عنده كانت معيار الصدق، لأن عمر يمنح أهمية كبيرة للشعر في تهذيب النفس، وتليقنها الفضائل و مكارم الأخلاق[3].

كما يبرز كلام الامام علي – كرم الله وجهه – و هو يوازن بين الشعراء حيث حكي عنه أنه قال : " لو أنّ الشعراء المتقدمين ضمّهم زمان واحد و نصبت لهم راية فجروا معها علمنا من السّابق منهم، واذ لم يكن فالذي لم يقل لرغبة، ولا لرهبة ، فقيل : ومن هو؟ فقال: الكندي، قيل : و لم ؟ قال : لأني رأيته أحسنهم نادرة، و أسبقهم بادرة ".[4]

و نحن نرى أنّ الإمام علي قدّم امرئ القيس نظرا لأنّ شعره يصدر من نفس صادقة ويرسله على البديهة، مبتدعا جملة من المعاني و الأساليب اتبعه فيها الشّعراء ، وهو إلى ذلك لم يكن طامعا أو خائفا .

و لم تكن الأحكام النقدية مؤسسة ولا معلّلة تحكمها قواعد وضوابط تقنن للعملية النّقدية، وإنما كانت الموازنة تعتمد على الثقافة الشخصية و الحس الفني، والإعجاب الذي يعلق بالبيت أو البيتين أو الغرض الواحد .. بل إنّ الشاعر كان تعتريه حالات محدّدة يصطبغ بها شعره بألق وحضور خاصين ..فعندما يوازن حمّاد الراوية بين جرير والفرزدق "وقد سأله الفرزدق أينا أشعر، أنا أم جرير ، فقال له : أنت في بعض الأمر و هو في بعض ، فقال الفرزدق :

---

[1] ابن رشيق – العمدة –ج1 – ص200.

[2] أبو الفرج الأصفهاني – الأغاني – دار مكتبة الحياة –بيروت– ج9 – ص319.

[3] د.عبد القادر هني – دراسات في النقد الأدبي عن العرب (من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي)– ص90.

[4] ابن رشيق : العمدة – ج1 – ص41.

لم تناصحني ، فقال : هو أشعر إذا أرخى من خناقه، وأنت أشعر إذا خفت أو رجوت ، فقال الفرزدق: وهل الشّعر إلا في الخوف والرّجاء، وعند الخير والشّر"[1].

والموازنات بين الشّعراء والتي افتقدت إلى عناصر النقد المعلّل موجودة بوفرة في النقد العربي ، و لكننا لا نعدم بعض التعليل لدى بعض الشعراء، غير أنّ الموازنة كفن قائم بذاته لم تتبلور إلا على يد الآمدي ، صاحب كتاب " الوساطة بين المتبقي و خصومه " .

3-منهج الحصري في الموازنة :

إنّ كتاب " زهر الآداب " كما قلنا من قبل، ليس كتاب نقد يعني بقضايا النقد لذاتها، وإنما هو قبل كل شيء كتاب أدب ، يعني بجمع النصوص الأدبية ، واختيارها، وتصنيفها، إضافة إلى طائفة أخرى من أخبار التاريخ ، والسير .

بيد أنه من خلال هذا الاختيار و المقابلة و التصنيف ، نستطيع أن نستشف معالم النقد الموازن فيه .

ولكن موازنات الحصري تتم غالبا بالطابع الاستحساني العام الذي يعتمد فيه على ذوقه، وفطرته ،دون الشرح والتعليل، وأحيانا يجنح الى الأحكام المفصّلة المعلّلة ، ويتضح ذلك فيما نورده من أمثلة الموازنة في " زهر الآداب " حيث أنّ الطابع العام الذي يحكم موازناته هو رصد النصوص التي اختارها بذوقه ، دون تعليق في الغالب، وقد يعبر بألفاظ مقتضبة تدّل على المفاضلة ، و الموازنة مثل : أفضل، أو أحسن، ونحو ذلك .

غير أن الملاحظ هنا أن معظم الموازنات في "زهر الآداب " منقولة نقلا عن كتب نقدية سابقة كأخبار أبي تمام للصولّي ، و كتاب المسيبي عن ابن الرومي ، وكتب الحاتمي ... ولكن الباحث لا يسعه إلا أنّ يحتفل بها في " زهر الآداب " لأنّ الحصري تبناها مقرّا لها باختياره واستحسانه ، فهي توافق لمذهبه، ولقد قيل قديما : إن أبا تمام في اختياره أشعر منه في شعره، في إشارة إلى حسن اختياراته لكتاب " ديوان الحماسة " ومعنى هذا أن الاختيار يعني موافقته لمذهب صاحبه ..على أن الحصري لا يلبث في بعض المواطن أن يتحفنا بومضات خفيفة من رؤيته للأشياء .

---

[1] **أبو الفرج الأصفهاني- الأغاني – ج8 – ص37**

وقد يبدو في هذه الموازنات ما يعتقد أن مجاله الحديث عن السرقات بيد أن الغرض منه يمس القيم الأدبية التي وراء هذا الأخذ ، أو وراء هذه المحاكمة حول الأخذ .

و مما يدل على أن الموازنة في السرقات تنتج قيما أدبية قول المنجم : " إن حق من أخذ معنى قد سبق إليه أن يصنعه أجود من صنعه السّابق إليه أو يزيد عليه حتى يستحقه ، وإنما إذا قصر عنه فهو سيئ معيب بالسرقة مذموم على التقصير[1] ".

بيد أنّ نلاحظ أنّ الحصري لم يهتم كثيرا بظاهرة استكشاف الحسن أو القبح في الأخذ، وذلك لأنه كان مشغولا يرد المعاني والألفاظ إلى أصولها من السّابق إلى اللاحق ودون أن يتبين استخلاص الملامح الفنية من هذه النصوص :

ولعل ما يدل على مثلا قول إدريس بن أبي حفصة يصف إبلا :

لها أمامك نور تستضيء بـــه ومن رجائك في أعناقها حادي

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الرتوع و تلهيها عن الزاد

يعلق الحصري قائلا : وأصله قول عمرو بن شأس الأسدي :

إذا نحن أدلجنا و أنت أمامنا كفى لمطايانا بوجهك هاديـــــــا

أليس يزيد العيس خفة أذرع و إن كن حسرى أن تكون أماميا [2]

يقول الأستاذ أحمد يزن : " إن الموازنة بين الشعراء ظاهرة رافقت النقد العربي منذ وجد، فاتخذها نقاد الشعر مقياسا أي الشاعرين أشعر ؟ والحصري هنا كثيرا ما يقوم بالموازنة بين شاعرين في خاصة معينة كالمعاني أو الألفاظ أو غيرها، فيفاضل بينهما مظهرا أوجه الاتفاق و الاختلاف عندهما ، وما يفضل أحدهما عن الآخر[3] ".

ولم يكن الحصري يوازن بين الشعراء في الأغلب الأعمّ و إنما كان يعتمد آراء الذين ينقل عنهم، ولقد أبان آنفا عن منهجه لا في الموازنة فحسب بل في طريقة نهجه العام "لزهر الآداب بقوله "واختيار المرء قطعة من عقله" [4] .

حيث كان يشفع موازنته أحيانا بآراء نقدية وإن كانت ضئيلة ، وطورا يقدّمها دون تعقيب ولا تعليق .

---

[1] الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 – ص 946

[2] المصدر نفسه – ج2 ص 507 – 508

[3] أحمد يزن – النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي – ص 345

[4] الحصري – زهر الأداب و ثمر الألباب – ج1 – ص 3

ونستطيع أن نستشف هذه المواقف من خلال الموازنات الكثيرة التي يتحفنا بها الحصري كثيرا في ثنايا " زهر الآداب " ومثال ذلك ما رواه الحصري عن موازنة الأصمعي أمام الرشيد ، قال الأصمعي سمعت الرشيد يقول : قلب العاشق عليه مع معشوقه ، فقلت : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام لعفراء في أبياته التي أنشدها :

وإني لتعروني لذكراك روعة لها بين جلدي و العظام ربيب

وما هو إلا أن أراها فجاءت فأبهت حتى لا أكاد أجيـــــب

وأصرف عن داتي الذي كنت ويقرب منّي ذكره ويغيـــــب

ويضمر قلبي عدرها و يعينها علي، ومالي في الفؤاد نصيب

فقال الرشيد: من قال ذلك وهما فقد قلته علما.

فكأن الأصمعي يريد أن يقول للخليفة سبقك إلى هذا عروة بن حزام في البيت الأخير، ولكنه تلطّف مجاملة : فقال : هذا أحسن من قول عروة[1] .

و مثل هذا الموقف مارواه الحصري عن خالد بن صفوان (نحو 133 هـــ) إذ وازن بين جرير و الفرزدق و الأخطل عند هشام بن عبد الملك(71-1258 هـــ) فقال عن الفرزدق: إنه أعظمهم فخرا، و أبعدهم ذكرا ، و أحسنهم عذرا ، و أسيرهم مثلا ، وأقلهم عزلا، وأحلاهم عللا ، وقال عن الأخطل: إنّه أحسنهم نعتا ، وأمدحهم بيتا ، وأقلهم فوتا ، وقال عن جرير : إنّه أغزرهم بحرا ، وأرقهم شعرا ، وأكثرهم ذكرا .[2]

ويبدو من خلال هذه الموازنة التي أوردها الحصري إن خالدا لم يشأ أو لم يحدد قيما نقدية، و إنما أراد أن يتفادى شر الشعراء الثلاثة بهذا النقد المجمل الذي لا ينم عن أسس نقدية بقدرما يصدر عن انطباعات ظرفية .

---

[1] المصدر السابق – ج2 ص949

[2] المصدر نفسه – ج 2 – ص634

4-الموازنة في زهر الآداب :

4 . 1 -موازنة شعر الحضر بشعر المدر

و يجدر بنا أن نستعرض بعضا من نماذج الحصري في الموازنات الأدبية الواردة في "زهر الآداب ".

قال الحصري نقلا عن بعض الرّواة : كنّا مع أبي نصر راوية الأصمعي في رياض المذكراة، نجتني ثمارها ، ونجتلي أنوارها، الى أن أفضنا في ذكر أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، فقال : رحم الله الأصمعي إنّه لمعدن حكم ، و بحر علم ، غير أنه لم نر قط مثل أعرابي وقف بنا فسلم ، فقال : أيّكم الأصمعي ؟ فقال : أنا ذاك .

فقال : يا أصمعي، أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنّك أثقبهم معرفة بالشعر والعربية وحكايات الأعراب ؟

قال الأصمعي : فيهم من هو أعلم مني و من هو دوني .

قال : أفلا تنشدونني من بعض شعر أهل الحصر حتّى أقيسه على شعر أصحابنا؟

فأنشده شعرا لرجل امتدح به مسلمة بن عبد الملك :

أمسلم أنت البحر أن جاء وارد وليت إذا ما الحرب طار عقابها

و أنت كسيف الهندواني إن غدت حوادث من حرب يعب عبـــاها

و ما خلقت أكرومة في امرئ له ولا غايـــة إلا إليـــك مآبـــهـــا

كأنك ديـــان عليـــها موكـــــل بها، وعلى كفيك يجري حسابها

أليك رحلنا العيس إذ لم نجد لها أخا ثقة يرجى لديه ثوابها

قال : فتبسّم الأعرابي، و هز رأسه، فظننا أن ذلك لاستحسانه الشعر، ثم قال : يا أصمعي،هذا شعر مهلهل خلق النسج ، خطؤه أكثر من صوابه ، يغطي عيوبه حسن الرّوي، ورواية المنشد ، يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ، و الأسد أبخر، شتيم المنظر، وربما طرده شرذمة من إمائنا ، وتلاعب به صبياننا ، و يشبهونه بالبحر، والبحر صعب على من ركبه، مر على من شربه ، و بالسيف وربما خان في الحقيقة و نبا عند الضريبة، ألا أنشدتني كما قال صبي من حيّنا !

قال الأصمعي : و ماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

أذا سألت الورى عن كل مكرمة لم يعز إكرامها إلا إلى الهول
فتى جواد أذاب المال نائله فالنيل يشكر منه كثرة النيل
الموت يكره أن يلقى منيته في كره عند لفّ الخيل بالخيل
لو زاحم الشّمس أبقى الشمس كاسفة أو زاحم الصّم ألجأها إلى الميل
أمضى من النجم إن نابته نائبة و عند أعدائه أجرى من السيل
لا يستريح إلى الدّنيا و زينتها و لا تراه إليها ساحب الذّيل
يقصر المجد عنه في مكارمه كما يقصر عن أفعاله قولي !

قال أبو النصر : فأبهتنا و الله ما سمعنا من قوله : فتأنى الأعرابي ثم قال للأصمعي : ألا تنشدني شعرا ترتاح إليه النفس ، و يسكن إليه القلب فأنشده لابن الرّقاع العاملي :

و ناعمة تجلو بعود أراكة مؤشرة يسبي المعانق طيبها
كأن بها خمرا بماء غمامة إذا ارتشفت بعد الرّقاد غروبها
أراك إلى نجد تحنّ و إنما منى كلّ نفس حيث يكون حبيبها

فتبسم الأعرابي و قال : يا أصمعي ، ما هذا بدون الأول و لا فوقه ، ألا أنشدتني كما قلت ؟

قال الأصمعي : و ما قلت ؟ جعلت فداك : فأنشده :

تعلقتـــها بكـــرا و علقـــت حـــبـــــّها فقلبـــي عـــن كلّ الورى فارغ بكر
إذا احتجبت لم يكفك البدر ضـــوءهـــا و تكفيك ضوء البدر إن حجب البدر
و ما الصبر عنها إن صبرت ، وجدته جميلا، وهل في مثلها يحسن الصّبر!
و حسبك من خمـــر يفوتـــك ريقـــها ووالله ما من ريقـــها حسبـــك الخمر
و لو أن جلـــد الـــدر لامـــس جلدها لكان لمـــس الدر في جـــلدها أثـــــر
و لو لم يكن للبـــدر ضدا جمـــالـــها و تفضله في حسنـــها لصفـــا البـــدر

قال أبو نصر : قال لنا الأصمعي : اكتبوا ما سمعتم ، ولو بأطراف المدى في رقاق الأكباد[1].

[1] الحصري – المصدر السابق – ج1 ص 400

و لا تهمّنا هذه الموازنة سواء صحّت روايتها عن الأصمعي أم كانت من ملح بعض الرّواة، فإن لها دلالة على بعض المقاييس النقدية التي تلمسها النّقاد في عصر الأصمعي، إضافة إلى ما فيها من مقارنة شائقة بين أدب أهل الوبر وأهل المدر، و ذلك له علاقة بالبحث عن القدماء والمحدثين .

غير أنّنا نلحظ بعض النقدات و اللفتات النفسية في هذا الحوار الشعري، و قد كان ينظر إلى الشعر القديم على أنه خلو من هذه الومضات الباطنية والتأملات النفسية، وخاصّة التّمرد على أساليب المدح المبتذلة التي تبلغ في أحيان كثيرة درجة الإسفاف وذلك عند تشبيه الممدوح بالأسد ، والبحر، والسيف، لا بل إن الممدوح يبلغ درجة هائلة في الرفعة والسمو عندما يمتدح على لسان النابغة الذبياني مثلا وهو يتقرب إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

فأنت شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهم كوكب[1]

و أحيانا يتنصّل الشاعر من روحه الدينية و يركبه بطر المديح إن جاز هذا التعبير ليخلص إلى إكبار ممدوحه بكل السّبل :

ألم يقل ابن هانئ الأندلسي في مديح المعز لدين الله الفاطمي :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فأحكم فأنت الواحد القهار

شرفت بك الآفاق، وانقسمت بك الأرزاق و الآجال و الأعمار[2]

ألا يجاوز هذا المديح درجة الإسفاق و الابتذال ، ويجعل السامع ينبوعن الإصغاء إليه فضلا عن كشف النفاق والزيف في هذا القول ، ومن ثم رمي الشاعر بالكفر الجهار ..

كما انك تجد أثر الإلقاء في تأثير الشعر على النفوس وحسن موقعه منها، وتردّده على ألسنة الرواة ، حيث أن الشاعر النّابه يتميز إضافة إلى جودة لشعره بحسن إلقائه، وهو ما يكسب قصيدته الشعرية حضورا جماهيريا و إعجابا لدى المتلقي فيتفاعل معها، و يفضلها على كثير من الشعر الذي ربما فاقها جودة و ديباجة .

عندما نطالع قصيدة الصبي الأعرابي نعثر على سيل من المبالغات التي لم تؤلف في شعر الأعراب كقوله : النيل يشكر من كثرة النيل ، و الموت يكره أن يلقى منيته ، و الشمس تكسف لو زاحمها ، و الصّم تميل لو ألجأها ، و المجد يقصر عن مكارمه ، و يبدو أن سر

---

[1] ينظر – ديوان النابغة الذبياني– دار الجيل –بيروت(1984)–ص 48.

[2] ينظر – ديوان ابن هانئ الأندلسي– دار الجيل –بيروت(1984)–ص27.

إعجاب هذا الصبي يأتي من جهة الأسلوب الذي كان شبه مبتكر في مضارب قومه، ذلك لأن الأعراب لم يألفوا هذه المبالغات – وبهذا الكم المتراكم – في نص واحد ، والدليل على أنّ الابتذال في التشبيه هو سبب نفرة هذا النّاقد من أسلوب المدح ، الذي يغلو فيشبه الممدوح بالبحر و بالأسد[1].

و لكن الذاتية هي التي تقرر حكم هذا الأعرابي الناقد حيث يقف عند أبيات ابن الرقاع العاملي وقفة مجملة مكتفيا بقوله : ما هذا بدون الأوّل ولا فوقه .

و هذه ظاهرة تجد لها صدى عند ملامح النقد الأولى عند العرب ، وحتى الشعراء منهم كانوا في كثير من الأحيان يصدرون أحكامهم النقدية عن مرجعية انطباعية غير معلّلة إن جاز هذا التعبير ، ولذلك فهم يرسلون ومضاتهم النقدية إجمالا ويحكمون في الغالب على جودة الشاعر ببيت قاله أو معنى سبق إليه غيره من الشعراء "وكانوا يستحسنون أبياتا في معنى خاص أو يستجدون مطلع قصيدة أو قصيدة كاملة أو يوازنون بين شعر و شعر" [2].

بيد أننا نلاحظ أنّ الأعرابي أصدر حكما مجحفا، فإن الهلهلة لا تكون كما يرى علماء اللغة إلاّ لضعف في اللغة ، أو التصريف أو خطأ في النّحو ، أو تعقيد في التركيب ، وهم الذين حفلوا بأصول قواعد العربيّة و ضيقوا على الشعراء فيها حرصا منهم على استقامتها، وعدم التفريط بها و ان لم يهملوا المعايير الفنية و الجمالية للشعر حتى كان تفضيل الشاعر عندهم ينبني على مدى توفر شعره من صحة لغوية ونحوية، فقد روى أبو عبيدة أن أبا عمرو بن العلاء كان " يشبّه الأخطل بالنابغة لصحة شعره"[3]والمراد هنا أنّ الأخطل كان شديد الحرص على قواعد اللغة و النحّو في شعره لذلك كان يقول أبو عمرو بن العلاء " لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا "[4]، و لا يبدو على أبيات ابن الرقاع العاملي شيئا من ذلك، لأننا نرى أنّها مستقيمة التركيب، صحيحة الألفاظ، لا تحتاج إلى كتب النّحو لتفك عقدة في إعرابها، و يستشف من معانيها أنّ الخطأ فيها غير وارد، فضلا عن القول أن خطأها أكثر من صوابها .

---

[1] الحصري –زهر الآداب و ثمر الألباب –ج1 ص401

[2] د. طه ابراهيم – تاريخ النقد الأدبي عند العرب– :ص57

[3] أبو الفرج الأصفهاني– الأغاني – ج8 ص286

[4] المصدر نفسه– الأغاني – ج8 ص285 .

يظهر في البيت الأول أنّ المرأة كانت تجلو أسنانها بعود أراك فتسلّل عبقها إلى أنف المعانق، فأين وجه الخطأ ياترى ؟ فإن من محاسن المرأة في الشعر العربي والغزل تحديدا رائحة الفم الطيبة و لذلك و صفت به كثيرا ، ولم يكن كعود الآراك وسيلة لتطيب الفم وتنضيد الأسنان ، ذلك أن مبدأ الدين الإسلامي يحث على النظافة و التطهر بالسواك حيث قال الرسول صلى الله عليه و سلم : " السّواك مطهرة للفم مرضاة للربّ "[1].

أما في البيت الثاني فيصفها بعذوبة الفم حيث يشبهه بماء غمامة، وجعل ذلك بعد ذلك الرقاد، وعلى سبيل المبالغة ذلك أنّ النّوم يفسد رائحة الفم ، ونحن نعلم أنّ الشعراء أفاضوا في نعت النساء بهذا الوصف ، و أما البيت الثاني فإن التطلع إلى موطن الحبيب و الشّوق إليه يجعل من غرابة الحنين ألى أرض نجد أمرا مفهوما على الأقل في أدبيات و مفاهيم الأحبة .

ثم نلاحظ بعد ذلك بشيئ غير يسير من الاستغراب أنّ الحصري يسوق هذه الموازنة من غير أن يكلف نفسه التعليق عليها بشيئ ما ، و كأنه يقر ما فيها من مفاضلة .

4. 2 – موازنة قصيدة ابن الرومي القافية بغيرها.

فإذا رحنا نتتبع اختيارات الحصري و نماذجه الواردة في "زهر الآداب" ألفيناه يقدم قافية ابن الرومي موازنا بينها و بين بعض النماذج ..

يرى الحصري أن الناس أغرقوا في مدح السواد ، مذمين للشيب وهو يفاجئ الفتى في شرخ شبابه، و يبرز لنا قول أبي حفص الشطرنجي :

أشبهك المسك و أشبهته قائمة في لونه قاعده

لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحده

و نحن نستشف من كلام الحصري أن الإضافة الحسنة تعتبر باردة محمودة قد تغطي عيب السرقة ، ذلك ما أورده من أنّ ابن الرومي أضاف إلى المعنى المأخوذة أشياء من باب التوسع و الاقتدار ، بل عدّت مكسبا للشاعر النّابه و له الحق في الاستحواذ عليها وإلحاقها بشعره الخالص من غير تحرج و لا تبرم .

و قد أشار ابن الأثير إلى هذا النوع من الأخذ الذي يشفع لصاحبه في سدّ باب السرقة واعتباره منقبة من مناقب طول الكعب في مضمار الشّعر حيث يقول : " يؤخذ المعنى

---

[1] **حديث أبو هريرة و أخرجه البخاري و مسلم – جامع الأصول– ج8 ص92 – ورقم تسلسل الحديث 167.**

فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى، وهذا هو المحمود الّذي يخرج به حسنه عن باب السرقة "[1].

و يضرب لذلك مثلا بقول أبي تمام :

جذلان من ظفر حران أن رجعت مخضوبة منكم أظفاره بدم [2]

أخذه البحتري فقال :

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها [3]

و لذلك فالحصري يفضّل ابن الرومي لأنّه توسع في ذكر أنواع الطّيب ، و لم يقتصر على المسك كما فعل الشّطرنجي ، و على هذا فإن اللاحق إذا توسّع في التشبيه فاق السّابق.

والحصري يرى في توسع ابن الرومي وإضافاته والسياق الإبداعي الذي أورد فيه هذه الإضافات نباهة و نبوغا يستأهل من خلالهما السّبق والتفرد، ولهذا قال عن القصيدة إجمالا: وصف السواد، و احتج بتفضيله على البياض حتى أغلق فيه للباب بعده ، و أشار إلى أن المسيب كشف فيها عن وجوه الإبداع ، وضروب الاختراع[4] .

و قد لجأ الحصري في تحليله لقصيدة ابن الرومي هذه إلى المفاضلة بين تشبيهات أبي نواس الجيدة وتشبيهات ابن الرومي، فقال : ومن جيد تشبيهات أبي نواس، وقد نبه نديما للصبوح فأخبر عن حاله وقال :

فقام و الليل يجلوه الصباح كما جلا التبسم عن غرّ الثنيات

و إنّما يكون السّبق والتّقدم لعلي بن العباس – ابن الرّومي – بقوله :

يفترّ ذاك السواد عن يقف من ثغرها كاللآلئ النسق

كأنها و المزاح يضحكها ليل تعرى دجاه عن فلق[5]

---

[1] ضياء الدين بن الأثير – المثل السّائر في أدب الكاتب و الشاعر– تحقيق : أحمد الحوفي و بدوي طبانة – مطبعة نهضة مصر (1960) – ص254

[2] من قصيدته في مدح مالك بن طوق التغلبي– الديوان– ص 191.

[3] من قصيدته في مدح المتوكل و ذكر صلح بني ثغلب الديوان– ص 316

[4] الحصري– زهر الآداب –ج1 ص 229

[5] الحصري – زهر الآداب وثمر الألباب – ص 231

أخذ هذا المعنى ابن الرومي و أصبغ عليه نفحة من روحه الشعري مضيفا إليه أشياء أخرى توسعا و اقتدارا على القول حيث يقول :

يذكرك المسك و الغوالي والسّك ذوات النّسيم و العبق

و هذه الأشياء و إن كانت ناقصة عن المسك، فهي ممدوحة بالطيب غير مستغنى عن ذكرها في التشبيه[1].

والملاحظ أن الحصري يبدي هنا شيئا من النقد الذي اصطنعه لنفسه والذي يتحفنا به أحيانا في تضاعيف " زهر الآداب "، لذلك نراه يتوسع على غير عادته في الموازنة، مصرحا بأسباب السّبق ، كاشفا مبدأ الأفضلية ، على شيء من التّعليل بيد أنه جعل ابن الرومي ينهل من معين الشطرنجي مادام هو الأصل الذي أخذ عنه معناه .

غير أن القاعدة التي استند إليها الحصري في إصدار حكمه للشطرنجي على حساب ابن الرومي لا تظهر في حكمه .. حيث نلحظ أن ما ورد من تشبيه في أبيات الشطرنجي تشبيه عام مشترك قد تناوله الشعراء في العصر الجاهلي، و يكفي أن نسوق قول امرئ القيس إذ يقول :

و بيت يفوح المسك في حجراته بعيد من الآفات غير مروق[2]

ويعزد الحصري فضل هذا على ذاك، أن هذا قدّم لمعناه في التشبيه مقدمة أيدته ووطأت له الآذان ، وأصغت الأفهام إلى الاستحسان وهي قوله :

يفتر ذاك السّواد عن يقق[3]

و لكن الحصري في موازنته هنا يضع قانونا للتفضيل و هو أن اللاحق يفضل على السابق إذا قدّم لمعناه في التشبيه ما يؤيده و يوطئ له، من ذلك أنّ أبا نواس شبه جلاء الصباح لليل بجلاء التبسم عن غر الثنيات دون تمهيد ، أو تقديم يستلفت الانتباه ، أما ابن الرومي فقد مهدّ لذلك إلى أن السّواد يفتر عن يقق ..و المقصود باليقق البياض النّاصع ،ذلك أنّ ابن الرومي

---

[1] الحصري – المصدر السابق –ج1 ص229– و قد أورد هذه الموازنة مع توسع فيما قيل في السواد الشمريشمي في شرح المقامات ،ج1،ص162

[2] ينظر ديوان امرؤ القيس – دار الآداب –بيروت– ص183

[3] الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب– ج1 ص231

نفسه يسعى إلى تجلية غموض الكلمة في شطر البيت الثاني بقوله "ليلى تعرى دجاه عن فلق".[1]

و يلاحظ أنّ في تشبيه ابن الرومي إضافة متميزة وهي السّبب الذي كشف عن ثغرها المتلألئ مبينا ذلك بالمزاح، فلولا أن المزاح يضحكها ما اطلعنا على غر ثناياها و يبدو أن الغرض من تشبيهها التشوق إلى جمالها فإن إضافة ابن الرومي تشير إلى جمال معنوي وهو هذا الظرف الذي يعتري المرأة ، وطيب محتدها وأريحيه حضورها .

وقضية السبق والتفرد لم يقل بها الحصري وحده، بل نجد لها امتداد لدى الشعراء والنقاد القدامى، وأعتقد أن هذه الرؤية تحكمها عدة اعتبارات موضوعية هي التي تصنع الفارق في ألق المشهد الشعري العربي، و تكشف عن ملامح النبوغ و الألمعية في أوساط الشعراء، وذلك ما حدا بالجاحظ إلى تبني النظرية الشهيرة " المعاني مطروحة في الطريق .. يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي[2] " فهو يرى إن الأفضلية للشكل ذلك إن المعاني قدر مشترك بين الناس جميعا ، وما على الأديب إلا إن يتناول المعنى ويصوغه صياغة متفردة من شأنها الإبانة عن قدرته الإبداعية .

فالشاعر المجيد هو الذي يعرف كيف يتصرف في المعاني، و كيف يصوغها في ألفاظ رائقة، ويسبكها في سياق نضيد متين يجمع بين الجزالة و السلاسة، وعلى هذا سمعنا بأحسن السرقات والتي لا تكتسب صفة الحسن إلا في الجانب الأدبي و الشعري على وجه الخصوص ، فقد يعمد شاعر مغمور الذّكر إلى معنى جميل يعنّ له فيتناوله فيحسن عرضه، ولكن الإهاب الذي يحويه يكون عاجزا عن إكسابه الحجم الحقيقي لذاته، فيتصرف فيه شاعر آخر أقدر منه و أبعد غورا فيكون أحق منه بذلك المعنى .. و قد أفاض النّقاد في هذا القول .. حيث نجد ابن الأثير يقول : " يؤخذ المعنى و يسبك سبكا موجزا ، و ذلك من أحسن السّرقات ، لما فيه من من الدّلالة على بسطة الناظم في القول ، و سعة باعه في البلاغة "[3].

---

[1] المصدر نفسه –ج1 ص230

[2] الجاحظ: الحيوان – تحقيق : عبد السلام هارون – بيروت (1969) – ص131

[3] ابن الأثير – المثل السائر أدب الكاتب و الشاعر – ص 254

و يضرب لذلك مثلا قول بشار :

من راقب النّاس لم يظفر بحاجته و فاز بالطيبات الفاتك اللهج [1]

أخذه سلم الخاسر – و كان تلميذه – فقال :

من راقب النّاس مات غما و فاز باللذة الجسور [2]

و لا أدلّ على ذلك من اعتراف بشار نفسه بتفرد سلم الخاسر و حسن أخذه المعنى السابق إذ يذكر أبو هلال العسكري في الصناعتين " أن بشارا لما سمع بيت سلم قال : ذهب ابن الفاعلة ببيتي[3] "، أما ابن المعتز في طبقات الشعراء فيقول[4] : فهو أخف منه و أعذب ، والله لا أكلت ولا شربت اليوم، فلما بلغ دلك سلما استنفع إلى بشار بجماعة، فذهبوا به فقال بشار: أين هو الخبيث ؟ قالوا : ها هو ذا فقام اليه و سلم ، فقبل سلم رأسه و قال له : يا أبا معاذ خريجك و تلميذك : قال بشار : يا سلم من الذي يقول ؟ من راقب الناس لم يظفر بحاجته، قال : أنت يا أبا معاذ ، قال : فمن الذي يقول : من راقب الناس مات غما .. قال : خريجك يا أبا معاذ ، قال : أتأخذ المعاني التي قد عنيت بها و تعبت في استنباطها، فتكسوها ألفاظا أخف من ألفاظي ، حتى يروى ما تقول و يذهب بشعري ؟ لا أرضى عنك أبداً ، فما زال يضرع إليه و القوم يشفعون حتى رضي عنه ....*

يعرض الحصري في "زهر الآداب " لنموذج آخر من الموازنة الأدبية حيث يستحضر قصيدة ابن الرومي ، و يوازن بين الفرزدق و ابن الرومي في نوعي التشبيه فيقول :

و أصحاب المعاني ينشدون للفرزدق :

و جفني سلاح قد رزئت فلم أنح عليه و لم أبعث عليه اليواكيا

و في بطنه من دارم ذو حفيظة لو أنّ المنايا أنسأته اللّياليا

و المعنى يخصّ رثاء امرأة توفيت حاملا : فقال علي بن العباس – ابن الرومي– وقد وصف هذه المرأة السّوداء :

---

[1] ينظر – ديوان بشار بن برد –ج2 ص25

[2] من مدحه لأحمد بن عبد اكريم الطائي – الديوان – ج2 ص104

[3] أبو هلال العسكري – الصناعتين – ص 154

[4] عبد الله بن المعتز – طبقات الشعراء – ص 35

* سلم الخاسر – هو سلم بن عمرو شاعر بصري قدم بغداد و مدح المهدي و الهادي و هارون الرشيد و البرامكة و سمي بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحف فباعه و اشترى طنبورا – الأغاني – ج ص 73 .

أخلق بها أن تقوم على ذكر كالسيف يفري مضاعف الحلق

إن جفون السيف أكثرهـــا أسود و الحقّ غيـــر مختلـــف

و يعلق الحصري على هذا التشبيه بالقول : فهذه زيادة بينة، وعبارة واضحة لم تحتج إلى تفاسير أصحاب المعاني[1].

ذلك أن ابن الرومي جارى الفرزدق في الكناية عن المرأة الحامل بجفن السّلاح يلد ذكرا ماضيا ، إلاّ أن ابن الرومي زاد على الفرزدق بأن جفن السّيف اسود ، فمن كانت أمّه سوداء فقمين أن يكون كالسّيف يفري مضاعف الحلق .

و يعتقد بعض النّقاد : أن الفرزدق لم يقصر و لا لوم عليه ، لأن امرأته لم تكن سوداء فنطالبه بأضاليل المنطق ، ولو أنّ الجاحظ أشار إلى أن بعض الأشياء الموصوفة بالسواد كالحجر و الحديد ، والأخشاب من أصلب الأشياء [2] .

و أثنا تحليل الحصري لهذه القصيدة : نراه يعمد إلى الموازنة بين النّابغة وابن الرّومي في الاحتراس ، بحيث يحاول نفي التّهمة عند وصف كلا من الشاعرين فضائل ومحاسن صاحبتي ممدوحيهما .

حيث يقول الحصري، وفي هذا السواداء يقول – يعني بذلك ابن الرومي – وقد سأله أبو الفضل الهاشمي أن يستغرق في صفات محاسنها الظاهرة والخفية فقال :

لها حرّ يستعير وقدته من قلب صبّ وصدر ذي حنق

كأنها حرة لخابـــره ما ألهبت في حشاه من حـــرق

يزداد ضيفا على المراس كما تزداد ضيقا أنشوطة الوهق[3]

ثم فكر فيما تفكر فيه النابغة ، وقد أمره النعمان ملك الحيرة بوصف المتجرّدة زوج النّعمان، فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ، ثم عزف عن ذكر فضائلها و شمائلها تأدبا وتحرجا من ذكر تلك الفضائل، فأسقطها على الملك صاحب الفضل كله فقال :

زعم الهمام بأنّ فاها بارد عذب إذا قابلته قلت ازدد

---

[1] المصدر انفسه ،ج1،ص232

[2] انظر رسائل الجاحظ – ج1 ص204

[3] يقارن الصولي بين هذه الأبيات و بين أبيات للنابغة الذبياني سكت عنها الحصري تحرجا – انظر أخبار أبي تمام, ص24

فأراد ابن الرومي الحذو على منواله، وهو يرجو أن يصف فضائل المرأة الظاهرة والباطنة فقال :

خذها أبا الفضـــل كســـوة لك مـــن خزّ الأماديج لا من الخزق
وصفت فيها التي هويت على الوهم و لم نختبـــر و لم نـــــذق
إلا بأخبـــارك التـــي وقـــعـــــت منك إلينـــا عن ظبية البرق
حاشـــا لســـوداء منظـــر سكنت دراك إلا عن مخبـــر يقـــق

و هذا المعنى أو ما إليه النابعة إيماء خفيا ، تذهب معرفته عن أكثر الناس ، و لو آثر النابغة ترك الاختصار ، وهمّ بكشف المعنى و إيضاحه ما زاد على هذا الكشف الذي كشفه ابن الرومي[1].

قد أعطى الحصري في هذه الموازنة رأيا في إجادة ابن الرومي الغرض الذي اتّجه إليه بكشف المعنى و إيضاحه ، وكأنه بذلك لا يعطي أهمية لسبق النابغة و احتراسه ، و قد يكون الحصري ميالا بذوقه إلى شعر ابن الرومي و هو عميد الوصّافين ، ولذلك نجد الحصري يزيد في تفضيل ابن الرومي بقوله : إنّ ابن الرومي في هذه القصيدة زاد على جميع من تعاطى مدح السّواد بقوله :[2]

سوداء لم تنسب إلى برص الشّم قر و لا كلفة و لا بهق
و بعض ما فضـــل السّواد بـــه والحق ذو سلم و ذو نفق
ألا يعيـــب السّـــواد حـــلكتـــه وقد يعاب البياض بالبهق

و يبدو أن ابن الرومي حصل هذه المعاني من قراءاته التي ارتسمت في ذهنه على الأمد، ثم اجترها دون وعي بقراءته تلك ، على أنها من بنات خياله وخالص مبتكراته، وهذا ينبو به عن السرقة الموصوفة ، إن جاز هذا التعبير، ويجعل المعنى الزائف ، واللفظ الجزل، يخلص له و يستقيم ، ومن ثم يطرب النقاد أو بعضهم على الأقل لقصائده، ويمتع الحصري نفسه بفيض شعره و بعد خياله .

---

[1] الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1 – ص251
[2] المصدر نفسه – ص ج1 ص231

يقول جون هومان في قاعدته العامة عن مصادر المعرفة البشرية " إن ذاكرتنا على الوجه العام ، تخدعنا فنتصور أنّنا توصلنا بأنفسنا دون وعي خارجي إلى استنتاج فكري مع أنّه تسرب إلينا في الواقع عن طريق القراءة "[1].

يسوق الحصري هذه الموازنات الواردة آنفا في معرض دراسته التحليلية لقصيدة ابن الرومي القاقية، غير أن الحصري لا يغرق في التفاصيل أكثر بل يقدم بعض الآراء المبتسرة والوقفات المحدودة، التي يتطلع منها القارئ إلى مزيد من العرض والتحليل، ولو قدر للحصري أن يوغل في التحليلات النقدية لاعتبر فيما يبدو رائدا للحركة النقدية في بلاد المغرب على الطريقة التي نراها عند ابن رشيق ، ذلك أنّه يندر أن تجد في كتب الأقدمين مثل هذا النفس ، ولو أن الآمدي بلغ شوطا كبيرا في هذا المضمار من خلال موازناته الرائدة و حيث اعتبره النقاد سابقا ومعلما لهذا الفن في الأدب العربي[2].

و حسبنا من أهمية الموازنة و التحليل أنّ بعض مذاهب النقد عند الغربيين تقصر مهمة الناقد على التوضيح و التفسير والتحليل ، وتجعل الأحكام النقدية شيئا ثانويا أو لا خطر له[3].و لا يبعد أن يكون هذا النهج التحليلي من مقروءات الحصري ، لا من مبتكراته وقد يكون نقل عن علي بن عبد الله العباس ، لأن الحصري قال عن قصيدة ابن الرومي الآنفة :

" وهذه الأبيات من قصيدة له –ابن الرومي– وصف فيها السواد, واحتج بتفضيله على البياض, حتى أغلق فيه الباب بعده، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده إلا كان مقصر السهم عن غرض الإحسان, وقد نبه علي بن عبد الله العباس (المسيب* على*) فضائلها, وأجاد التشبيه, وكشف عن وجوه الإبداع, وضروب الاختراع" .[4]

---

[1] جون هرمان – مدخل إلى الفلسفة– ترجمة : د.قربان ملحم – دار العلم للملايين – بيروت (1963) – ص98

[2] د.إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – ص 155

[3] ستانلي هايمن – النقد الأدبي و مدارسه الحديثة– ترجمة : احسان عباس و محمد نجم دار الثقافة –بيروت (1958) – ص116

* جاءت بين قوسين عند البجاوي إشارة إلى أن ذلك لا يوجد إلا في نسخهة خطية واحدة وهي المرموز لها بـــ (س) – ص 229

* هو أبو الحسن علي بن عبد الله المسيب الكاتب ، له مؤلفات في أخبار ابن الرومي ، ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء ج1 ص 224 أثناء ترجمته له ، و كان المسيب صديقا لأبن الرومي ، و كان ابن الرومي يعمل له الأشعار و ينحله إياها

[4] الحصري – زهر الأداب و ثمر الألباب – ج1 ص 229

ولا يشق علينا مدى انحياز الحصري للحكم لصالح ابن الرومي بتفضيل ما تواضع الناس على عكسه،والشعراء منهم خاصة أي تفضيل البياض على السواد، لا بل إن الحصري هنا يحكم على الإطلاق بقصور من تصدوا لهذا النوع من القول عن بلوغ ما بلغه ابن الرومي من الإبداع والاختراع .... ونعتقد أن هذا الحكم المطلق يجور عن القصد كونه يحد من إبداع الآخرين ويجعل هذا الباب يقفل على قريحة ابن الرومي خاصة .

3.4- موازنة في وصف الثغور:

كما يورد الحصري جملة من الأبيات في الوصف إذ يعمد إلى تخير ما جاء فيها من وصف الثغور والأفواه والريق فيقول: وهذا المعنى يجاوز الإحصاء، ويفوت الاستقصاء، وكله مأخوذ من قول امرئ القيس :

كأن المدام وصوب الغمـــــام وريح الخزامي ونشر القطـــــــــر

يعــل بـــه برد أنيابـــــــــها إذا طــرب الطائــر المستحـــــــر

فجمـــع ما فرقوه , وأخـــذه الجعفري فقصر عنـــه :

كان المدام وصوب الغمـــــام وريح الخزامـــي وذوب العســـــل

يعــل بـــه برد أنيابـــــــــها إذا النجـــم وسط السماء اعتـــــــدل[1]

ولا يبين الحصري عن وجه التقصير, ولكن الأمر لا يصعب عن الإبانة كثيرا لدى المتلقي كون الجعفري لم يأت بشيء من عنده عدا تشبيه ثغر الحبيبة بذوب العسل، وهو على أي حال نسخ قول امرئ القيس بلفظه ومعناه دون تجديد أو حسن تصريف، مما يجعله ينعت بالتقصير عامة, والحصري خاصة وهو الذي ينتصر في الغالب للسابق على حساب اللاحق. ويروح الحصري يتخير الأشعار الممتعة والتي يوازن بين قائليها ، ويحاول أن يبرز مكامن الحسن والإجادة، وينعي مواطن الإساءة والتقصير، غير أن الآراء النقدية تعوزه في كثير من الأحيان ، ولكنه ينتقي ويدلل على انتقائه بجملة آرائه وهو الذي يقول: " اختيار المرء قطعـــة من عقلـــه تدل على تخلفـــه أو فضلـــه ...".[2]

---

[1] **المصـــدر السابق – ج1 ص 237 .**

[2] **الحصري ـــــ المصدر السابق – ص 3**

4.4 – موازنة في وصف عنترة:

ويعمـــد الحصري إلى إيـــراد قول عنتره بن شـــداد العبسي وهو يصف النشوة التي تغمـــر الذباب في روضـــه :

وخلا الذباب بها يغني وحـــــده غردا كفعـــل الشارب المترنـــــــم

هزجـــا يحك ذراعـــه بذراعـــه قـــدح المكـــب على الزناد الأجـــــذم

ويلجـــأ الحصري للتعقيب بقوله " وقول عنتره في وصف الذباب أوحد فرد، ويتيم فذ، وقد تعلق ابن الرومي بذيله، وزاد معنى آخر في قولـــه :

وغرد ربعي الذباب خلالـــــه كما حثحث النشوان صنجا مشرعـــا

فكانت أرانين الذباب هتـــاكـــم على شدوات الطير ضربـــا موقعـــا[1]

وقد أورد الحصري في شدو الطير لابن الرومي قبل هذين البيتين قولـــه :

فأذكـــى نسيـــم الروض ريعان ظلـــه وغنى مغنى الطير فيه مرجعـــا

هكذا يوازن الحصري بين المعنيين وهو يقر لعنترة بالفضل والأسبقية، ويجعله منفردا بهذا الوصف بين الشعراء , ولكنه لا يبين عن الزيادة التي زادها ابن الرومي إلا أن تكون حثحثة النشوان للصنج، ومن أن الذباب كان يساجل الطير في أغاريده وأرانينه، وإن كان عنتره قد استقل بجعل الذباب يحك ذراعه بذراعه وشبهه بقدح الأجذم للزناد، ويستند الحصري إلى الجاحظ في تبرير أسبقية عنتره فيقول:" نظرنا في الشعر القديم والمحدث، فوجدنا المعاني تقلب, ويؤخذ بعضها من بعض،غير عنتره في الآوائل ، فإنه وصفه فأجاد صفته، فتحامى معناه جميع الشعراء، فلم يعرض له أحد منهم".[2]

5.4 –موازنة في حسن الحديث

ويذكر الحصري نماذج لما قيل في حســـن الحديـــث فيقـــول :

فمنها شعر للقطامي[3] واسمه عمير بن شبـــيـــم التغلبي، وسمي القطامي لقولـــه :

يحطهـــى جانبـــا فجـــانبـــا حط القطامي القطا القواربـــا

---

[1] الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ص 741

[2] الجاحظ –الحيوان –ص 311

[3] ابن قتيبة – الشعر والشعراء– ج1 ص 701

يصف القطامي هذا حديث امرأة بالعذوبـــة والسحر، كأنه النبيذ ينقع عطش ذي الغلـــة الصادي :

وفي الخدور غمامات برقــن لنـــــا حتى تصيدننا من كــل مصطـــــــاد
يقتلننـــا بحديث ليــس يعلمـــــــــه من يتقيــن ولا مكنونـــه بـــــــادي
فهن ينبذن من قول يصبن بـــــــــه مواقــع الماء من ذي الغلــة الصــادي[1]

ومن ثم يعطف على شعر لأبي حية النميري يشبه الحديث يسقط من بين الثنايا بتساقط المرجان من كف ناظم، وأن هذا الحديث يصيب القلوب دون أن يسيل دما وإنما هو جوى في الحيازم :

قال أبو حية النميري , واسمه الهيثم بن الربيع :

وخبرك الواشون أن لن أحبكـــــــم بلى وستور الله ذات المحـــــــارم
وإني دومـــــا لو تعلميـــــــــن على الحي،جاني مثله غير سالـــم
أصد وما الصدى الذي تعلمينـــــه عزاء بكــم إلا ابتلاع العلاقـــــم
حياء وتقيا أن تشيع نميمـــــــــة بنا وبكم أف لأهــل النمائـــــــم
أما إنه لو كان غيرك أرقلـــــت إليه القنا بالراعفات اللهـــــــاذم
إذا هن ساقطن الأحاديث للفتـــــى سقوط حصى المرجان من كف ناظم
رمين فأنقذت القلوب ولا تـــــرى دما مائــرا إلا جوى في الحيـــازم[2]

كما يورد شعرا آخر له يصف الحديث بالشهد يكاد يشفي من سكرة الموت.

ومن هذه النماذج أيضا يورد شعرا لسديف مولى بني هاشمي يشبه الحديث بالرد المنظوم

وإذا انطقن تخالهن نواظما درا يفصل لؤلؤا مكنونـــــا [3]

ويورد الحصري شعرا لأبي تمام أوس بن حبيب يصف حديث محبوبته بالحلاوة وأنه يدل على حلاوة ريقها، وشعرا آخر له أيضا يصف حديثها بالحرقة فيكاد يكون دموعا :

بسطت إليك بنانه أسروعـــــا تصف الفراق ومعلة ينبوعـــــا
كادت لعرفان النوى ألفاظهـــا من رقــة الشكوى تكون دموعا

---

[1] الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 ص13 – 14
[2] المصدر نفسه – ج1 ص 14
[3] الشريف المرتضي ــ قال المرتضي ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ دار الحياء الكتب العربية القاهرة ص444

ولكــن الحصــري يعجب بالنابغة الذبياني لدى تطرقه لهذا المعنى, على الرغم من أن الحصري يتعصب لأبي تمام كونه من أئمــة البديع وهو الذي كلف بالبديع –أي الحصري– وعد أول من أدخله إلى الديار المغربية, يقول الحصري :

"ومن جيد هذا المعنى وقديمة قول النابغــة الذبيانـــي :

لو أنها عرضــت لأشمط راهــب عبد الإله صرورة متعبـــــد

لرنا للهجتهــا وطيب حديثـــها ولخالــه رشــدا وإن لم يرشــد

نظرت إليك بحاجة لم تقضـــها نظر السليم إلى وجوه العـــود[1]

والأكيد أن الحصري أعجب كثيرا بأبيات النابغة هذه واعتبرها من المعاني الجيدة, لا بل إن النابغة لم يجد فحسب ولكنه سبق غيره إلى المعنى, ومن ثم فقد حاز قصب السبق بجانب الإجادة, فأي امرأة هذه التي تعرض لراهب متبتل صرف نفسه عن أعراض الدنيا وصام عن الملذات الحسية منقطعا في صومعته عابدا الله، فيخرجه حسن حديثها وروعة تكوينها من خلوته الروحية ويهيم بها، هذه المرأة المرأة لا يمكن إلا أن تكون باهرة الجمال ، ظريفة الروح, حلوة الحديث... ولاحظ كيف أوغل النابغة في تصوير فتنة المرأة وسحرها عندما يقــول :

نظرت إليك بحاجة لم تقضـــها نظر السليم إلى وجوه العـــود

ونستطيع أن نتصور نظر السليم والمقصود به هنا السقيم إلى وجوده زائريه من ذبول الأجفان وتهدل النظرات، ولذلك فتن الحصري بقول النابغة، وجعله من جودة المعاني بمكان كبير عندما قدم موازناته واختياراته الممتعة .

كما يبين الحصري عن نص شعري آخر في" زهر الآداب" أورده الشاعر دون أن يفصح عن اسمه، أو لعله وصل إليه من دون قائله ، يقول الحصري :

ومن مشهور الكلام قول الآخر :

وكنت إذا مازرت سعدى بأرضــها أرى الأرض تطوي لي ويدنو بعيدهــا

من الخفرات البيض ود جليسهـــا إذا ما انقضت أحدوثــه لو تعيــدهـــا

---

[1] ا الحصري – زهر الآداب و ثمر ألباب – ج1 ص16

ويعقــب الحصري على ذلك بالقول " إنـــه من مشهــور الكـــلام. " [1]
ولكــن دون أن يوغــل في التفاصيل أو ينبه إلى مواطن الحسن في الأبيات الآنفــة أو يوازنها بأبيات النابغــة المتقدمــة والتي أثنى عليــها بالقول أنها " من جيــد المعنى وقديمـــه. "[2]

ولقد نجد" زهر الآداب" يحفل بنماذج أخرى غير هذه النصوص التي أوردناها له غير أن الحصري لم يرسل تعليقاته عليها، وإنما قدم لها بقوله " وقد توسع الشعراء في هذا الباب وكثر إحسانهم، كما كثر افتنانهم، وسأجري شأوا في مختار ما قيل في ذلك "[3]، ونحن نعثر على هذا اللون من الموازنات عند الحصري حيث يذكر موضوعا معينا تتم الموازنة في حدوده فهو يصدر أحكاما تسم شعر ابن الرومي بإجادة القول في حسن الحديث، وتسم شعر النابغة بجودة هذا المعنى وأقدميته، ولكنه عندما يحكم على بيت معين بأنه من مشهور الكلام، فإن هذا الحكم لا يسند إلى أسس نقدية بقدر ما يستند إلى حكم تاريخي درج عليه الأقدمون، كما يصف الحصري النماذج الأخرى بأنها توسعت في المعنى وكثر احسانها، ولكنه لا يعلل الحكم الذي قدمه ولا يدلل عليه ،وإنما يعزره بجملة من الأمثلة المختلفة فعندما يحكم الحصري لابن الرومي بأنه شعره عن أجود ما قيل لكثرة ما فيه من المعاني التي لم تتوفر في بقية النماذج التي ذكرها فإنه يتكئ على معان أوردها ابن الرومي في أشعاره وأعجب بها هو غابة الإعجاب، فحديثها – أي المرأة – سحر .

ويكاد يكون سحرا حـــــــلالا لو لم يقتل المسلم المتحـــــــرز
لا يمل طوله, وإذا كان موجزا ود المحدث أنـــــها لـــم توجــز

كما أن العقول تطمئن لهذا الحديث، بل يشغلها عن الأمور التي تريدها وتسعى إليها.
ويلاحظ من خلال المقياس الذي اعتمده الحصري لتفضيل شعر ابن الرومي أنه يعتمد الأفضلية وفق استيفاء المعنى ، ذلك أنه لا ميزة لأبيات ابن الرومي غير ذلك ولا يمكن أن

---

[1] **المصدرالسابق – ج1 ص16.**
[2] **المصدر السابق – ج1 ص 16.**
[3] **المصدر نفسه – ج1 ص 14.**

يكون المقياس هنا الابتكار, لأن ابن الرومي مسبوق إلى هذه المعاني، قد سبقه الشعراء في النصوص التي أوردها الحصري.

كما نلاحظ أن حكم الحصري على إجادة ابن الرومي اتسمت بالعمومية في مجملها ، فالحكم بالتفضيل هنا لا يخص هذا المعنى الطريف من بين النماذج الآخرى، ذلك أن الحصري حكم مطلقا لشعر ابن الرومي من غير أن يستثنى بيتا معينا، وعسى أن يكون المقياس هو مدى استيفاء المعنى والابتكار في بعضه الآخر، ولا يمكننا التعويل على اللفظ وحده, ذلك أنه ما من أديب يماري في رائيه بشار التي أوردها الحصري في هذا المعنى وأن يغمطها حقها من عذوبة اللفظ وخفه الوزن وموسيقى القافية ما ليس لوزن شعر ابن الرومي وقافيته.

كما يلاحظ أن المقايس الذي اتخذه الحصري وإن لم يفصح عنه لتفضيل بيتي النابغة : هو الابتكار والمبالغة جميعا، وعندما يقول الحصري عن النماذج الأخرى: " قد توسع الشعراء في هذا الباب وكثر إحسانهم"[1]، فلا يمكن لأحد نكران صحة هذا الحكم ولا يمكن إطلاق الحبل على الغارب, فيؤيد الحكم تأييدا مبرما, ذلك أن الأمر مرهون بما ورد من أشعار في وصف الحديث بعد ابن الرومي .

والملاحظ هنا أن الحكم الذي أورده الحصري على النماذج السالفة يظل محفوفا بشيء من الإجحاف ذلك أن هذه النماذج لشعراء كانوا قبل ابن الرومي، ثم إن شعراء هذه النماذج لم يتوسعوا فكل معانيهم في شعر ابن الرومي .

تقول الخنساء وهي تمدح أبيها وأخيهـــا :

جارى أباه فأقبـــلا وهمـــــــا يتعاوران مـــلاءة الحضـــر

ومؤدى بيت الخنساء أن الأب والأخ كلاهما استبقا فتساويا في السباق ،هذا يسبق مرة وذاك يسبق أخرى فيتبـــادلان الغبار المنشور كأنه ملاءة .

ويعطـــف الحصري على بيت للبحتري يمدح فيه رجلين :

وإذا جرى في غايـــة وحريـــت في أخرى التقى شأوا كمـــا في المنصف

---

[1] المصدر السابق –ج2 ص96

6.4 – موازنة في مدح الخنساء و مدح البحثري:

ثم يعمد للموازنة بين بيت البحتري وبين بيت الخنساء بقوله : "قول الخنساء, يتعاوران ملاءة الحضر, أبرع استعارة وأنصع بياضا".[1]

ولكن الحصري لا يبين عن المرتكز الذي استند إليه في حكمه عندما أجمع على هذا الحكم، وعدا استعارة الخنساء بارعة وعبارتها ناصعة.

ويوحي هذا الحكم الذي حكم به الحصري على جودة شعر الخنساء بما حكم به النابغة الذبياني في سوق عكاظ للخنساء نفسها على حساب حسان بن ثابت الأنصاري عندما قالت الخنساء :

وإن صخر لتأتم الهداة بـــه كأنه علـــم في رأســـه نـــار !

والملاحظ أن الحصري أغفل أمرا مهما في موازنته هذه ذلك أن البحتري كان يجهد نفسه في أن يحكم لممدوحيه بالتساوي في الفضل, ولا يجد حرجا من وراء ذلك ، على عكس الخنساء التي كان يعز عليها أن يكون أخوها وأبوها متساويين ، ولا تريد أن تحط من شأن أحدهما مهما كانت الظروف فهي موقف محرج ولذلك سعت إلى التخلص من هذا الحرج بقولـــها :

أولى فأولى أن يساويـــــــــه لو جـــلال الســـر والكبـــر[2]

7.4– موازنة بين شعر العتابي و العباس بن الأحنف:

وإذا ما تأملنا الموازنات الأدبيـــة التي ما فتئ الحصري يتحفنا بها في "زهر الأداب" لرينأها تعج بالنماذج التي انتقاها والتي كان يستند فيها إلى طائفـــة من النقدة والإخباريين، ويعلق عليها تارة أو يتركها لحكم الناقد الذي أوردها على ذمته وحسب اختياره .

وغالبا ما ينقل هذا النوع من الموازنة عن غيره كموازنة بين الشاعرين العباسين كلثوم بن عمرو العتابي والعباس بن الأحنف، تلك الموازنة التي سجلها الصولي إثر المناظرة التي

---

[1] المصدر السابق – ج2 ص 926.

[2] المصدر السابق – ج2 ص 926.

جرت بين أبي أحمد المنجم والمتفقه الموصلي حول الشاعرين في مجلس علي بن عيسى، فعمل في ذلك رسالة أنفذها لهذا الأخير." [1]

نستشف من المناظرة التي أوردها الحصري نقلا عن الصولي في الموازنة بين العتاب والعباس ابن الأحنف مدى الإهتمام الذي أولاه لهما، وذلك من خلال وجهات نظر تدل على الإحتفاء .

يقول الحصري عن العباس بن الأحنف: " هو من شعراء حنيفـــة، –ويسوق طرفا من شخصه على ذمـــة واصفيـــه– كان أحسن خلق الله ــ إذا حدث ــ حديثا وأحسنهم ــ إذا حدث استماعا ــ وأمسكهم عن ملاحاة إذا خولف, وكان ملوكي المذهب، ظاهر النعمة, حسن الألفاظ , كثير النوادر, رطيب الحديث, باقيا على الشراب , كثير المساعدة , شديد الاحتمال, ولم يكن هجاء, ولا مداحا, كان يتنزه عن ذلك, ويشبه من المتقدمين بعمر بن أبي ربيعة ".[2]

ولم يخض الحصري في مسألة تشبيه العباس بن الأحنف بابن أبي ربيعة، ولا من أين يأتي هذا الشبه، إذ من خلال النص الآنف يلاحظ أن الأمر متروك على عواهنه، هل أن الشبه بين الرجلين يخص النواحي الخلقية أو العقلية، أو يمس الملكات الشعرية تحديدا .

وإنما نستشف من خلال العبارات الأخيرة من النص أن العباس بن الأحنف عثر له على شبيه في المتقدمين وكان ذلك هو عمر بن أبي ربيعة، ونسطيع أن نركز على وجه الشبه ليس في هذه الفضائل الواردة في متن النص وإنما الأمر يتعلق بعبارة " و لم يكن هجاء، ولا مداحا"، مايعني أن الرجلين يشتركان في هذه الصفة على وجه الدقة، فالمعروف عن عمر بن أبي ربيعة أنه كان يترفع عن الهجاء, ولم يكن يحفل به, وإنه لم يكن يصانع أحدا أو يسارع إلى مدحه .إذ أن همه كان موجها في الحقيقة إلى الغزل، والغزل الإباحي على وجه الدقة،[3]ولكننا نعلم أن الإباحية في منطق عمر بن أبي ربيعة لم تكن تعني التهالك على اللذات بقدر ما كانت تروم التمتع بالجمال والإغراق في الصبابة .. وإذن فالمؤكد أن الشبه بين الرجلين يأتي من ناحية الشعر أولا , ثم من جهة الإقلاع عن المدح والهجاء جميعا .

---

[1] أحمـــد يزن – النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي – ص 345

[2] الحصـــري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 ص944

[3] طه حسين– حديث الأربعاء –دار الكتاب اللبناني –بيروت (1981)– ص78

ولا يبعد الحصري بعد ذلك أن ينقل لنا مقالة لابن المعتز تصف العباس بالالتزام وكأنه يسعى إلى تفسير ما أشكل على القارئ من قبل في ماهية العلاقة الرابطة بين الرجلين بل الشاعرين... حيث يقول ابن المعتز " لم يكن يمدح ولا يهجو, إنما كان شعره كله في الغزل والوصف. " [1]

كما يذكر الحصري أن أبا نواس سئل عن العباس وقد ضمهما مجلس فقال : " هو أرق من الوهم , وأحسن من الفهم. " [2]

ولا يمكننا أن نستوعب هذه العبارة وأن نفك شفرتها على وجه الدقة , إلا أن نقول أن أبا نواس عمد إلى التلاعب بالعبارات والألفاظ , لما عرف عنه من خفه الظل وسرعة النادرة، والذي يستطيع إدراكه هو أن هذه العبارة جاءت مدللة على أن العباس رقيق الشعر .

والحصري معجب به إلى حد كبير حيث يقول : أنه له إحسانا كثيرا ثم راح يسوق نماذج من شعره مثل :

جرى السيف فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضـــت له من مقلتـــي غـــروب

وما ذاك إلا أن تيقنـــت أنـــــــــه يمر بواد أنت منه قريـــــــــــــب

يكون أجاحا دونكـــم فإذا انتهـــــى إليكم تلقى طيبكم فيطيـــــــــــــب

فيا ساكني شرق دجلـــة كلكـــــــــم إلى القلب من أجل الحبيب حبيـــــــب[3]

وفي معرض تقديمه للعتابي يقول عنه الحصري: " إنه كلثوم بن عمرو التغلبي من ذرية الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم: " ثم ينقل رأيا للجاحظ فيه, ومنه " كان العتابي ممن اجتمع له الخطابة والبيان , والشعر الجيد, والرسائل الفاخرة وعلى ألفاظه وحده يقول في البديع, جميع من يتكلف ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمري ومسلم بن الوليد الأنصاري وأشباههما,وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع."[4]

---

[1] عبد الله ابن المعتز ــ البديع ــدار الحكمة ــ دمشق لم يحدد تاريخ الطبع ص 255.

[2] الحصري – زهر الأداب و ثمر الألباب –ج2 ص944.

[3] المصدر نفسه – ج2 ص 946

[4] عبد الله ابن المعتز – البديع – ص 255.

ثم يدلل على ذلك بقول آخر لابن المعتز لعله يؤكد فيه ما جاء على لسان الجاحظ من قبل من احتذاء العتابي لبشار في البديع عندما يقول عنه ابن المعتز وهو من أعمدة البديع" وأشعار العتابي عيون ليس فيها بيت ساقط. " [1]

ويعمد الحصري للتنقيب عن نظير للعتابي في المتقدمين من الشعراء, فإذا كان العباس بن الأحنف, قد وجد له هذا الشبيه في العصر الأموي وهو الشاعر الغزلي عمر بن أبي ربيعة من جهة الكف عن الهجاء والعزوف عن المدح، فإن العتابي يتصل بنظيره إلى العصر الجاهلي ممثلا بالنابغة الذبياني ووجه الشبه هو الاعتذار التي اشتهر بها النابغة وحفل بها شعره.

يقول الحصري عن العتابي " وهو مشبه في حسن الاعتذار بالنابغة الذبياني. " [2]

ثم يسوق جانبا من اعتذاره للرشيد حيث يقول :

جعلت رجاء العفو عذرا وشبتـــــه بهيـــة إما غافر أو معاتـــــــــــــب

وكنت إذا ما خفت حادث نبـــــــوة جعلتـــك حصنـــا من حذار النوائـــب

فأنزل بي هجرانك اليأس بعـــــدما حللت بواد منك رجب المشـــــــارب

أظل ومرعاي الجديب مكـــانـــــه وآوي إلى حافات أكدر ناضـــــــــب

ولعلنا نحس نفس النابغة وروح شعره في قصيدة العتابي وهي طويلة, لا من حيث حسن الاعتذار كما رأى الحصري بل من حيث الديباجة والقافية كذلك، وهي تذكرنا بقصيدة النابغة وهو يعتذر لأبي قابوس النعمان بن المنذر مللك الحيرة حيث يقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركـــــي وإن خلت أن المنتأى عنك واســـع[3]

وعندما يعمد الحصري إلى الموازنة بين هذين الشاعرين فإنه يورد أولا قول الصولي :

" ناظر أبو أحمد علي بن يحي المنجم رجلا يعرف بالمتفقة الموصلي في العباس بن الأحنف والعتابي فعمل علي في ذلك رسالة أنفذها لعلي بن عيسى, لأن الكلام في مجلسه جرى, وكان مما خاطبه به أن قال : "ما أهل نفسه قط العتابي لتقديمهما على العباس بالشعر، ولم أر أ حدا من العلماء بالشعر مثل العتابي والعباس فضلا عن تقديم العتابي عليه لتبيانهما

---

[1] **المصدر السابق – ص 264**

[2] **الحصري ــ زهر الأداب و ثمر الألباب – ج2 ص 623**

[3] **الديوان– ص 42**

في ذلك وأن العتابي متكلف, والعباس يتدفق طبعا, وكلام هذا سهل عذب, وكلام ذاك متعقد كز, وفي شعر هذا رقة وحلاوة , وفي شعر ذاك غلظ وجساوة , وشعر هذا في فن واحد وهو الغزل, وأكثر فيه وأحسن .

وقد أفتن العتابي فلم يخرج في شيء منه عما وصفناه،وإن من أحسن شعر العتابي قصيدته التي مدح بها الرشيد وأولها :

يا ليلـــــة لي في حوران ساهــرة حتى تكلــم في الصبح العصافيـــر

وقال فيها :

في مآقي انقباض عن جفونـــــها وفي الجفون عن الآماق تقصيـــــر[1]

وهذا البيت أخذه من قول بشار الذي أحسن فيه كل الإحسان وهو قولــه :

جفت عيني عن التغميض حتـــــى كأن جفونها عنها قصـــــــــــار

فمسخـــة العتابي : على أن بشار أخذه من قول جميــل :

كأن المحب لطول السهـــــــــاد قصيــر الجفون ولم تقصـــــــــر

إلا أن بشار أحسن فيه, فنازعهما إياه فأســاء, وإن من حق من أخذ معنى قد سبق إليه أن يصنعه أجود من صنعه السابق إليه، أو يزيد عليه حتى يستحقه, وإما إذا قصر عنه فهو مسيء معجب بالسرقة مذموم على التقصير.

ولقد هاجى أبو قابوس النصراني فغلب عليه في كثير مما جرى بينهما على ضعف منه أبي قابوس في الشعر، ثم قال في هذه القصيــدة :

ماذا عسى مادح يثني عليك وقـــــد ناداك بالوحي تقديس وتطهيـــــــــر

فــت الممادح إلا أن ألسننـــــــــا مستعلنـــــات بمــا تخفي الضمائيـــر

فختم البيت فيها بأثقل لفظه لو وقعت في البحر لكدرته وهي صحيحة، وما شيء أملك بالشعر بعد صحه المعنى من حسن صحة اللفظ ,وهذا عمل التكلف، وسوء الطبع .

ولكن الحصري لا يقف محايدا عند هذه الموازنة , بل علق عليها بقوله : " ولئن وفى أبو أحمد العباس حقه ,لقد ظلم العتابي ما كان مستحقه من أسر الكلام,وجودة رصف النظام" [2]

---

[1] **الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 ص 945**

[2] **المصدر نفسه – ج2 ص 947**

ويعتبر هذا الحكم متقدما عند الحصري فنحن نقف على آراء الحصري دوما مبتسرة أو هي تنزع إلى اعتماد الاختيارات والانتقاءات كمقياس تبني عليه في إثبات ألمعيه الشاعر أو محدودية شاعريته، ذلك أن غالبية أحكام الحصري تأتي مرافقة لآراء السابقين ، وهو في الغالب يستحسن ــ ما استحسنوه, ولا يدلي بآراء صريحة تثبت حقيقة حكمه إلا فيما ندر.

ونحن نرى الآن أنه يسوق رأيا صريحا، وإن كان لم يبلغ درجة النقد المعلل بحيث يبين فيه المآخذ ويقرب المحاسن, فهو متفق مع ما أورده الصولي آنفا من استيفاء حق أبو أحمد العباس ،إلا أنه يرى أن الحيف لحق العتابي سيما وأن هذا الأخير كان معدودا من المتقدمين ويكفي أن الحصري قرنه بالنابغة الذبياني في الأولين، ووسمـــه بحسن الاعتذار اقتداء باعتذارات النابغة لأبي قابوس .

كما أنه يرجع إلى مقولة ابن المعتز إمام البديع في عصره وهو يرى أن" أشعار العتابي عيون ليس فيها بيت ساقط[1] " .

كما أن الحصري لم يتحفنا بالجانب الآخر من الموازنة,وهو تفضيل المتفقـــه الموصلي للعتابي، لتكون هذه الدراسة وافية بالغرض .

ولكننا في جملـــة تلخيص مضمون ما جاء من تفصيل المنجم للعباس أجملنا ذلك في النقاط التاليـــة :

أن العتابي أعلـــم بالشعـــر والنقـــد.

أن الحيف لحق بالعتابي سيما وأن هذا الأخير كان معدودا من المتقدمين، ويكفي أن الحصري قرنه بالنابغة الذبياني في الأولين، ووسمـــه بحسن الاعتذار افتداء باعتذاريات النابغة لأبي قابوس .

كما أنه يرجع إلى مقولة ابن المعتز إمام البديع في عصره وهو يرى" أن أشعار العتابي عيون ليس فيها بيت ساقط" .

ونلاحظ هنا أن العباس بن الأحنف لم يجاوز الغزل إلى الأغراض الأخرى, وإن جل اهتمامه انصب على هذا اللون من القريض ولكنه أحسن فيه, ولكن هذا الالتزام بغرض الغزل وحده قد يكون حسنة للعباس ذلك أن ضيق مجال القول ، والاقتصار عليه يجعل الشاعر يدور في

---

[1] عبد الله ابن المعتز– طبقات الشعراء– تحقيق: الستار أحمد فراج– الطبعة الثانية– دار المعارف–مصر(1968) ص264

إسار الغرض الواحد فلا يعدم أن يكون قوله مكرورا أو مبتذلا، اللهم إلا إذا كان يملك موهبة تجعله يتصرف في فن القول ويتفنن في اختلاق المعاني وتوليد الألفاظ، وتلك لم يعدمها العباس على أية حال .

وقد يكون سيئة تحسب عليه : حيث يرمى الشاعر أنه ما اقتصر على غرض إلا لعجز باد فيه وأنه لم يطرق الأغراض الأخرى إلا لقصوره عن بلوغ المرمى ، لا سيما أن جل الشعراء قد ركبوا الأغراض كلها فأجادوا في البعض وأخطاهم التوفيق في البعض الآخر،ولا تكاد نجد شاعرا وفق شعره على غرض واحد إلا فيما ندر.

هذا ما استطعنا تضمينه من ملاحظات حول هذه الموازنة وإن كان الاعتقاد السائد أن الموازنة لا تستقيم إلا مع اتحاد المذهب كما يقولون ذلك أن الموازنة تكون جادة وممتعه ومفيدة إذ جمعت بين شاعرين يقصدان نفس الغرض ويلجأن إلى نفس الضرب في القول[1], ونستطيع أن نقول أن هذه الموازنة لو جمعت بين العباس وعمر بن أبي ربيعة وهما شاعران متفرغان للغزل ــ لكانت موفقة ــ كما يمكن أن تكون موازنة العتابي مع النابغة الذبياني ما دام أن الشاعرين خصصا جانبا من شعرهما للاعتذار بل وأجاد فيه :

ولا يمكن أن ننتهي من هذه الموازنة دون أن نمر على هذه المحاكمة حيث يقول العتابي :

في مآقي انقباض عن جفونهـــــا وفي الجفون عن الآماق تقصيــر

وقول بشار بن برد :

جفت عيني عن التغميض حتـــى كأن جفونهـــا عنـــها قصـــــــار[2]

إذ يقول المنجم أن العتابي أخذه من بشار, وأن بشار أخذه من قول جميــل :

كأن المحب لطول السهـــــــاد قصيــر الجنون ولم تقصــــــــر

ولكن بشار أحسن كل الإحسان , وتصرف في المعنى بما أكسبه جلالا وروعـــة، على عكس العتابي الذي مسخه ونازعهما المعنى فأساء كــل الإساءة[3]، غير أن جميلا أوجز المعنى وأوفى فحصل فضيلة السبق كما يقال , حيث بين في شطر واحد من البيت أنها قصرت لأجل السهاد,ولم تقصر خلقـــه .

---

[1] انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب لأحسان عباس – ص 158

[2] الحصري– زهر الآداب و ثمر الآلباب – ج2 ص 646

[3] المصدر نفسه – ج2 ص 946

أما بشار فقد أخذ بعض المعنى صراحة وهو قصر الجفون لأجل السهاد,وأشار للمعنى الثاني, وهو أنها لم تقصر خلقه بكلمة " كأن " التشبيهيـــة فجمع إلى فضيلة الإيجار, حسن التلميح، وهما من أسباب البلاغة عند العرب[1] .

أما العتابي فأخذ بعض المعنى الوجيز من شطر واحد , وجعله في شطرين , فلم يزد عليه ولم يستوفه، ولكن هذا التقصير في هذا النموذج لا يعني سلبه جميع محاسن شعره كما جاء في حكم المنجم عليه .

8.4-موازنة في البديع و حسن الإستعارة

ونجد أن الحصري يعقد فصلا بعنوان : نبذة عن لطائف ابن المعتز وفضل تحققه بالبديع والاستعارات، فيقول :

قال أبو بكر الصولي : اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند أبي العباس عبد الله بن المعتز وكان يتحقق بعلم البديع تحققا ينصر دعواه فيه لسان مذكراته, فلم يبق مسلك من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شعبا من شعابه, و أوردنا أحسن ما قيل في بابه, إلى أن قال أبو العباس: ما أحسن , وغيره أحمد منه, وقد أخذه من قول ثعلبة بن سعد المازني :

فتذاكرا ثقـــلا رثيـــدا بعدمـــــــا ألقت ذكاء يمينهـــــا في كافـــــــر

وقول في الرمـــة أعجب إلي منـــه :

ألا طرقت مي هيوما بذكـــرهـــا وأيدي الثريا جنح في المغـــــــارب

و قال بعضنـــا : بل قول لبيد أيضا :

ولقد حميت الخيل تحمل شكتي قرط ,وشاحي إن غدوت لجامهـــــــا

قال أبو العباس : هذا حسن ,ولكن نعدل عن لبيـــد.

وقال آخر : قـــول الهندلـــي :

ولو أنني استودعته الشمس لاهتـــدت إليه المنايا عينهـــا، ورسولهـــــــا

قال أبو العباس : هذا حسن , وأحسن منه في استعارة لفظ الاستيداع قول الحصين بن الحمام (..... نحو 10 ق هـــ) لأنه جمع الاستعارة والمقابلة في قولـــه :

فطاردهـــم نستودع البيض هامهـــم ويستودعونـــا السمهـــري المقومـــا

---

[1] **المصدر السابق – ج2 ص 970**

وقال آخر : بل قول ذي الرمـــة :

أقامـــت به حتى ذوى العود في الثرى وساق الثريا في ملاءته الفجـــــر

قال أبو العباس : هذا لعمري نهاية الخيرة, وذو الرمة أبدع الناس استعارة وأبرعهم عبارة، إلا أن الصواب : حتى ذوى العود والثرى, لأن العود لا يذوي ما دام في الثرى, وقد أنكره على ذي الرمة غير ابن المعتز، قال أبو عمر بن العلاء (70–154 ه) كانت يدي في يد الفرزدق فأنشدته هذا البيت فقال : أرشدك أم أدعك ؟ قال : فقلت : بل أرشدني , فقال : إن العود لا يذوي في الثرى , الصواب حتى ذوي العود والثرى .

قال الصولي : وكأنه نبه على ذي الرمة : فقلت , بل قوله :

ولما رأيت الليل والشمس حيـــة حياة الذي يقضي حشاشته فارغ

قال أبو العباس : اقتدحت زندك يا أبا بكر فأورى, هذا بارع جدا, وقد سبقه إلى هذه الاستعارة جرير حيث يقـــول :

تحي الروامس ربعهـــا وتجده بعد البلى فتميتـــه الأمطـــــار

وهذا بيت جمع الاستعارة والمطابقة,لأنه جاء بالأحياء والاماتة, والبلى والجدة, ولكن ذو الرمة قد استوفى ذكر الإحياء والإماتة في موضع آخر فأحسن وهو قـــولـــه :

ونشوان من طول النعاس كـــأنـــــــه بحبليـــن في مشطونـــة يترجـــــح

إذا ما مات فوق الرجل أحييت روحـــه بذكرك والعيس المراسل جنـــــــح

فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس إلا وقد غمره من بحر أبي العباس ما فاض معه معينه، ولم ينهض حتى زودنا من بره ولطفه نهاية ما اتسعت له حاله"[1].

ويتضح من هذا الكلام أن هذه الموازنة تشتمل على شيء غير قليل من التحليل، ولكن للأسف فإن الحصري لم يعمد إلى إبداء الرأي أو تحليل ما ورد من هذا الكلام وإنما اقتصر على مجرد النقل

ثم نلاحظ في الموازنـــة التاليـــة :

ولقد حميت الخيل تحمـــل شكتـــــي قرط, وشاحي إن غدوت لجامهـــا

ولو أنني استودعتـــه الشمس لا هتدت إليـــه المنايا عينها, ورسولهـــــــا

---

[1] الحصري ـــــ زهـــر الأداب وثمر الألباب – ج2 ص 977 .

نطاردهم نستودع البيض هامهـــــــم ويستودعونا السمهري المقومـــــــا

احدهمـــا : أعلى عنه صراحـــة، وهذا الجمع بين الاستعارة والمقابلة بين " نستودع " وستودعونا " ذلك أن زيادة البديع في بيت واحد يعتبره الكثير من النقاد من مقومات التفضيل في ذلك العصر الذي أغرم بالبديع[1] .

ثم يأتي بعد ذلك الموازنة بين الأبيات الثلاثة الآنفة الذكر, وقول ذي الرمة :

أقامت به حتى ذوى العود في الثـــرى وساق الثريا في ملاءته الفجـــر

وقولـــه : ولما رأيت والشمس حيـــــــة حياة الذي يقضي حشاشة نـــازع

وقوله جرير: تحي الروامس وبعدها وتجـــده بعد البلى فتميتـــه الأمطـــــــار

وقوله ذي الرمه :

ونشوان من طول النعاس كـــأنـــــــه بحبليـــن في مشطونـــة يترجـــح

إذا ما مات فوق الرجل أحييت روحـــه بذكرك والعيس المراسل جنـــــح

ومجال الموازنة هنا : أي الأبيات أحسن استعارة، حيث نلاحظ أن ابن المعتز في أكثر إجاباتـــه كان يجنـــح إلى التقريـــظ, دون التفضيل ذلك أن محاسن هذه الاستعارات تكافأت عنـــه.

ففي البيت الأول نراه يسعى إلى تفريط قائله عموما دون تخصيص على وجه الدقة، ويرى أنه أبدع الناس استعارة , ويورد مثالا للاستعارة مثل : السوق , والملاءة للفجر، واستحسانه هنا غاية التوفيق لأن صورة الملاءة يوحي بها منظر عكس الفجر إذا آبت النجوم إلى مغاربها، وفي البت الثاني مدحه كونه بارع جدا, ولعل المقياس في ذلك أنه جميع بين الاستعارة وهو الحياة للشمس وبين التشبيه : حياة الذي (...) أي كحياة الذي..

كما أنه يعمد في الأبيات الأخيرة إلى تفضيلها لأنها جمعت بين الاستعارة والمطابقة.

ــ يورد الحصري قول الحارث بن خالد (... نحو 80 هــ) يتغـــزل :

توفيك شيئا قليلا وهي خائفـــــــة كما يمس بظهـــر الحيـــة الفرق

ويعلق الحصري على ذلك بقوله : أخذها الطائي – يعني أبو تمام – فحسنـــه :

---

[1] **المدر السابق – ج1 ص 243.**

تأبى على التصريد إلا نائـــــــلا إلا يكن ماء فرحا يمـــــــدق

نزرا كما استكرهت عابر نفجـــة من فأرة المسك التي لم تفتـــــق

والملاحظ هنا أن الحارث ذكر نائلها القليل, ولم يشبه هذا النائل بشيء, وإنما شبه حالتها عندما تبخل بمن يمس ظهر الحية على وجل, أما أبو تمام فأخذ نائلها القليل وشبهه بالماء الفراح الممذوق, ثم شبه هذا النائل الذي كان نزرا باستكراه العبير من فأرة المسك وهي لم تفتق، فأبوا تمام لم يأخذ المشبه ولا المشبه به من بيت الحارث بن خالد, وإنما أخذ الموضوع الذي تولد عنه حالة المشبه, وجاء بتشبيهين آخرين, فلا ندري على أي أساس اعتبر الحصري أن أبا تمام حسن هذا المعنى مع أنه لم يأخذ منه إلا طرقا, ولم يأخذ المشبه والمشبه به مطلقا، ولكن أبا تمام كان يعني فيما يبدو بالممذوق أن نائلها القليل غير خالص, ذلك أن أخذ التشبيه لم يرد إلا في البيت الثاني :

ويورد الحصري بيتا لعكاشه العمي وهو يصف عزف مغنية .

وكأن يمناها إذا ضربت بهـــــــا تلقي على الكف الشمال حسابـــا

ويضيف الحصري أيضا : وقد أخذ معنى قوله أبو العباس الناشئ وزاد فيه فقال :

وإذا بصرت بكفها اليسرى حكـــت يد حاسب تلقي عليك صنوفـــــا

فكأنما المضراب في أوتـــــــاره قام يمجمج في الكتـــاب حروفـــا

ويجسه إبهامهـــا فكأنمـــــــــا في النقر تنفي بهرجا و زيوفـــــا[1]

والاعتقاد السائد أن الزيادة في المعنى من المحسنات في الأخذ، وإن كان اللاحق أدنى تعبيرا لأن وجـــه الحسن أنه استفاض في المعنى، ولكن يلاحظ أن هناك زيادة في المعنى عند اللاحق , كما يوجد نقصا أيضا، ومرد ذلك أن عكاشة العمى يصف عزف الجارية بأنها تحرك المضراب بيمينها, وأصابع شمالها تتعاقب على الأوتار, فكأن الشمال تتلقى أعدادا حسابية تمليها اليمين .

والملاحظ أن الناشئ لم يتناول جميع هذا المعنى ــ كما قال الحصري ــ ذلك لأنه لم يذكر إلقاء اليمين وإنما ذكر حالة الكف اليسرى فقط بأنها كيد حاسب تلقى على المشاهد صنوفا.

---

[1] **المصدر السابق – ج2 ص 609 – ص610.**

ولكن الناشئ يعوض عن هذا النقص بزيادة أخرى في المعنى لا نجدها عند عكاشة، وهو أن وصف مجسم إيهامها بصفة أخرى غير الحساب وذلك بقوله :

فكأنما في النقر تنفي بهرجا و زيوفـــا

كما أنه يصف المضراب بقلم يمجمج فهذا معنى آخر.

9.4-موازنة في استفاء المعنى:

ويواصل الحصري تتبع نماذج الموازنات التي أولع بها على غرار ولعه بتصيد السرقات الأدبية، فيذكر قول ابن الرومي في التشوق للوطن .

فقد ألفته النفس حتى كأنـــــــه لها جســد إن بان غودر هالكـــا

ثم يقف الحصري قائـــلا:

إن علي بن محمد الأيادي اختلسه , وأنه أحسن الأخذ ولطف في السرقة، عندما قال : -يذكر موت أهل الدار -

بانوا فماتت أسفا بعدهـــــــم وأنما الناس نفوس الديـــــــار [1]

وعندما يعبر شاعر ما بأن ذلك الشيء جسد بلا روح فهــذا معنى شائع بين العامة , فضلا عن الخاصة , غير أن ورود هذا المعنى في وصف الديار وفي كلا الأنموذجين يرجح أن الإيادي أخذ من ابن الرومي، ولكن الذي يهم هو القيمة النقدية التي يوزن بها " حسن الأخذ واللطافة فيه "

وتعرف هذه القيمة من خلال معرفة الفرق بين الأنموذجين، فابن الرومي ذكر الجسد والنفس والهلاك في بيت كامل .

أما الإيادي فاستوفى المعنى في نصف بيت ولم يذكر الجسد, ولم يذكر هلاك الجسد وإنما مهد لهلاك الجسد بالشطر الأول عندما ذكر هلاك الدار لهلاك أهلها ,ثم قال : وإنما الناس نفوس الديار , وهذا من أدب اللمحة والاقتضاب[2] .

ويقول الحصري : قال عمرو الوراق : سمعت أبا نواس ينشد قصيدته

أيها المنتاب عن عفـــــره لســت من ليلــي ولا سمـــــره

لا أذود الطير عن شجـــره قد بلوث المــر من ثمـــــــره

---

[1] المصدر السابق – ج2 ص 684

[2] المصدر السابق – ج2 ص 684

فحسدتـــه عليهـــــا : فلمـــا بلغ إلى قولـــه:

وإذا مج القنا علقـــــــــــا وتراءى الموت في صـــــــــوره

راح في ثنـــي مفاضتـــــه أســـــد يدمي شبا ظفـــــــــــره

تتأبى الطيـــر غزوتـــــــه ثقـــة بالشبـــع من جـــــــــــزره

تحت ظل الرمح يتبعـــــــه فهـــــي تتلـــــــوه عـــلى أثـــــره

فقلت ما تركت النابغـــة شيئا حيث يقول :

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقهـــم عصائـــب طير تهتدي بعصائـــــب

جوانح قد أيقن أن قبيلتـــــــــــه إذا ما التقى الجمعـــان أول غالـــب

فقال : اسكت فلئن أحسنت الاختراع لما أسأت الإتباع[1]

وجه اللقاء لا يمكن فقط في إتباع الطير لكتائب الغازي كونها ستمار وأنها ستقتات على أثره، حيث يعتقد النقاد أن هذا المعنى مشترك مطروق, ولكن اللقاء الأدق يظهر في القول بثقة هذه الطير بانتصار الغازي وتركه للسلب ينتهك من الطير والسباع على قول عنترة :

فتركته جزر السياع ينشنـــــه يقضمن حسن بنانه والمعصـــــم[2]

وإذن فأبو نواس لا ينكر الأخذ عن سابقه ذلك أنه احتج بأنه أحسن الإتباع .

وهذا الاحتجاج فيما رأى مرده إلى ثقته من حسن صنيعه وتأكده من جودة شعره, ذلك أنه يندر أن يتعرف شاعر بأخذه عن شاعر، بل هو يتحرر لذلك ويحتاط وقد يحتال لقضم شعر الغير مقنعا غيره بأحقيته بهذا البيت أو هذا المعنى, ولكن حسن أبي نواس هنا فيما نرى أن النابغة أورد هذا المعنى في بيتين من الطويل ومعلوم أن التفعيلات هذا البحر طويلة قد لا تضيق معها فسحة القول ــ خاصة عند وصف الملاحم والبطولات في البحر,الشيء الذي أفاض من خلاله النابغة في وصف المشهد بينما استوفى أبو نواس المعنى في بيت واحد من مجزوء الرمل هو أقصر التفعيلات حيث يقول :

تتأبى الطير غزوتـــــــــــه ثقـــــة بالشبع من جـــــــــزره

ونلاحظ في الشطر الثاني من البيت هذا التلويج إلى انتصار الممدوح,ولا شك أن التلميح أروع من التصريح وقد عد ذلك من أيات البلاغة, فالفرق يمكن في أن النابغة صرح وأن

---

[1] **الحصري ــ زهر الآداب وثمر الألباب – ج 2 ص 998**

[2] **الديوان – دار الآداب – بيروت (1984) – ص 53**

أبو نواس لمح, ولذلك أعجب الحصري بهذا النوع من الأدب التي يتخذ من اللمحة تعبيرا حين يمكن لها أن تغني عن الإشارة .

ويأتي الحصري بقول إبراهيم بن العباس :

لفضل بن سهل يـــــــــــد تقاصر عنها المثـــــــــــل

فباطنها للنـــــــــــــــدى وظاهرها للقبـــــــــــــل

وبسطتها للغنـــــــــــــــى وسطوتها للأجـــــــــــــل

ثم يعطف الحصري على ابن الرومي قالا:وقال يمدح عبيد الله بن عبد الله طاهر (323-300 ه) وزاد في هذا المعنى تشبيهـــا ظريفـــا :

مقبـــل ظهـــر الكف وهاب بطنهـــــا لها راحـــة الحطيم وزمـــــــــزم

فظاهرها للناس ركـــن مقبـــــــــل وباطنهـــا عين من العرف عيلـــم

وإذا ما تأملنا المعنى العام في هذه الأبيات لراعتنا هذه الظاهرة السيئة التي لجأ إليها الشعراء في تمجيد ممدوحيهم وإسبال رداء القدسية حبا أو تملقا , وهي على أية حال ليست من خصال العرب ولا من هدي الإسلام أن تقبل الأيدي,أو تعفر الوجوه, أو تقرن بالمشاعر المقدسة, ولم يقتصر الأمر على هذا اللون من التمجيد، فسطوة الرشيد فاقت كل حد واتصلت بعالم الغيب حين يرى أبو نواس:

وأخفت أهل الشرك حتى أنـــــه لتخافك النطف التي لم تخلـــق[1]

ويوغل ابن هاني الأندلسي في التقديس الذي يخرجه عن طوره فينعت ممدوحه المعز لدين الله الفاطمي بما يدعو إلى الشرك البيـــن :

ما شئت أنت لا ما شاءت الأقـــــدار فأحكـــم فأنت الواحد القهـــار[2]

ولكن إذا صرفنا الطرف عن هذه المآخذ التي شابت المدح في الشعر العربي والتي لم يكن سببها الفن وحده, وإنما كانت هناك أسباب سياسية واجتماعية واقتصادية تثير مثل هذا القول، فإننا لا نغفل عن جماله الفني مادام أن غرضنا ها هنا استجلاء القيم النقدية، فالحصري يشير إلى هذا التشبيه الظريف الذي أبداه ابن الرومي فبينما كانت أبيات إبراهيم ابن العباس وصف وتقرير، أضاف ابن الرومي إلى الوصف التشبيه, فشبه ندى كفه بزمزم مع أنها لاتنفد, وهي

---

[1] **الديوان– دار الكتاب العربي – بيروت (1976) – ص 103**

[2] **الديوان – دار الجيل – بيروت (1984) – ص 34**

في نفس الوقت شبع وري وشفاء من كل داء, ويلاحظ أن التشبيه الثاني ما هو إلا تكرار للتشبيه الأول.

يورد الحصري بعد ذلك موازنة بين ثلاثة من الشعراء المشهورين بالمجون والخلاعة, وكانت الموازنة تدور حول وصف هيئة غلام يعب من الكأس .

حيث يروى لنا قول الحسين بن الضحاك الخليع الذي يقول :

كأنما نصب كأســـه قمـــــــــــر يكرع في بعض أنجم الفلـــــك

ويقول أبو النواس :

إذا عب فيها شارب القوم خلتـــــه يقبل في داج من الليل كوكبـــا

ويعقب الحصري على ذلك بقولـــه: وقال ابن الرومي فكان أحسن منهما:

ومهفهف كملــت محاسنـــــــــه حتى تجاوز منيـــة النفـــــس

تصبـــو الكؤوس إلى مراشفـــــه وتضج في يده من الحبـــــس

أبصرتهـــا والكأس بين فـــــــم منـــه وبين أنامل خمـــــــس

فكأنها و كأن شاربهـــــــــــا قمـــر يقبـــل عارض الشمـــس [1]

ومن خلال هذه الموازنة نلاحظ انعطاف الحصري إلى ابن الرومي, فهو لا ينكر على الخليع ولا على أبي نواس الإجادة ولكن ممكن الحسن والإجادة، الذي ظفر به ابن الرومي هو هذا التشبيه البديعي الذي فاق الآخرين, وهي صفة اللف والنشر : فكأنها لتشبيه الكأس يعارض الشمس, وكأن في تشبيه شاربها بالقمر, ولاشك أن القدماء في ذلك العصر كانوا يحتفون احتفاء خاصا لمعاني البديع ويعتبرونها من المقومات النقدية, والحصري نفسه كان يعجب بالبديع إعجابا كبيرا ويتتبعه في كتابه " زهر الأداب".

كما يسوق الحصري موازنة عما قيل في طول الليل , حيث يبدأها بمشاجرة جرت بين الوليد بن عبد الملك (48–96 ه) ومسلمة (...–120ه) أخيه في شعر امرئ القيس والنابغة الذبياني في طول الليل , أيها أشعر؟

فقال الوليد: النابغة أشعر , وقال مسلمة: بل امرئ القيس ، ولما احتدم بينهما الخصام احتكما إلى الشعبي (19–103 ه) فأحضراه، فأنشده الوليد للنابغـــة :

---

[1] **الحصري ـــــ المصدر السابق ج 1 ص 417 .**

وليل كموج البحر أرخى سدولـــــــه علي بأنواع الهموم ليبتلـــــــــــــي

فقلــت له لما تمطى بجـــــــــوزه وأردف اعجازا وناء بكلكـــــــــــل

ألا أيها الليل الطويل انجلـــــــــــي بصبح وما الإصباح منك بأمثـــــــــل

فيالك من ليــل كأن نجومـــــــــه بكــل مغار الفتــل شدت بيذيـــــــــل

فطرب الوليد طربا،فقال الشعبي : بانت القضيـــة .[1]

ولسان نماري في جمالية وصف الليل عند امرئ القيس، فلقد شهد له بها الأقدمون ولم ينكرها اللاحقون فهو قد تفوق بمساواته بين الليل والنهار في الهم,على حين فرق بينهما النابغة,وبتصويره الرائع لليل بالبعير في تمطية, وطولــه , وكنايته عن ذلك بوقوف الثريا في مكانها لا تريم وكأنها مشدودة بحبال متينة إلى جندل كبير، ونحو ذلك مما ألم به امرؤ القيس ,بينما كانت الكواكب عند النابغة بطيئة لا تتحرك .

ويعلق الحصري على قول النابغة: صدر أرح الليل عازب همـــــه...أنه جعل صدره مأوى للهموم, وجعل الهموم كالنعم السارحة الغادية, تسرح نهارا ثم تأتي إلى مكانها ليلا[2].

ويواصل الحصري تعليقه قائلا : أنه – أي النابغة– أول من استثار هذا المعنى ووصف أن الهموم مترادفــة بالليل لتقييد الألحاظ عما هي مطلقــة فيه بالنهار، واشتغالهــا بتصرف اللحظ عن استعمال الفكر[3] .

ولكي يزيد الحصري هذا الأمر وضوحا أورد قول الطرماح بن حكيم الطائي(...125ه)

ألا أيها الليل الذي طال أصبـــــح بيوم وما الإصباح منك بـــأروح

على أن المعينين في الصبح راحــة لطرحهمــا طرفيهما كل مطــرح

ويظهر الحصري رأيه قائلا : فنقل – أي الطرماح – لفظ امرئ القيس ومعناه وزاد فيه زيادة اغتفر له معها فحس السرقة، وإنما تنبه عليه من قول النابغة , إلا أن النابغة لوح وهذا صرح[4]، ولا شك أن الحصري كان يقصد ببيت النابغة المعتمد على التلويح .

وصدر أراح الليل عازب همـــــــه تضاعف فيــه الحزن من كــل جانــب .

---

[1] الحصري ــ زهر الآداب وثمر الألباب –ج2 ص747

[2] المصدر نفسه – ج2 ص748

[3] المصدر نفسه –ج2 ص748

[4] المصدر نفسه –ج2 ص748

ثم يورد الحصري قول أبو العتاهية :

كأن الخلــق ركــب فيــه روح لــه جســد وأنت عليــه رأس

يقول الحصري : أخذه علي بن جبلــة (160–213 ه) وزاد فيه فقال لأبي غانم الطوسي (...–120 ه)

والخلق جسم وإمام الهـــــدى رأس وأنت العيــن في الرأس

ويتضح أن المعنى مشترك , كما يتضح أن دلائل الأخذ هنا كثيرة من ذلك أن الموضوع واحد, وهو المدح, كما أن القافية واحدة, بيد أنه مما يشفع له في الأخذ زيادته معنى لطيفا في موضعه, إذ يعتقد الحصري أنه ليس من المعقول أن يصف ممدوحه بأنه رأس, لأنه بذلك يستعدي الخليفة على نفسه إذ الممدوح عامل الخليفة، فجعل الخليفة هو الرأس وجعل ممدوحه هو العين التي تحرســه .

ونلاحظ أن الحصري وقف عند كلمة " وزاد فيه " مكتفيا بها, لأن الزيادة في المعنى من محسنات الأخذ عنده .

أما ابن جبلة فعنده طرف ثالث : هو عامل الخليفــة , لا يمكن أن يكون جسدا لأنه فوق ذلك عند المداحين, ولا يمكن أن يكون رأسا لأنه دون ذلك، فلما وصفــه بالعين في الرأس كان مبتكرا لهذه الزيادة معفيا على أثره في الأخذ .

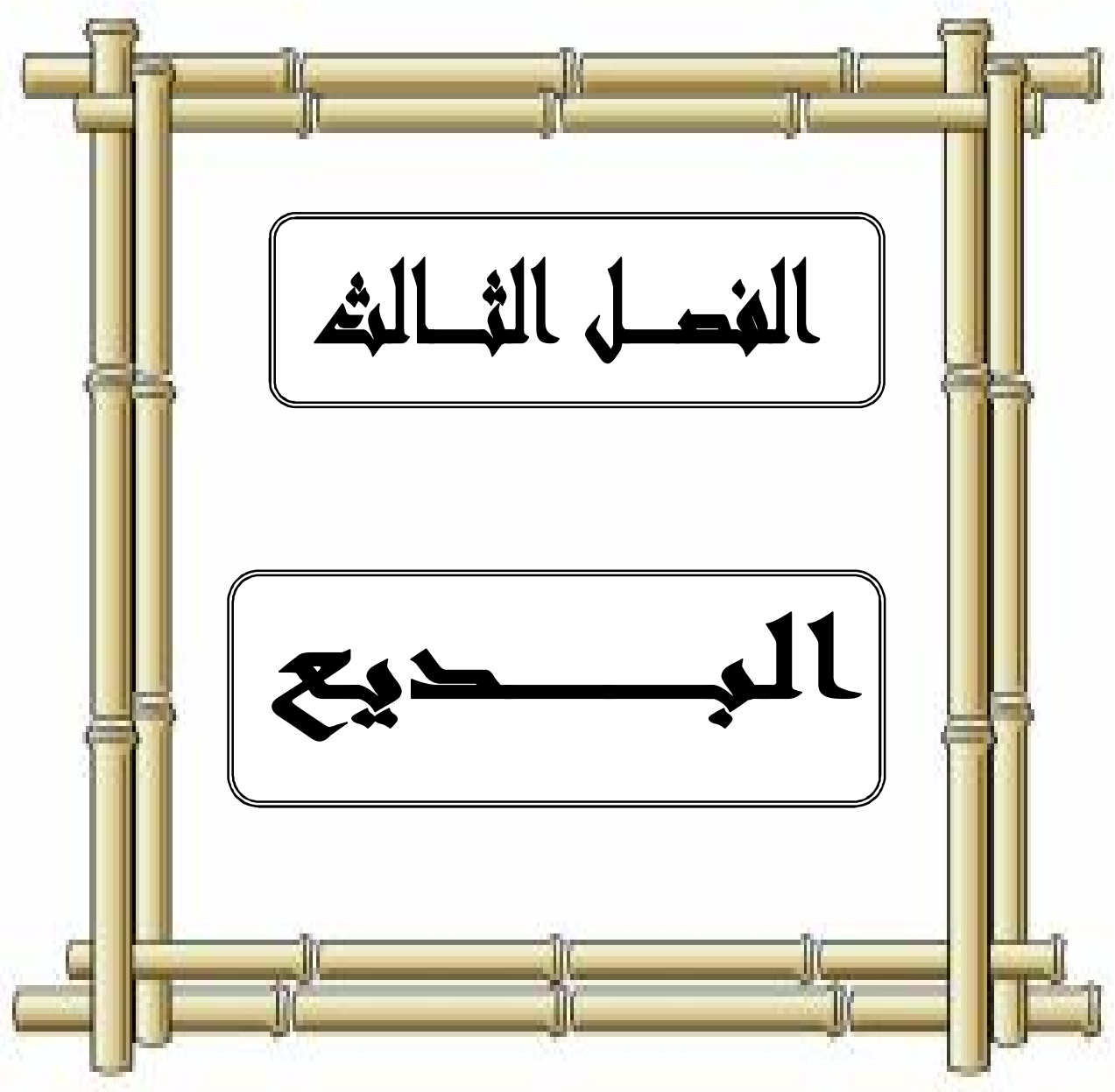
الفصل الثالث
البديع

1-مفهوم البديع:

البديع كما يقول الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن في كتابه " التلخيص " هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة[1] "، ويعرفه ابن خلدون بأنه "هو النظر في تزين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق، إما يسجع يفصله ، أو تحسين يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهما, أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك "[2].

لقد عرف العرب في شعرهم الجاهلي كل الخصائص الفنية والأساليب البيانية التي تكسو اللفظ بحلية الجمال وتقوي المعنى بصبغة الإبداع، وكان الشاعر بحسه الفطري وسليقته الطبيعية ملما بألوان البديع وإن لم يحققها اصطلاحا, ذلك أن البديع إذا تخيره الشاعر فيما يخدم نصه الشعري فإنه يضفي على هذا النص جودة وسحرا.

وكما يقول أبو هلال العسكري" إن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب، كان في غاية الحسن ونهاية الجودة ." [3]

ويحيلنا إبن رشيق على اصطلاح البديع اللغوي حيث يقول "وأما البديع فهو الجديد, وأصله في الحبال, وذلك أن يفتل الحبل جديدا، ليس من قوى حبل نقضت ثم فتلت فتلا آخر,وأنشد للشماخ بن ضرار :

أطار عقيقة عنه نسالا وأدمج دمج ذي شطر بديع.[4]

ثم يعرف ابن رشيق البديع اصطلاحا فيقول: " إن الإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجر العادة بمثله, ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر و تكرر فصار الاختراع للمعنى, والإبداع للفظ, فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع، فقد استوفى على الأمد, وحاز قصب السبق"[5].

---

[1] محمد بن عبد الرحمن القزويني – التلخيص– ص35 .
[2] عبد الرحمن بن خلدون – المقدمة– ص 1066
[3] أبو هلال العسكري – الصناعتين– ص267
[4] إبن رشيق–العمدة ص222
[5] المصدر نفسه –ص 222

وعلى العموم فإن البديع يطلق على الزخارف التحسينية التي يراد بها تزيين الكلام وتوشيته، وتحقيق إيقاعه الموسيقي, ونحو ذلك من ألوان الترف الكلامي الذي لا تقتضيه ضرورة الكلام, لأن الكلام يتم فهمه دون البديع.

وجميع أنواع البديع يراد بها تحسين المعنى أو اللفظ*.

ويرى الدكتور محمد مندور أن أنواع البديع التي ذكرها ابن المعتز ما عدا الاستعارة نوع من التجديد , بل الخلق لم يعرفه العرب[1].

ولا يمكن التسليم بقول محمد مندور جملة واحدة, وإنما يجب الاحتياط والتحفظ على أدنى تقدير، ذلك أن ابن المعتز نفسه يذكر نماذج له من الأدب القديم وذلك فيما نحسب دليل أكيد على أن العرب عرفوه واستعملوه في خطابهم وإن كانوا لم يكثروا منه.

ولكن محمد مندور يقول في موضع آخر وكأنه يتراجع عن مقولته السالفة "ونحن لا نقول إنها غريبة عن الشعراء أو يجب أن تكون غريبة, فهي من طرق الأداء التي للشاعر الحق في استخدامها" .[2]

فكيف تكون نوعا من التجديد لم يعرفه العرب , وتكون في نفس الوقت غير غريبة عن الشعراء.

أما الأنواع فهي موجودة في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر القديم، فإن ابن المعتز قال في مقدمة كتابه " قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدناه في القرآن، و اللغة ، و أحاديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وكلام الصحابة و الأعراب، وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه البديع، ليعلم أن بشارا, مسلما.وأبا نواس ومن تقيلهم , وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن[3] ".

ولقد ضمن ابن المعتز كتابه نماذج من البديع و الذي قيل قبل وجود هؤلاء الرواد، ولكن لماذا عد هؤلاء المحدثون في طليعة رواد البديع مع أنهم لم يستحدثوه، والإجابة تكمن هنا كون هؤلاء المحدثين اعتمدوه وعكفوا عليه وأكثر و من استعماله, بينما القدماء كانوا يأتون

*** نجد في الفنون البديع مصطلحات من قبل التفويت, والتطريز مثلا وهما مشتقيان من اصطلاحات الفنون التطبيقية والتشكيلية وعلى ذلك يراد بالبديع الصنعه والزخرفة ,انظر ياقوت الحموي ـــ خزانة الأدب ص 375.**

[1] محمد مندور – النقد المنهجي عند العرب – ص 48 .

[2] المرجع نفسه – ص 49.

[3] عبد الله ابن المعتز– البديع– : تحقيق المستشرق الفناطيوس–دار الحكمة– دمشق – ص1.

به عفوا من غير انهماك فيه ولا إكثار, ولقد أشار ابن المعتز بقوله عن هـؤلاء المحـدثين "ولكنه كثر في أشعارهم.[1] "

ثم يقول في موضع آخر عن أبي تمام :" ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف بـه حتى غلب عليه وتفرع فيه, وأكثر منه[2] " .

ثم يقول عن القدماء :" وإنما كان يقول الشاعر عن هذا الفن البيت والبيتين فـي القصـيدة, وربما قرئت من شعر احدهم قصائد في غير أن يوجد فيها بيت بديع.[3] "

وإذا أوغلنا في تتبع تاريخ البديع نقدا فلا مناص لنا من إلقاء نظـرة علـى شـعر القـدماء الجاهلين وغيرهم, فإن القارئ لهذا الشعر يلمس شيئا من البديع غير قليل, ولعـل الشـعراء أنفسهم استأنسوا لهذا البديع مدركين إياه بذوقهم الفطري مما فيه من تحلية الكلام وتحسـينه، غير أنهم لم يصطلحوا على تسمية فروعه وصوره, فنحن نرى الطباق , والجناس, والتورية, ورد العجز على الصدر, وقلب المعاني في أشعار القدماء، ولكنهم لا يسمونها بهذه التسميات, وقد نجد مثالا لهذا مصطلحات الخليل بن أحمد في عروضه, فإن القدماء كانوا يجرون على هذا القانون سليقة دون أن يستحدثوا لأوزانهم وتفعيلاتهم اصطلاحا معينا. والقول نفسه فـي تقعيد اللغة نحوا وصرفا، فإنها لم تقنن إلا بعد الإسلام, ولكن الشعراء الجـاهليين والعـرب على العموم كانوا يعلمون ذلك فطريا ويتخذونه في تعابيرهم بالسليقة, ولا

أبعد أن يكون البديع من ألسنتهم قريب.

"وعلى هذا تمايز البديع أدبا ونقدا, فهو كأدب مصاحب للأدب العربي في نشأته, وهو كنقـد فن مستحدث[4]."

ونريد بالنقد تسمية مصطلحاته والتفريق بينها, ووضع المقاييس والقواعد لجيده ورديئه.

ويصعب التاريخ لبداية البديع كنقد, ولكن الدارسين والباحثين يزعمون بأن ابن المعتـز أول من ألف فيه, على الرغم من أن كتب التراث الأدبي لم تشر إلى أن ابن المعتز قد سبق إلـى التأليف في هذا الفن .

---

[1] **المصدر السابق – ص1**

[2] **المصدر نفسه– ص 2**

[3] **المصدر نفسه، ص2**

[4] **د. عبد العزيز عتيق – علم البديع – ص 13**

ولقد أشار الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه " تاريخ النقد العربي " إلى أن الجاحظ قد سبق ابن المعتز إلى الإشارة للبديع في كتبه.[1] "

أما الدكتور بدوي طبانة " فقد ذكر أن الجاحظ في البيان,وصف الراعي وبشار بأنهما كثيرا البديع , وأن العتابي يذهب في البديع, وقال : إن البديع مقصور على العرب , وذكر قول الشاعر :

هم ساعد الدهر الذي يتقى به وما خير كف لا تنوء بساعد

ويعلق على ذلك بقوله : هم ساعد الدهر, إنما هو مثل, وهذا هو الذي يسميه الرواة البديع,كما يذكر الدكتور طبانة أن مسلم بن الوليد سبق ابن المعتز إلى تسمية البديع[2]، ويوضح هذا النص أن تسمية البديع سابقة للجاحظ.

غير أن ابن المعتز قد نص على أنه أول من وضع مصطلحات البديع حيث يقول :

" البديع اسم موضوع لفنون عن الشعر, يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم, فأما العلماء باللغة والشعر القديم, فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو, وما جمع فنون البديع ,ولا سبقتني إليه أحد ,وألفته أربع وسبعين ومائتين (274 ه)."[3]

ويعلق الدكتور محمد مندور على هذا الكلام بقوله: إن حنين ابن إسحاق قد ترجم كتابه" الخطابة " لأرسطو مما يدل على أن هذا الكتاب قد عرفه العرب وليس بغريب أن يكونوا قد أحاطوا بموضوعه قبل ترجمة حنين، ويذكر الدكتور مندور أن أرسطو ذكر الاستعارة، والطباق، والجناس، ورد الأعجاز في بحثه عن العبارة وهي التي بحثها ابن المعتز ثم قام الدكتور بمقارنة ممتعة بين عبارات أرسطو وابن المعتز ختمها بقوله : هذا لا يسلب ابن المعتز فضله, وذلك لأنه لم يأخذ عن أرسطو إلا مجرد التوجيه العام، والفطنة إلى تحليل هذه الظواهر التي طبقها على اللغة العربية, باحثا عن الأمثلة في القرآن والحديث وشعر المتقدمين والمتأخرين, ثم إن ابن المعتز لم يقتصر على التعريفات, والتقاسيم, بل عداها إلى

---

[1] د.محمد زغلول سلام – تاريخ النقد العربي– ص55

[2] د. بدوي طبانة : دراسات في نقد الأدب العربي – مطبعة مخيمر– القاهرة–سنة (1973)، ص166

[3] عبد الله ابن المعتز –البديع– ص 58

نقد عيب كل وجه في أوجه البديع التي ذكرها, وهو في هذا يشبه أرسطو الذي نجده في نفس الفصل الثالث في خطابته ينتقد ما في بعض الأمثلة من عيوب.[1]

ويرافق هذا التاريخ لفن البديع على أنه نقد , التاريخ لفروعه فنرى ابن المعتز– وكتابه أقدم كتاب في الفن– يذكر عن فروع البديع , الاستعارة، والتجنيس, والمطابقة,ورد أعجاز الكلام, والمذهب الكلامي.

غير أن ابن المعتز يعتذر بعد إيراده لأبواب البديع الخمسة في كتابه بقوله : " قد قدمنا أبواب البديع الخمسة وكمل عندنا,وكأني بالمعاند المغرم بالاعتراض على الفضائل قد قال : البديع أكثر من هذا وقال: البديع باب أو بابان عن الفنون الخمسة,التي قدمناها فيقل من يحكم عليه,ثم قال : يعلم الناظر أنه اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختيارا في غير جهل بمحاسن الكلام، ولا ضيق في المعرفة، فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل, ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع, ولم يأت غير رأينا فله اختياره.[2] "

ويضيف ابن المعتز إلى هذه الأبواب الخمسة أشياء عن محاسن الكلام يشملها اسم كتابه " البديع " وهي الالتفات، والعودة إلى تتميم كلام المعترض, والرجوع عن شيء قاله,وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وهزل يراد به جد، وحسن التضمين، والتعريض, والكناية, والإفراط في الصفة, وحسن التشبيه، وقد أطال فيه, وحسن الابتداء, ولزم مالا يلزم, ويعقب الدكتور بدوي طبانة قائلا: "ولعل ابن المعتز سمع بعد ذلك من بعض النقاد والمتتبعين اعتراضا على قصر البديع على خمسة,فأقرهم على دعواهم وصنع بقية المحسنات وضمها إلى الخمسة ".[3]

ولقد تناول كثيرون فن البديع, معتبرين إياه الفن الثالث من فنون البلاغة, متوسعين في ذكر فنونه ونماذجه " كالإيضاح " للمطرزي 538–610 ه وهذا الكتاب تناوله الدكتور محمد زغلول سلام بالدراسة في كتابه تاريخ النقد العربي عن القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري.

---

[1] **محمد مندور– النقد المنهجي عند العرب–ص 56 –60**

[2] **عبد الله ابن المعتز – البديع– ص57– 58**

[3] **د. بدوي طبانة – دراسات في نقد الأدب العربي– ص 168**

والسكاكي (655-ه626) في كتابه " مفتاح العلوم " وأسامة منقذ(488-584ه) في كتابه "البديع في نقد الشعر" وابن الأثير في " المثل السائر" إلى أن جاء ابن حجة الحمودي (767-873ه) فاستوعب كل ما تفرق في كتب الأدب والنقد من ألوان البديع موردا حوالي مائة واثنين وأربعين نوعا .

وكان عبد القاهر الجرجاني قبل هؤلاء (471ه) تعرض لصور من البديع، وقد تفردت دراسته لهذه الصور بثلاث ظواهر تعتبر مرحلة التقعيد جديدة بعد ابن المعتز هي :

أ- أستبعد الاستعارة عن البديع .

ب- أنه ندد بالابتكار عن البديع وجعله تابعا للمعنى ويريد أن المعنى هو الذي يقود المحسن البديعي.

ج- أنه استبعد حسن التعليل من البديع واعتبره من المعاني التخيلية, ذلك أن حسن التعليل معنى تخيلي جاء لتحسين المعنى, فهو محسن بديعي [1]

يقول الدكتور محمد زغلول سلام : " اتجهت دراسة البلاغة منذ القرن السادس الهجري إلى البديع,واهتم علماء الشام ومصر خاصة بالبديع وفنونه على أساس اهتمامهم بالخصائص الحسية والجمالية .[2]

كما يلاحظ الدكتور سلام أن البديع فيما بعد أصبح أخلاطا مستوعبا كل فنون النقد وقضاياه، إلى جانب ضروب الصنعة الأدبية، إلى الأشياء أخرى لا تمت إلى هذا ولا ذاك, مثل باب الاطراد , وهو أن يطرد للمتكلم أسماء آباء ممدوحه منسوبا بعضها إلى البعض مرتبة على حكم ترتيبها في الميلاد .

ويضيف الدكتور زغلول سلام " نجد أكثر أبواب البديع التي استحدثت كانت مطاطة متغيرة غير مستقرة، تختلف عند مؤلف عنها عند الآخرين فيما عدا الأبواب الرئيسية المعروفة منذ القرن الرابع." [3] .

---

[1] د.أحمد أحمد بدوي-عبد القاهر الجرجاني (أعلام العرب)- المؤسسة المصرية للتأليف و الترجمة-القاهرة ص247-255 .

[2] د.محمد زغلول سلام - تاريخ النقد العربي- من القرن الخامس إلى العاشر الهجري- ج2 -ص 313 .

[3] المصدر نفسه - ج2 ص 318 -ص 319 .

2- احتفاء الحصري بالبديع :

احتفى الحصري في كتابة " زهر الآداب " بالبديع احتفاء خاصا ولاغرو فلقد كان لهذا اللون الأدبي في تلك الفترة أي القرن الثالث والرابع صيتا ذائعا من جهة، وولعا شديدا من طرف أئمة البلاغة والنقد, ونحن نعلم أن من عكف على هذا اللون وانحاز له كثيرا بديع الزمان الهمداني , ولكن الحصري كان سباقا في إدخال البديع إلى بلاد المغرب والترويج له, ولعل مقدمة كتابه " زهرة الآداب " تشي بذلك حيث يقول " ولم أذهب في هذا الاختيار إلى مطولات الأخبار ,كأحاديث صعصعة بن صوحان , وخالد بن صفوان, ونظائرهما إذا كانت هذه أجمل لفظا , وأسهل حفظا[1] ".

ثم يضيف قائلا " وهو كتاب يتصرف الناظر فيه من نثره إلى شعره , ومطبوعة إلى مصنوعه, ومحاورته إلى مفاخرته,ومناقلته إلى مساجلته , وخطابة المبهث إلى جوابه المسكت, وتشبيهاته المصيبة إلى اختراعاته الغربية,وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة, وجده المعجب إلى هزلة المطرب، وجزله الرائع إلى رقيقه البارع[2] ".

ولكننا إذا تأملنا الثرات الأدبي العربي بغية التوصل إلى معرفة تاريخ البديع أدبا، فإننا نجد أن المؤرخين والمهتمين بالشأن النقدي القديم يذكرون أبا تمام ومسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني, وابن المعتز على أنهم أئمة البديع ورواده[3], والمتمعن في مسار البديع لا يمكنه حمل مثل هذا الكلام على عواهنه فيقر لهؤلاء بالسبق إطلاقا بعد الإقرار لهم بالريادة, ذلك أن البديع حسبما اصطلاح عليه البلاغيون هو تحلية للأدب واللغة رافقت الأدب العربي في نشأته, والدليل على ذلك أن البلاغيين في مختلف إنتاجهم الأدبي يمثلون للبديع بنصوص القرآن والسنة كونها أسمى آيات البيان والبلاغة, ويستهدفون كذلك بنماذج من الشعر العربي في الجاهلية والإسلام[4], وفي العصر الأموي، وهذا يعني أن البديع وجد قبل أن يوجد هؤلاء الأئمة المشار إليهم بالرواد.. ولكن البديع كفن خالص انبرى له البلاغيون وعكف عليه النقاد والدارسون بالتمحيص والمتابعة إنما ازدهر في هذه الفترة من العصر العباسي عندما دخلت

---

[1] الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1 ص1.
[2] المصدر نفسه – ج1 ص1.
[3] أنظر العمدة لابن رشيق – ص 219 .
[4] المصدر نفسه – ص220.

الأمة العربية عصرا آخر فيه الكثير من آيات الفن والترف، وفيه الانهماك على التخصص والنشاط العقلي والفكري والأدبي[1] .

ولقد راجت بضاعة البديع أيما رواج في العصر العباسي بالطبع والمقصود هنا عصر الحصري تحديدا ، كما نلاحظ أن البديع في عصر الحصري كان يشمل خاصة الاستعارة والتشبيهات ودقائق الأوصاف, وهذا الذي جعل الحصري من عشاق هذا اللون ولقد ألمحنا سابقا إلى أن بديع الزمان الهمداني كان مثله الأعلى في النثر الفني, كما أن الحصري كان يتأثر خطوات أبي تمام في الاستعارات.

والملاحظ من خلال تصدير الحصري لكتابه " زهر الآداب " أنه غض الطرف عن أدب الأعراب كأحاديث صعصعة بن صوحان لأن اختياره أجمل لفظا وأسهل حفظا, ويقول أنه وشحه من بدائع البديع ولآلئ الميكالي, وشهي الخوارزمي، وغرائب الصاحب, ونفيس قابوس، وشذور أبي منصور، وهؤلاء أئمة البديع في عصرهم[2] ،كما يلاحظ أن الحصري ختم كتابه بـ "حسن الاختتام " وهو فن من فنون البديع[3] .

كان الحصري من أبناء القرن الرابع, مؤلفا كتابه سنة 405هـ وبالتالي فإن مناقشة المسائل البديعية في "زهر الآداب " ستعتمد على ضوء ما هو مصطلح عليه في القرن الرابع بعيدا عن المستحدثات القلقة غير المستقرة في البديع.

ومن عادة الحصري إذ تطرق إلى كاتب أو شاعر من أهل البديع أن يعبر عنه بحسن المذهب، كقوله عن أبي الحسن بن يونس صاحب عبد الله ابن وهب الفقيه :" وكان لأبي الحسن في الشعر مذهب حسن"[4].

وأثناء تلمس الشواهد المعروضة في " زهر الآداب " وجدنا الحصري يسير على مذهب أبي تمام في كثرة الاستعارات, والمعروف عن أبي تمام أنه كان يتصيد هذا السبيل حيث يقول الباقلاني " وربما أسرف أبو تمام في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة حتى

---

[1] **د. شوقي ضيف – الفن و مذاهبه في الشعر العربي – ص 217**
[2] **الحصري – زهر الأداب و ثمر الألباب – ج1 ص2**
[3] **المصدر نفسه – ج2 ص 613**
[4] **المرجع نفسه – ج2 ص 1091 – ص 1093**

استثقل نظمه، واستوخم رصفه[1] " ،فهو يصف صوت المغنية بأنه أندى من النوار وأرق من نشر الثناء، ويشبه اندماج صوت المغنية في صوت الآلة بماء الغمامة إذا مزجت بـــالخمرة, ويصف الرعد بأن له وجدا, وإن للورق وسواسا، وأن للبرق خدا, وما أشـــبه ذلـــك، كمـــا يتعرض الحصري لعدد من فنون البديع تارة يذكر اسم الفن ويمثل له, وتارة ينقده ويقرضه*.

3-أبو تمـــــام في كتـــاب الحصـــري

ينتسب أبو إسحاق الحصري إلى مدرسة البديع وقد كان من رواد هذه المدرسة كما نعلم بديع الزمان الهمداني الذي بلغ الغاية من الإسراف في البديع .

كما تقوم هذه المدرسة البديعية على كثرة الاستعارات، والإغراب في التشـــبيه، والاحتفـــاء بظاهرات بديعية أخرى كالاقتضاب, ويراعـــه الاســـتهلال, وحســـن المطلـــع,والـــتخلص, والاختتام[2]، وتتجلى هذه الوجوه البديعية أكثر في الشعر, ولو أنها توجد فـــي الشـــعر بقلـــة, ويعتبر أبو تمام من المسرفين في هذا المجال[3] .

ولقد تأثر أبو إسحاق الحصري كثيرا بهذا الأديبين بحيث كان يراهما مثله الأعلى في نثـــره وشعره, مما جعله يولع بالبديع ويدخله إلى بلاد المغرب .

ولقد ألمحنا في مستهل بحثنا هذا إلى تأثر الحصري ببديع الزمان الهمداني في تحليلنا لنثره، وفي كلامنا عن نثر البديع.

أما أبو تمام فإن احتذاء الحصري له واضح جلي، مما يجعل ابن رشيق وهو تلميذ الحصري يعقد مناظرة بينه وبين أبي تمام[4]، ونحن نلحظ هذا التأثر لشديد من خلال كتابات الحصري – لاسيما زهر الآداب ـــ ومن كثرة الاستشهادات بشعر أبي تمام*.

---

[1] **الباقلاني – إعجاز القرآن : تحقيق أحمد صقر–دار المعارف– القاهرة(1963)– ص 53**

[*] **انظر النماذج من شعره في زهر الآداب – ج2 ص 613**

[2] **د. عبد العزيز عتيق – علم البديع – دار النهضة الحديثة – بيروت – ص 15**

[3] **د.شوقي ضيف – الفن و مذاهبه في الشعر العربي – ص 223**

[4] **انظر محمد المسعدي – نقلا عن ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار– نقلا عن الأنموذج لأبن رشيق – ص214**

[*] **بلغ المورود من شعر أبي تمام في زهر الآداب زهاء 388 بيتا، إضافة على إيراده دفاع الحاتمي،عنه وتعصبه ضد البحتري .**

والملاحظ في النماذج المعروضة أن الحصري لم يورد سوى ثلاثة أمثلة من الشواهد التي أخذها النقاد على أبي تمام كالآمدي .

فالأنموذج الأول: قول أبي تمام يمدح فرسا :

ما قرب يختال في أشطانه ملآن من صلف به وتلهوق

إن أبو تمام هنا لا يشذ عن القاعده كونه فسر صلف المرأة بالتيه والكبر, ولهذا قال الآمدي: " ذم أبو تمام الفرس من حيث أراد أن يمدحه."[1]

وقد ورد عن العرب استعمال الصلف بمعنى التيه والكبر, فقد فسر الزبيدي في القاموس " تكلف الصلف" بقوله:" وهو الادعاء فوق القدر تكبرا."[2]

أما الأنموذج الثاني : فهو قول أبو تمام في الغزل :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

فقد أعاب الكثير من النقاد على أبي تمام نفي صفة الذوابل عن أن تكون مشبها به لقدود النساء، وإنما خطأوه الذوابل صفه للين القنا وتثنيها, وعلى هذا درج الناس قبل أبي تمام.

قال الآمدي: " فنفى ذلك عن قدود النساء التي من أكمل صفتها التثني واللين والانعطاف"[3] .

ولقد أورد الحصري هذا البيت ولم يعلق عليه بشيء كذلك، أما تلميذه ابن رشيق فقد رد على عبد الكريم النهشلي الذي نقل كلام الآمدي الأنف الذكر قائلا : أما أبو تمام فقوله صواب لأنهم يقولون : رمح ذابل إذا كان شديد الكعوب صلبا، وهو الذي تعرف العرب ومن قولهم: ذبلت شفتاه , إذا يبستا من الكرب والعطش , أونحوهما .

فأما كلام المعترض فغير معروف إلا عند المولدين – يعفى صفة الذبول–, وليسوا بقدوة على أن كلامهم –وصف الذبول باللين– راجع إلى ما قلناه, وإنما ذلك لقلة المائية وابتداء اليبس.[4]

---

[1] **الأمدي ــ الموازنة– ج1 ص 246.**

[2] **محب الدين الزبيدي– تاج العروس – مادة صلف– المطبعة الخيرية– الجمالية – مصر (1966)**

[3] **الأمدي – الموازنة – ج1 ص 157.**

[4] **ابن رشيق – العمدة – ج2 ص 247.**

والأنموذج الثالث: قوله قبل البيت الآنف الذكر :

من الهيف لو أن الخلاخل صورت لها وشحا جالت عليها الخلاخل

على أن النقاد أنكروا على أبي تمام كون الخلاخل التي تعض في الأعضاء والسواعد, لا يعقل أن تكون وشحا جائلا على جسدها إلا أن تكون في هيئة جعل[1].

وإذا ما تأملنا بقية النماذج التي أوردها الحصري لأبي تمام – على كثرتها فليس فيها شيء مما أخذ على أبي تمام – وإذا ماقارنا شعره بشعر الحصري – الذي لم يغرب فيه من ناحية الاستعارة, والتشبيه اغربا كبيرا، فإننا سنخلص إلى حقيقة مهمة, وهي أن الحصري يرى أبا تمام مثله الأعلى في كثرة البديع ولكنه يسعى إلى تحاشي العيوب التي وقع فيها أبو تمام.

إن أبا تمام واحد من الشعراء البديعيين , الذين أغرم الحصري بشعرهم كما أغرم نثرا ببديع الزمان الهمذاني، ذلك أن الحصري كما أسلفنا من المولعين بالبديع ، على أن أبا تمام لا يعد حسب النفاد الرائد الأول للبديع رغم إسرافه فيه إسرافا لم يبلغه أحد من قبل.

لقد كان أبو تمام تلميذا أمينا لمسلم بن الوليد حيث يقول الحصري :

"ومسلم أول من لطف البديع, وكسا المعاني حلل اللفظ الرفيع, وعليه يعول الطائي– يقصد أبو تمام – وعلي أبي نواس, ومن بديع شعره الذي امتثله الطائي قوله :

تساقط يمناه الندى وشماله الردى وعيون القول منطقه الفصل

كأن نعم في فيه تجري مكانها سلافة ما مجد لأفراحها النحل

له هضبة تأوي إلى ظل برمك منوط بها الإكمال أطنابها السبل

عجول إلى أن يودع الحمد ماله يعد الندى غنما إذا اغتنم البخل[2]

كما يورد الحصري بعدها مقطوعتين أخريين لأبي تمام استحسنهما ثم قال:وهذا المعنى كثير[3].

---

[1] **الآمدي ــ الموازنة – ج1 ص152**

[2] **أنظر زهر الآداب وثمر الألباب – ج2 ص997 أورد هذه المقطوعة وتبلغ ثمانية أبيات**

[3] **المصدر نفسه – ج2 ص 1010**

وإذا ما رجعنا إلى المقطوعة السابقة نرى احتفاء أبوتمام بالتقسيم, وتشبيه الحسي بالمعنوي, والعكس , والاستعارات البعيدة كاعتبار الجهل طيارا، والجود ذا عين وذلك لوضوح العلاقة المجازية سواء أكانت قريبة أم بعيدة .

وعلى هذا الأساس نرى أن أبا تمام سار على هذا الدرب ولكنه أوغل كثيرا , حتى قال محمد بن داود بن الجراح" إن أباتمام يريد البديع فيخرج إلى المحال وهكذا قال ابن المعتز في البديع[1]" .

قال الآمدي معلقا على ذلك: " كأنهم يريدون إسرافه في طلب الطباق, والتجنيس، والاستعارات، وإسرافه في التماس هذه الأبواب وتوشيح شعره بها، حتى صار كثير مما أتى به من المعاني لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها , إلا مع الكد والفكر وطول التأمل , ومنه ما لا يعرف ولا يعلم معناه إلا بالظن والحدس ".[2]

ثم يضيف قائلا: "ولهذا كان أبوتمام منتقدا من قبل المحافظين, والشعراء المطبوعين , وكان محل إعجاب أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق من فلاسفة الكلام."[3]

ولا نبالغ عندما نقول أن أبا تمام يعد بحق المثلى الأعلى للحصري في صناعة الشعر وآية ذلك أن الحصري لم ينقل فيما اختاره من شعر أبي تمام- الكثير في" زهر الآداب"- مآخذ النقاد عليه.

أما إذا عرجنا على نماذج أبي تمام التي تبرز ما يميل إليه الحصري من بديع، فنجد أهمها حسن التعليل كقوله وهو يمدح :

شرس ويتبع ذاك لين خليقة لا خير في الصهباء ما لم تقطب[4]

وتفسير البيت الأخير في من لم يخلط لينه بشراسة، كالخمر لا خير فيها ما لم تمزج بالماء.

---

[1] **المصدر السابق – ج2 ص 1013.**

[2] **الآمدى ــ الموازنة – ج1 ص 139.**

[3] **انظر الموازنة للآمدي –ج1 ص22 – وفصول من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين ص101.**

[4] **الحصري ــ زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1 ص 164.**

وينسحب حسن التعليل على قوله :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسبل حرب للمكان العالي [1]

وقوله :

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود[2]

وقوله :

إن الهلال إذا رأيت نماءه أيقنت أن سيكون بدرا كاملا[3]

وقوله:

قد علمت ما رزئت إنما يعرف فقد الشمس بعد الغروب[4]

ونجد من استعارته وتشبيهاته قوله وهو يتغزل :

لها منظر قيدا النواظر لم يزيل يروح ويغدو في خفارته الحب [5]

ومن غريب التشبيه والبديع قول يصف قصائده :

بقرب يراها من يراها بسمعه ويد ذو إليها ذوا لحجا وهو شاسع[6]

وهذا من غرائب تشبيهاته,وقد عده البعض رائدا للمدرسة الرمزية التي تعتمد على تراسل الحواس في العصر الحديث .[7]

ويورد الحصري في " زهر الآداب" نماذج كثيرة من ألوان البديع التي يعج بها النسيج الشعري لأبي تمام فهو يورد قوله:

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار.[8]

وهذه الاستعارة الجميلة كان الآمدي قد استحسنها وهو يعرضها في الموازنة .[9]

كما يسوق لنا وصفه لسواد الليل حيث يقول :

---

[1] **المصدر السابق – ج2 ص886.**
[2] **المصدر نفسه –ج1 ص 202.**
[3] **المصدر نفسه – ج1 ص 233.**
[4] **المصدر نفسه – ج2 ص 684.**
[5] **المصدر نفسه– ج1 ص10.**
[6] **المصدر نفسه– ج1 ص147.**
[7] **د. درويش الجندي – الرمزية في الأدب العربي–دار نهضة مصر – القاهرة – ص237.**
[8] **الحصري زهر الأداب و ثمر الألباب – ج1 ص300.**
[9] **الآمدي – الموازنة – ج1 ص270.**

إليك هتكنا جنح ليل كأنه قدا اكتحلت منه البلاد بإثمد. [1]

هذه بعض النماذج في شعر أبي تمام حسبما أورده الحصري، ولكن الحصري لـم يتناولهـا بدراسة نقدية, أو آراء جدية , أوتقنين لما تتدرج تحته من جودة واستحسان، كما يظهر جليا عند سابقه الآمدي في موازنته, وعند تلميذه ابن رشيق في عمدته، ولا يمكن الحكم على اختيارات الحصري من شعر أبي تمام أنها تنحو إلى الجودة، فالحصري يطلقهـا كعادتـه دون تعليق أو إشارة كقول أبي تمام:

هو السبل إن واجهته انقدت طوعه وتقتاده من جانبيه فيتبع [2]

فيعتقد الكثير من النقاد أن هذا المدح أشبه بالذم, لأن الذي ينقاد من جانبيه رجل يخدع في أموره .

4-فنون البديع في زهر الآداب :

لقد تعرض الحصري لعدد من فنون البديع في كتابه " زهر الآداب " حيث نجـده تـارة يذكر اسم الفن المراد ويمثل له, وتارة يبادر إلى نقده أو تقريظه، أو التعقيب عليـه، ونحـن نرى مدى شغف الحصري بالبديع جملة واقتفاء آثاره والعكوف عليه, ثم تلمس بديع أبي تمام على وجه الخصوص والتمذهب بمذهبه في كثرة الاستعارات، كما أفاض فـي بحتـه عـن التضمين والتنظير له بشئ من التفصيل على غير عادته، ومن جملة الفنون البديعـة التـي تناولها الحصري في كتابه ما يلي :

ا 1.4-المبالغـة :

يتعرض الحصري للمبالغة ضمن اختيارات البديع وتتبع أطرافا منها مبرزا بعـض الشواهد لها, ولكن يجدر بنا أن نلقي نظرة على المبالغة ذلك أن عبد الله بن المعتز هـو أول من تحدث عنها, فقد عدها في كتابه البديع من محاسن الكلام والشعر وعرفها بأنها " الإفراط في الصفة " ومثل لها .

والإفراط في الصفة عنده يأتي على ضربين: ضرت فيه ملاحة وقبول, وآخر فيه إسـراف وخروج بالصفة عن حد الإنسان .

فمن النوع الأول عنده مثلا قول إبراهيم العباس الصولي :

---

[1] **الحصري ــ زهر الأداب و ثمر الألباب - ج2 ص599**

[2] **المصدر نفسه - ج1 ص555**

يا أخا لم أر في الناس خلا مثله أسرع هجرا ووصلا

كنت لي صدر يوم صديقا فعلى عهدك أمسيت أم لا ؟

ومن النوع الآخر المسرف قول الخثعمي :

يدلي يديه إلى القليب فيستقي في سرجه بدل الرشاء المكرب

وقول الآخر يهجو رجلا :

تبكي السموات إذا ما دعا وتستعيذ الأرض في سجدته

إذا اشتهى يوما لحوم القطا صرعها في الجو من نكهته[1]

ويأتي بعد ذلك قدامة بن جعفر فيتحدث عن افراط الصفة وعده من نعوت المعاني وكان أول من أطلق عليه اسم المبالغة .

يعرف قدامة بن جعفر المبالغة بقوله " المبالغة أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزاه ذلك في الغرض الذي قصده فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد، وذلك مثل عمير التغلبي :

ونكرم جارنا مادام فينا ونتبعه الكرامة حيث كانا

فإكرامهم للجار ما كان فيهم –أي مدة إقامة بينهم ــ من الأخلاق الجملية الموصوفة وإتباعهم الكرامة حيث كان من المبالغة ..." [2]

كما نعثر على تعريف للمبالغة في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري حيث يقول : "المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته, وأبعد نهاياته ولا تقتصر عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه, ومثاله من القرآن قول الله تعالى :" يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها, وترى الناس سكارى و ما هم بسكارى. "[3]

ولو قال :" تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة, وإنما خص المرضعة للمبالغة, لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفته بحاجته إليها. "[4]

بينما يرى ابن رشيق " والمبالغة في صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر إذا أعياه إيراد معنى حسن بالغ فيشغل الإسماع بما هو محال, ويهول من ذلك السامعين، وإنما يقصدها من

---

[1] عبد الله بن المعتز – البديع – ص 58 – ص66

[2] قدامة بن جعفر ــ نقد الشعر– شرح : محمد عيسى منون – الطبعة المليجية – القاهرة(1934) ص 101 –103

[3] سورة الحج ــ الأيــة 02

[4] أبو هلال العسكري ــ كتاب الصناعتين –ص 365

ليس بمتمكن من محاسن الكلام إن تمكنه,ولا يتعذر عليه، وتنجذب كلما أراداها إليه, انقضى كلامه. " [1]

ويستطرد ابن رشيق قائلا " ومنهم من يعيبها وينكرها ويراها عيبا وهجنه في الكلام , وقد قال بعض حذاق الشعر : إن المبالغة ربما أحالت المعنى, ولبسته على السامع ' فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره, لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه, لأنه ينبغي أن يكون من أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضا الإبانة والإفصاح وتقريب المعنى على السامع. " [2]

غير أن السكاكي ومن جاره من أمثال الخطيب القزويني فيعدون " المبالغة المقبولة " من محاسن الكلام وبديعه, ويعرفونها بقوله " والمبالغة أن يدعي لوصف بلوغة في الشدة والضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا, لئلا يظن أنه غير متناه فيه. " [3]

وإذا ما رجعنا إلى الحصري فإننا نراه لا يحيط بالمبالغة وتعريفها أو يسعى إلى الخوص فيها، وإنما يورد لنا شواهد أبرزها شاهد من قول العذري:

لو حز بالطيف رأسي في مودتها لم يهوي سريعا نحوها رأسي

ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدي لكنت أبلى وما قلبي لكم ناسي

أو يقبض الله روحي صار ذكر كمو روحا أعيش به ما عشت في الناس

لو لا نسيم لذكراكم يروحني لكنت محترقا من حر أنفاسي

فتحرك عمر بن أبي ربيعة بعد ما سمعها ثم قال :" يا ويحه أبعد ما يخر رأسها يميل إليها"[4].

وحسب الحصري فإن مما يزيد في حسن المبالغة أنه انتهز فرصة الصورة " لما يهوي سريعا نحوها رأسي " ففسر سرعة الهوى بجاذبية الحب .

2.4-الاستطـــــــراد :

---

[1] أبن رشيق ــ العمـدة- ص 340

[2] المصدر السابق - ص 50

[3] الخطيب القزويني ــ التلخيـص ص 370-

[4] الحصري ـــ زهر الأداب و ثمر الألباب - ج1 -ص255

يرى ابن رشيق إن "الاستطراد هو أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وإنما يريد غيره, فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد ،وإن تمادى فذلك خـــروج، وأكثـــر الناس يسمى الجميع استطراد والصواب ما بينته."[1]

ثم يسوق ابن رشيق مثالا عن الاستطراد حيث يقول: ومن وجيد الاستطراد قـــول دعبـــل الخزاعي , ويروى لبشار بن برد وهو أصح :

خليلي من كلب أعينا أخاكمـــا على دهره، إن الكريم معين

ولا تبخلا تحل ابن قزعة، إنه مخافة أن يرجى نداه حزين

إذا جئته في الفرط أغلق بابه فلم تلقه إلا وأنت كميـــــن[2]

وفي "زهر الآداب" يتعرض الحصري للاستطراد بإيراد الشواهد ثم يعلق عليها بشيء مـــن الإيجاز دون أن يبين عن وجه الاستطراد، يقول الحصري :

قال أبو القياس المبرد, حدثني عجل بن أبي دلف قال: امتدح رجـــل أبـــي بكلمـــة فوصـــله بخمسمائه دينار ولم يره وهي :

مالي ومالك قد كلفتني شططـــــا حمل السلاح وقول الدار عين: قـــــف

امن رجال المنايا خلتني رجـــــلا أمسي وأصبح مشتاقا إلى التلـــــــــف

أرى المنايا على غيري فأكرههـــا فكيف أمشي إليها بارز الكتـــــــــــف

أخلت أن سواد الليل غيرنـــــــي وأن قلبي في جنبي أبي دلـــــــــف

وعلق الحصري بقوله : والأبيات التي مدح بها أبو دلف هي لأحمد ابن أبي فـــنن، وقـــال : كان أحمد بن أبي فنن أسود ولذلك قال :

أخلت أن سواد الليل غيرني. [3]

ثم قال: وهذا المذهب الذي سلكه أحمد ضرب من البديع يسمى الاستطراد وذلك أن الفارس يظهر أنه يستطرد لشيء ويبطن غيره, فيكر عليه وكذلك هذا الشاعر يظهر أنه يذهب

---

[1] **ابن رشيق ــ العمدة- ص327**

[2] **المصدر السابق- ص 328**

[3] **الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 – ص 1012 – 1013**

لمعنى, فيعن له آخر فيأتي به كأنه على غير قصد, وعليه بناه , وإليه كان مغزاه .[1]

والحصري لم يبين وجه الاستطراد, إلا أننا نبينه هنا, وهو أن ابن فنن يعتذر من الوالي عن الجهاد, وحمل السلاح, فاستطرد في عذره إلى مدح أبي دلف إذ يقول : ليس قلبي الجبان كقلب أبي دلف الشجاع .

ويظهر للسامع أنه لم يرد مدح أبي دلف , وإنما ذكره تشبيها, وفي الواقع أنه أراد ذلك , ولذلك وصله أبو دلف ولم يره.

قال الحصري: وقد أكثر المحدثون منه فأحسنوا [2] ذلك، ثم ذكر من النماذج استطراد الموصلي من مناجاة امرأته إلى مدح الخليفة[3].

واستطراد البحتري من وصفه فرسه إلى هجاء حمدوبه الأصولي , وقال الحصري : وهذا معنى – يعني الاستطراد–قد أعجب المحدثين وتخيلوا أنهم لم يسبقوا إليه , وقد تقدم لمن قبلهم[4] .

قال الفرزدق :

كأن فقاح الأزد حول ابن مسمع إذا جلسوا أفواه بكر بن وائل

كما ينقل الحصري عن الحاتمي قوله : وأتى جرير بهذا النوع فحثى في وجه السابق إلى هذا المعنى , فضلا عمن تلاه, فإنه استطرد في بيت فهجا فيه ثلاثة فقال :

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل [5]

قال الحصري : و قيل هذا البيت ، مما يرد على الحاتمي و هو قوله :

أعددت للشعراء كأسا مرة فسقيت آخرهم بكأس الأول[6]

---

[1] **المصدر السابق – ج2 ص 1013 وهناك عبارة مشابهة لتلميذه ابن رشيق في العمدة – ج2 –ص41.**

[2] **المصدر السابق –ج2 –ص 1014.**

[3] **المصدر انفسه– ج2 ص 1014.**

[4] **المصدر نفسه – ج2 ص 1014 – ص1015.**

[5] **المصدر نفسه – ج2 ص 1015 وأورده ابن رشيق شاهدا للاستطراد في العمدة– ج2 –ص39.**

[6] **المصدر نفسه – ج2 ص 1015.**

ثم عبر الحصري بعبارة تدل على أنه صاحب الكلمة, ولم ينقلها عن أحد فقال : قال:أبو إسحاق(*) :وأول من ابتكره السموأل بن عادياء اليهودي (.... نحو 65 قه) وكل أحد تابع له فقال:

وإنا أناس لا نرى القتل سبة إذا مارأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا وتكرههم آجالهم فتطول[1]

وقد سار على حذوه ابن رشيق فقال : "وأوضح الاستطراد قول السموأل ,هو أول من نطق به حيث يقول :ونحن أناس..."[2] ، ونلاحظ هنا أن حسن التخلص نوع من الاستطراد .

3.4-الإطالة والإيجاز :

يقول ابن رشيق : "سئل أبو عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم ليسمع منها, قيل فهل كانت توجز؟ قال:نعم ليحفظ عنها, وقال الخليل بن أحمد: يطول الكلام ويكثر ليفهم, ويوجز ويختصر ليحفظ , وتستحب الإطالة عند الإعذار,الإنذار والترهيب,والترغيب,والإصلاح بين القبائل[3] ".

ويضيف ابن رشيق قائلا : "غير أن المطيل عن الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وإن أجاد "[4].

هذا فيما يخص فضل الاطاله حسب ما يراه ابن رشيق، فإذا تكلمنا عن الإيجاز فإن ابن رشيق الذي قعد لقوانين النقد والبلاغة وبوبها وفق منهاج جدير بالإعجاب في العمدة، يقول عن الإيجاز: "الإيجاز عند الرماني على ضربين, مطابق لفظه لمعناه, لا يزيد عليه, ولا ينقص عنه, كقولك سل أهل القرية, ومنه ما فيه حذف الاستغناء عنه في ذلك الموضع كقول الله عز وجل " واسأل القرية "[5] ثم يواصل ابن رشيق قوله: " وعبر عن الإيجاز بأن قال :

*** هو الحصري نفسه**

[1] المصدر انفسه – ج2 – ص1015

[2] ابن رشيق – العمدة –ج2 – ص 39

[3] المصدر السابق – ص161

[4] المصدر نفسه ص 163

[5] المصدر نفسه ص 210

هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف , ونعم ما قال, إلا أن هذا الباب متسع جدا, ولكل نوع منه تسميه سماها أهل هذه الصناعة ".[1]

ويتعرض الحصري للإطالة والإيجاز فيقول : قال رجل لسويد بن منجوف – وقد أطال الخطبة بكلام افتحه للصلح بين قوم من العرب– يا هذا أتيت مرعى غير مرعاك, أفلا أدلك عليه ؟ قال : نعم, قال: قل أما بعد فإن الصلح بقاء الآجال, وحفظ الأموال والسلام , فلما سمع القوم هذا الكلام تعانقوا وتواهبوا التراث[2], فكأن الحصري يريد أن يقول ولو لم يعلق على هذا القول صراحة: أن التأثير النفسي الناجم من هذا الإيجاز البليغ لهو أبعد غورا من الإطالة المخلة، ثم يؤكد الحصري بعد ذلك على تصوره لأهمية البلاغة في الخطاب فيقول : " والبلاغة لمحة دالة, وبلاغة النثر أخت بلاغة الشعر, وأن اللمحة الدالة من أجل الخاصة, وليس لإفهام العوام[3] " .

وقد قال البحتري :

والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

ويأتي الحصري في مواطن متعددة من كتابه بأقوال في مدح الإيجاز، ومدى تأثيره في النفوس, كما يسهب في البيان والإطالة[4],وهو ما يعرف بالإطناب, وخلال ذلك يأتي بشواهد معززا بها نظرته مما يؤكد احتفاء الحصري بهذا النوع من البديع .

4.4– الحشو :

يعرف ابن رشيق الحشو بما يلي " وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى, وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن, فإن كان ذاك في القافية فهو استدعاء , وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه، كالذي تقدم من التتميم, والالتفات,والاستثناء, وغير ذلك مما ذكرته آنفا .

---

[1] **المصدر نفسه ص 210.**

[2] **الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 – ص 1020 – 1024.**

[3] **االمصدر السابق – ج1 ص 318**

[4] **انظر على سبيل المثال – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1 – ص 106 – 111 – 157.**

من ذلك قول عبد الله بن المعتز يصف خيلا :

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل[1]

وهذا البيت

تعرض له الحصري بالتعليق وهو يورد نماذج للحشو إذ عقب عليه بقوله : "ظالمين من أبدع حشو جرى في بيت" [2].

كم يلاحظ الحصري ملاحة الحشو في قول طرفة موازنا بينه وبين ذي الرمة فقال : وقد أخذ على ذي الرمة قوله :

ألا يا أسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر .

قالوا : وأحسن منه قول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي

ويعقب الحصري قائلا : "وقد تحرز ذو الرمة مما تؤول عليه بالسلامة في أول البيت."[3]

الاقتضاب: كما تعرض للاقتضاب فيما أورده من دفاع الحاتمي عن أبي تمام في قوله:

ومن اقتضاباته البعيدة قوله :

لهان علينا أن نقول وتفعلا نذكر بعض الفضل منك فتفضلا

وقوله أيضا مقتضبا :

الحق أبلج والسيوف عواري فحذار من أسد العرين حذار[4]

5.4-الجنـــــاس :

يعتبر الجناس من فنون البديع اللفظية, ولاشك أن عبد الله بن المعتز من أوائـــل النقـــاد والبلاغيين الذي تعرضوا له, لا بل فطنوا له[5] .

---

[1] **ابن رشيق ــ العمدة – ص 355**

[2] **الحصري ــ زهر الآداب و ثمر الألباب- ج1 – ص310**

[3] **المصدر السابق – ج2 – ص 1063**

[4] **المصدر نفسه – ج2 – ص 606**

[5] **عبد العزيز عتيق ــ علم البديع- ص 195**

ويعرف ابن المعتز الجناس بقوله : " التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام, ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها[1] " .

إن مفهوم الجناس عند ابن المعتز يقتصر على تشابه الكلمات في حروفها,من غير أي تأكيد عما إذا كان هذا التشابه يمتد إلى معاني الكلمات المتشابهة الحروف أم لا.

كما أن ابن المعتز يورد تعريف الخليل بن أحمد للجناس بما يلي : قال الخليل بن أحمد : " الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو، فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها مثل قول الشاعر :

يوم خلجت على الخليج نفوسهم[2] ...."

أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قول الله تعالى: " وأسلمت مع سليمان لرب العالمين،[3]" وعلى ضوء هذا التعريف يكون مفهوم الجناس عند الخليل بالأصالة وابن المعتز بالتبعية، مفهوما عاما يشمل الكلمات المتجانسة الحروف سواء تجانست مع المعنى أم اختلفت[4] " .

ويعتبر الجناس من أكثر فنون البديع التي تصرف فيها علماء البلاغة حيث ألفت فيه الكتب الكثيرة, وصنفت فيه العديد من الأبواب مشفوعة بالاختلاف, ومن هؤلاء البلاغيون والنقدة: ابن المعتز السابق الذكر, وقدامه بن جعفر الكاتب, والقاضي الجرجاني, والحاتمي وغيرهم.

على أن من هؤلاء العلماء وغيرهم من يسميه تجنيسا,ومن يسميه مجانسة, ومن يسميه جناسا,أسماء مختلفة والمسمى واحد,وسبب هذه التسمية يرجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد[5] .

أما ابن الأثير فحقيقة الجناس عنده أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا,

---

[1] عبد الله بن المعتز – البديع – ص 25

[2] المصدر نفسه – ص 25

[3] سورة النمل – الآية 44

[4] عبد العزيز عتيق – علم البديع – ص 196

[5] المرجع نفسه – ص 196

وذلك يعني أنه هو اللفظ المشترك, وما عدا ذلك فليس من التجنيس الحقيقي في شيء[1] ...وفي ضوء هذه التعريفات نرى أن الجناس هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى, وهذان اللفظان المتشابهان نطقا المختلفان معنى يسميان "ركني الجناس", ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف, بل يكفي في التشابه ما تعرف به المجانسة كما أن للجناس أقسام حصرها البلاغيون في قسمين اثنين : تام وغير تام[2] .

ولا يعنينا هنا تتبع أقاسم الجناس وأنواعه... ولكن الذي يعنينا هو احتفاء الحصري بالجناس في " زهر الآداب " ضمن إيثاره للبديع و تصيد مكامنه، كيف لا وقد كان يصدر عن مصادر البديع ويقتفي آثار المشارقة في المضمار حتى عد من وجوه البديع بالمغرب، ولو تتبعنا أساليبه في "زهر الآداب" لوجدنا هذا السفر يعج بضروب البديع وألوان البلاغة، فضلا عن كتب النثر الأخرى التي نشرها الحصري تأليفا و جمعا.

وقد تعرض الحصري للجناس مختارا نصوصا لأجل ما فيها من جناس القوافي للميكالي وأبو الفتح البستي.

حيث يقول الأمير أبو الفضل الميكالي في أبيه :[3]

مبتدعا في شمائل المجد خيما ما اهتدينا لأخذه واقتباسه

فهو فظ بالمال وقت نداه وجواد بالعفو في وقت باسه

وقال فيه :

ولما تنازع صرف الزمان فزعنا إلى سيد نابه

إذا كشر الدهر عن نابه كشفنا الحوادث عنا به[4]

ثم يضيف الحصري قائلا : وعلى هذا يقول أبو الفتح البستي:

أبا العباس لا تحسب بأني لشيء من حلى الأشعار عار

ولي كطبع كسلسال المجاري زلال من ذرا الأحجار جاري

---

[1] **المرجع نفسه – ص 197.**

[2] **أحمد مصطفى المراغي – علوم البلاغة – دار الكتب البلاغية – بيروت (1993) – ص 355.**

[3] **الحصري – زهر الأداب و ثمر الألباب – ج1 – ص 504.**

[4] **المصدر السابق – ج1 – ص 505.**

إذا ما أكبت الأدوار زندا فلي زند على الأدوار واري[1]

ثم يعزر الحصري رأيه في الجناس بقول آخر لأبي الفتح البستي يقول فيه :

بسيف الدولة اتسقت أمور رأيناها مبددة النظام

سما وحمى بني سام وحام فليس كمثله سام وحام[2] .

غير أن الحصري لا يبرر مواطن الجناس وهذا كعادته دائما كونه لا يعلق في الأغلب على القضايا النقدية ولا يطلق الأحكام، وإنما يستشف رأيه وحكمه من اختياراته, ونادرا ما يقدم رأيا وحكما في قضية ما بشكل مباشر وصريح .

6.4-حسن الابتـــــداء

المقصود بحسن الابتداء هو ما يبدأ به الشاعر قوله الشعري، ولذلك اتفق النقاد والبلاغيون على أن يكون كلامه حسن الافتتاح، جميل المخرج, حيث يقول ابن رشيق:

"وبعد فإن الشعر قفل أوله مفتاحه, وينبغي للشاعر أن يجود,ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع, و به يستدل على ما عنده من أول وهلة, وليجتنب "لا" و" خليلي " " وقد " فلا يستكثر منها في ابتدائه، فإنها من علامات الضعف والتكلان, إلا للقدماء الذين جروا على عرق, وعملوا على شاكلة , وليجعله حلوا سهلا, وفخما جزلا. " [3]

ولقد اختار ابن رشيق في عمدته الكثير من الأشعار الدالة على حسن الابتداء عند الشعراء[4].

ويتعرض الحصري لحسن الابتداء,والختام في مقدمته,وفي ختامه لكتابه, وفي ابتداء أبي تمام المبدع,وفي تخلصه الذي أحسن فيه حيث أورد أبيانا من قصيدته التي ابتدأها بقوله :

سقى ديارهم أجش هزيـــم وغدت عليهم نضرة ونعيم

جاءت معاهدهم عهاد سحابة ما عهدها عند الديار ذميم[5] .

ويشير الحصري إلى حسن الابتداء عند أبي تمام على وجه الخصوص دون أن يبين عن مكامن الحسن،

---

[1] **المصدر نفسه – ج1- ص505.**

[2] **المصدر نفسه – ج1 – ص505.**

[3] **ابن رشيق ــ العمدة ص 186.**

[4] **أنظر العمدة – ص 186 – ص 187 .**

[5] **الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 ص 605 – ص 607.**

ولكنه يعلق عليها بكلمة "ولقد أحسن حين ابتدأ فقال :

نوار في صواحبه نوار كما فاجاك سرب أو صوار

تكذب حاسد فنأت قلوب أطاعت واشيا ونأت ديـــــار

وحيث يقول :

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي ذمام الأربع الأدراس

فلعل عينك أن تجود بدمعها والدمع منه خاذل ومواسي[1]

ونحن نعلم مدى احتفاء الحصري ببديع أبي تمام واهتمامه الشديد به، فلاغرو أن يستشهد به ويأتي بالأمثلة الكثيرة عن حسن ابتدائه.

7.4-الاستعـــــــارة :

الاستعارة أفضل المجاز,وأول أبواع البديع,وليس في حلى الشعر أعجب منها, وهـــي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها, ونزلت موضعها,والناس مختلفون فيها, منهم من يستعير للشيء ما ليس ولا إليه كقول لبيد :

وغداة ريح قد وزعت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال رمامها [2]

ويرى القاضي الجرجاني: " الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصـــلي,ونقلـــت العبارة في مكان غيره, وملاكها بقرب التشبيه,ومناسبة المستعار للمستعار له, وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا تبين في أحدهما إعراض عن الآخر".[3]

ويضيف ابن رشيق قائلا " والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتدارا ودالة، لـــيس ضرورة, لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم, وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم, فإنما استعاروا مجازا واتساعا. " [4]

ويأتي الحصري بجملة من الاستعارات مطيلا فيها الشواهد كقول ابن الرومي :

أليس القوافي بنات الفتى إذا صورة الحق لم تمســـخ

---

[1] **المصدر نفسه – ج2 ص 606**

[2] **أنظر العمدة لابن رشيق ــ ص 226**

[3] **عبد القاهر الجرجاني ــ أسرار البلاغة– تصحيح : محمد رشيد رضا – دار المعرفة – بيروت (1981) –ص27**

[4] **ابن رشيق ــالعمدة – ص 229**

فلا تقبلن أماديحـــــــه حرام نكاح بنـــــــات الأخ[1]

وعندما يورد الحصري قول الحسن بن وهب: شربت البارحة على وجه الجوزاء, فلما انتبه الفجر نمت,فما عقلت حتى لحقني قميص الشمس,فإنه يعلق عليه قـائلا : "إنـه مـن ملـيح الاستعارة "[2]، فالحصري هنا ينتشي عند استعارة الوجه للجوزاء, والانتباه للفجر , والقميص للشمس .

كما يدخل في هذا تعرضه لغرائب لأوصاف , والتشبيهات, كما في قوله عـن قـول ابـن المعتز– كأنها تنفس فيه القين وهو صقيل– "بأن هذا معنى بديع في وصف الفرند" .[3]

وقد قال :

ولي صارم فيه المنايا كوامن فما ينتضى إلا لسفك دمـاء

ثرى فوق متينة الفرند كأنـه بقية غيم رق دون سمـاء

8.4–التقسيم :

يعتبر التقسيم فن من فنون البديع المعنوي, وهو في اللغة مصدر قسمت الشـيء إذا جزأته، أما في الإصطلاح فاختلفت فيه العبارات , والكل راجع إلى مقصود واحد[4]

ويبدو أن أبا هلال العسكري كان من وائل من فسر التقسيم بقوله: " التقسـيم الصـحيح: أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه, ولا يخرج منها جنس من أجناسه, فمن ذلك قول تعالى " هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا " وهذا أحسن تقسيم لأن النـاس عنـد رؤية البرق بين خائف وطامع, وليس فيهم ثالث."[5]

ويذكر ابن رشيق القيرواني أن الناس يختلفون في ذلك " فيعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به كقول بشار يصف هزيمة .

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمـه وتدرك من نجى الفرار مثالبـــه

فراحوا : فريق في الأسار ومثلـــــه قتيل, ومثل لاذ البحر هاربـــه

فالبيت الأول قسمان : إما موت وإما حياة تورث عار ومثلبة، والبيت الثاني ثلاثة أقسام :

---

[1] **الحصري ــ زهر الأداب و ثمر الألباب – ج1 ص 378.**

[2] **المصدر نفسه– ج1 ص– 406.**

[3] **المصدر نفسه– ج2 –ص 780.**

[4] **د عبد العزيز عتيق ــعلم البديع –ص 134.**

[5] **أبو هلال العسكري ــ الصناعتين –ص 341.**

أسير, وقتيل, وهارب, فاستقصى جميع الأقارب, ولا يوجد في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر[1].

ويعرفه الخطيب القزويني في كتابه التلخيص بقوله " والتقسيم ذكر متعدد, ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين كقول المتلمس :

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان غير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد[2]

حيث ذكر الشاعر العبر والوتد, ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف, وإلى الثاني الشيخ على التعيين.

ويتعرض الحصري للتقسيم ومحاسنه فيورد شواهد متعددة منه, ومن ذلك قوله" ووقع عبيد الله أمر رجل خرج عن الطاعة : أنا قادر على إخراج هذه النعرة من رأسه، والوحرة من نفسه.

ثم يقول : ونحو هذا التقسيم قول قتيبة بن مسلم بخراسان: من كان في يده شيء من مال عبد الله فلينبذه, أوفي فمه فلينفضه, أوفي صدره فلينفثه.[3]

قم يلفت الحصري نظرنا إلى جيد التقسيم فيقول " ومن جيد التقسيم مع المطابقة قول بعض الكتاب : إن أهل النصح والرأي لا يساويهم أهل الأفن والغش , وليس من جمع إلى الكفاية الأمانة، كمن أضاف إلى العجز الخيانة، " [4] ونجد الحصري يبرز الأمثلة الكثيرة عن جيد التقسيم في" زهر الآداب"، ولكن لا يبدي تعليقات كثرة أو ينير لنا مكامن الحسن والجودة في التقسيم.[5]

9.4- الطباق (المطابقة) :

يقول الأصمعي : المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشي ذوات الأربع. وقال الخليل بن أحمد : طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حد واحد، ولكن الطباق أو

---

[1] ابن رشيق ـــــ العمدة ص 20 .
[2] الخطيب القزويني – التلخيص – ص 364.
[3] الحصري ـــــ زهر الأداب و ثمر الألباب – ج2 ص 874.
[4] المصدر نفسه – ج2 ص 875
[5] انظر على سبيل المثال - ج2 – ص 875-626-628-648 من زهر الأداب.

المطابقة في اصطلاح رجال البديع هي: الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر .[1]

ويرى ابن رشيق أن المطابقة في الكلام : أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه، والمطابق عند جميع الناس: جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر .[2]

ولقد تعرض الحصري في " زهر الآداب" للطباق وذكر من التطابق قول بعض المحدثين:

لقيناهم بأرماح طوال تبشرهم بأعمار قصار[3]

ثم يسوق الحصري مثالا آخر للتطابق من قصيدة لعبد الله بن الزبير الأسدي (نحو 75 ه) يقول فيها :

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا[4]

ثم حفل بهذا الطباق إذ لفت النظر إلى طباق آخر فقال : ونظير هذا التطابق بين السواد والبياض– وإن لم يكن من هذا المعنى – قول ابن الرومي :

يا بياض المشيب سودت وجهي عند بيض الوجوه سواد القرون [5]

ولا يعلق الحصري على نماذج الطباق التي يوردها كعادته ولا يبادر إلى شرحها، وإنما هو يتخير ما يعجبه منها مما يشكل تحلية حسنة للبديع الذي أغرم به الحصري ولم يقتصر في ذلك على إيراد الأشعار، بل يورد نتفا من النثر ومثال ذلك: ذكر أعرابي مصيبة نالته فقال:

إنها والله مصيبة جعلت سود الرؤوس بيضا, وبيض الوجوه سودا، وهونت المصائب,, وشيبت الذوائب.[6]

10.4-القلـــــــــب :

يطلق القلب في كتب البلاغة اصطلاحا على عدد من مسائل البلاغة و النقد، حيث يعرفه المراغي بقوله: " وهو أن يكون الكلام بحيث لو عكس و بدئ بحرفه الأخير إلى الأول لم

---

[1] عبد العزيز عتيق ــ علم البديع– ص 77.
[2] ابن رشيق ــ العمدة ص295
[3] الحصري ـــ زهر الأداب و ثمر الألباب – ج1 – ص307.
[4] المصدر نفسه – ج1 – ص405.
[5] المصدر نفسه – ج1 –ص405.
[6] المصدر نفسه – ج1 –ص407.

يتغير الكلام عما كان عليه ، و يجري ذلك في النثر و النظم[1] " ، ومن القلب المجازي التشبيه المقلوب,وقد أورد له الحصري مثالا هو قول محمد بن وهب (...225) يمدح المأمون:

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح[2]

فالمعتاد هو تشبيه وجه الخليفة بغرة الصباح إذ أن قوة الشبه في غرة الصباح أمكن .

وهنا قلب التشبيه على سبيل الإدعاء بأن وجه الشبه في وجه الخليفة أقوى, وهذا الإدعاء داخل في مسائل المجاز, ولهذا سمي تسبيها مقلوبا .

كما يورد الحصري في ذات السياق أبيانا لعلي بن الجهم يقول فيها :

فمرت تفوت الطير سبقا كأنها جنود عبيد الله ولت بنودها

قال الحصري: وقد أخذ هذا التشبيه معكوسا من قول أبي العتاهية :

ورايات يحل النصر فيها تمر كأنها قطع السحاب[3]

وقد ذكر الحصري شواهد من الشعر في قلب المعاني,ثم قال: ومن المعاني مالا ينقلب .

ألا ترى أنك تقول: "نام القوم حتى كأنهم موتى, ولا يحسن أن نقول:ماتوا حتى كأنهم نيام"[4].

نيام"[4].

ثم يقول في موضع آخر : وإنما يصح القلب فيما يتحقق تضاده أو يتقارب, والشواهد التي يدعم بها قاعدته هذه كلها من باب التشبيه المقلوب فالمثال الأول: تشبيه الموتى بالنيام تشبيه مقلوب, والمثال الثاني قول أبي نواس .

كأنها إذ خرست جارم بين يدي تفنيده مطرق[5]

ولهذا فإن الحصري هنا لا يوافق على هذا التشبيه بل يقول : إنما يجب أن يشبه الجارم إذا عذلوه فسكت وانقطعت حجته بالدار الخالية التي لا تجيب .

كما يورد الحصري مثالا آخر عن التشبيه المعكوس مؤداه قول أبي تمام في إحراق الأفيشين.

---

[1] أحمد مصطفى المراغي – علوم البلاغة – دار الكتب العلمية – بيروت (1993) – ص 364

[2] الحصري –زهر الأداب و ثمر الألباب – ج2 ص 598

[3] المصدر نفسه – ج2 – ص 599

[4] المصدر نفسه – ج2 – ص 595

[5] االمصدر نفسه – ج1 –ص395

نار يساور جسمه من حرها لهب كما عصفرت شق إزار

حيث يقلب أبو تمام التشبيه عندما يشبه النار ولهبها بالثياب المعصفرة, والمعتاد تشبيه الثياب المعصفرة بالنار، و على هذا يقول الحصري : قالوا :" و إنما تشبه الثياب المعصفرة بالنار، فهذا وما أشبهه لا يتوازن انعكاسه, وتتضاد قضاياه, وإنما يصح القلب فيما يتحقق تضاده أو يتقارب".[1]

ولقد أحسن الدكتور مصطفى هدارة إلى طرافة بحث الحصري هذا, إذ لوح إليه أنه إشـــارة لطيفة إلى فكرة عكس المعاني[2].

ومن القلب المجازي المغالطات المنطقية, وهي لون من ألوان الأسلوب الكلامي التي يعتمـــد فيها الأدباء الخروج عن المألوف أو المنطق[3], مثل ما حكاه الحصري عن سهل بن هـــارون أنه ألف كتابا يمدح فيه البخل, ويذم الجود ليظهر قدرته على البلاغة, وأهداه للحسن بن سهل في وزاراته للمأمون فوقع عليه : لقد مدحت ماذمه الله , وحسنت ما قـــبح الله، ومـــا يقـــوم صلاح لفظك, بفساد معناك, وقد جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه[4].

ثم يحيلنا الحصري إلى نوع آخر من القلب وهو قلب المعاني من غير تجوز، حيث يبرر لنا قول جرير عن قصر الليل :

أبدل الليل لا تسري كواكبه أم طال حتى حسبت النجم حيرانا

فقد ذكر الحصري أن عربيا أنشد في ضد هذا البيت قوله :

وليل لم يقصره رقاد وقصر طوله وصل الحبيب[5]

فلا أول يشكو طول الليل والثاني يشكو قصره، حيث يقول الحصري : ومن اجود ما قيل في قصر الليل قول إبراهيم بن العباس :

وليلة من الليالي الغر قابلت فيها بدرها ببدري

---

[1] **المصدر نفسه – ج1– ص396**

[2] **أنظر : مشكلة السرقات الأدبية للدكتور مصطفى هدارة – ص 101**

[3] **انظر المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر لابن الأثير– ج2 –ص 215**

[4] **الحصري – زهر الأداب و ثمر الألباب – ج2– ص831**

[5] **المصدر نفسه – ج1 – ص 298**

لم تك غير شفق وفجر حتى تقضت وهي بكر الدهر[1] .

ثم يقول الحصري: بعد ذلك قيل للحسن بن سهل: لاخير في السرف، فقال: لا سرف في الخير، قال الحصري : " فرد اللفظ، واستوفى المعنى"[2]، وبالتالي فإن " فرد اللفظ" هو القلب المراد، كما يطلعنا الحصري على قلب المديح إلى هجاء, حيث ذكر أن العرب دأبوا على مدح ضمور الكشح, وجولان الوشح , وصموت القلب والخلخال, وامتناع الخدام من المجال، وذكر لذلك نماذج كثيرة يبغيها العرب في النساء دلالة على اكتمال القيم الجمالية للمرأة, غير أن أبا عثمان الناجم قلب هذا في هجاء قينة فذكر أن وشاحها صامت, كناية عن امتلاء خصرها, وأن حجولها مصطخبة كناية عن نحافتها,وهذا ما يستقبحه العرب من صفات النساء فقلب المعنى ليستقيم الهجاء فقال :

حجولها الدهر في اصطخاب ووشحها كضم صموت[3]

من خلال الشواهد والأمثلة التي أبانت رأي الحصري في القلب نستطيع أن نتمثل قاعدته فيه، ذلك أن الدكتور مصطفى هدارة لمح إلى أن قاعدة الحصري :إشارة لطيفة إلى فكرة عكس المعاني.

ولذلك فإن علماء النقد والبلاغة رأوا أن عكس المعاني لا يخرج على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز، ولعل الحصري يسوق مثال " بيضة البلد " للتدليل على ذلك حيث يقول : "وبيضة البلد تمدح به العرب وتذم , فمن مدح به جعله أصلا, كما أن أصل البيضة أصل الطائر , ومن ذم به أراد ألا أصل له"[4] .

وكأن الحصري أراد أن يزيد الأمر وضوحا فذكر قول أخت عمرو ابن عبد ود تمدح قاتل أخيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في رثائها لأخيها عمرو :

لكن قاتله من لايعاب به وكان يدعى قديما بيضة البلد

---

[1] المصدر نفسه – ج1 – ص 299
[2] المصدر نفسه – ج1 – ص 55
[3] المصدر نفسه – ج1 – ص394
[4] االمصدر السابق– ج1 ص47

بينما يقول الراعي (...–90ه) يهجو عدي بن الرقاع :

تأبى قضاعة أن ترضى لكم نسبا وابنا نزار فأنتم بيضة البلد[1]

ويرى الحصري أن قلب المعنى تمكن الشاعر من إخفائه ما يجري في السرقة، [2] ويتضح من هذا النص أن الحصري لا يعتبر القلب إذا كان إخفاء للسرقة من مسائل البديع التي تحل بها الألفاظ والمعاني، بل يعتبره من الحيل التي تسرق بها الألفاظ، كما أن الآمدي لا يجري السرقة في نوع من أنواع القلب وهو النقل عندما يختلف الغرض, وقد يكون حذا حذو ابن طباطبا في هذا الأمر,[3] بينما يرى ابن الأثير فيما بعد أن العكس –القلب– حسنا يكاد حسنه يخرج عند حد السرقة ويقول: " ولئن يسمى ابتداعا أولى من أن يسمى سرقة. " [4]

11.4–حـــل المنظوم ونظـــــم المحلول

إن المتمعن في المصطلحات التي أطلقت على أجزاء السرقات في كتب النقد إلى عهد ابن رشيق تلميذ الحصري يجدها رغم كثرتها لا تخرج من حيث إجراء الحكم فيها : كونها سرقة أو غير سرقة ثم تقسيمها إلى : واضحة أو خفية أو مترددا فيها,ونجد الحصري يعبر عن القسم الأخير بمثل هذه العبارات " كأنه ينظر إلى كذا , أو كأنه يتعلق بكذا " وما أشبه ذلك ثم تقسيمها من ناحية إخفائها, وحيل الأدباء في إخفائها .

ثم تقسيمها من ناحية القالب أو الشكل, الذي وردت به دون احتفاء بالمضمون كالقول : أن هذه السرقات جاءت على سبيل حل المنظوم أو نظم المحلول , أو التضمين .

ولقد نجد بعض نماذج المنثور تدخل في الإخفاء , ذلك لأن المنثور لا يعلق بالأذهان غالبا, كما يعلق الشعر ويتلقفه الناس, ولهذا اعتبره أبو هلال العسكري أحد أسباب خفاء السرق. [5]

وعلى هذا يجعل ابن طباطبا الأخذ من النثر من السرقات الحسنة حيث يرى أن تناول المعنى اللطيف في المنثور, وجعله شعرا من أخفى الوسائل وأحسنها. [6]

---

[1] المصدر نفسه – ج1 ص 47

[2] المصدر نفسه – ج1 ص 392

[3] انظر عيار الشعر لابن طباطبا – ص31 والموازنة للأمدي– ج1 ص143

[4] ضياء الدين بن الأثير – المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر – ص 379

[5] أبو هلال العسكري – الصناعتين– ص 204

[6] ابن طباطبا ــ عيار الشعر– تحقيق : طه الحاجري و زغلول سلام – المكتبة التجاري – القاهرة (1956) – ص 78

كما أن الانتباه إلى أخذ الشعر من النثر أو العكس يبين عن نباهة المتتبع وحسن ثقافته، ولهذا قال أبو هلال العسكري :"إنه لا يكمل إلا للمبرز, والكامل المقدم, وجعله مثالا لفطنه الشاعر".[1]

ويذكر الدكتور مصطفى هدارة أن المبرد أخرج لأبي العتاهية أبياتا نقل معانيها من الأقوال المأثورة لحكماء اليونان, وذكر أن ابن طباطبا اهتم به في كتابه " عيار الشعر "، ويرى الدكتور هدارة أن أول من جعل الأخذ من النثر من السرقات الحسنة هو ابن طباطبا كما مر، وقد سار على دربه كثير من النقاد كأبي هلال العسكري, وابن رشيق [2].

كما يرى أن سر إغرام الأدباء والنقاد – ومنهم الحصري – بهذا اللون الخفي من السرقة هو الذي حدا بابن الأثير – فيما بعد إلى تأليف كتاب اسمه " الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام و المنثور"، كما له " الوشي المرقوم في حل المنظوم"[3] .

والحصري كثير الاحتفاء بهذا النوع حيث نجده في" زهر الآداب" يتصيد النماذج لهذين النوعين من أنواع السرقة، باعتبار ذلك تحلية بديعية كان يلجأ إليها الأدباء وعلى ذلك ألصقت بالبديع .

ولقد سلك الحصري هذا النهج وهو يحل النظم حيث قال عن شعر بشار : "وقد نترت نظمه في أضعاف الكتاب استدعاء إلى النشاط لدى القارئ,, وكراهة في إملاله."[4]

ولا نعتقد أن كلف الحصري بهذا النهج مرده إلى نضوب مادته الفكرية كما يعلله أبو هلال العسكري[5], بقدر ما نعزو ذلك إلى احتفاء أدباء عصره به ومن ثم سار الحصري على عرفهم, وإذا كان الإنسان يهتم بما هو شائع في عصره, فإن الحصري ينقل في ثنايا كتابه كل ما يمر به من هذا اللون من نتاجه أو نتاج غيره وندلل على ذلك ببعض الأمثلة: قال علي – رضي الله عنه " بقية عمر المؤمن لا ثمن لها يدرك بها ما أفات ويحيي ما أمات", قال الحصري : نقل هذا الكلام بعض أهل العصر وهو أبو الفتح البستي :

---

[1] أبو هلال العسكري ــ الصناعتين – ص204

[2] أنظر مشكلة السرقات الأدبية للدكتور مصطفى هدارة – ص 46

[3] المرجع السابق – ص 106

[4] الحصري ــ زهر الأداب و ثمر الألباب – ج1 ص 422.

[5] أبو هلال العسكري ــ الصناعتين – ص 222

بقية العمر عندي مالها ثمـــــــن وإن غدا وهو محبوب من الثمــن

يستدرك المرء فيها مأفات ويحي ما أمات ويمحو السوء بالحســـــن[1]

ولم يعلق الحصري على هذا النقل، رغم أن هذا النقل يطال اللفظ تحديدا, ثم هــو يحــرف المعنى من خلال بتر كلمة " المؤمن " المعقول عليها في كلام علي رضي الله عنه، و إذا لم يبادر الحصري إلى التعليق فإنه يورد كلمة منثورة لعلي –رضي الله عنه– تقــول:" خيــر إخوانك من واساك, وخير منه من كفاك شره", ثم عقب بقوله: وقال بعض أهل العصر مــا يشاكل هذا وهو أبوالحسن محمد بن لنكك البصري :

من كفى الناس شـــــــــــره فهو في جـــــــود حاتـــــم[2]

ولا شك أن من يكف شره عن الناس يستحمد ويكون خيرا من المواسي كمــا قــال علــي، ويكون في جود حاتم كما قال ابن لنكك، ويكون فعله تجملا وإحسانا كما قــال أبــو الطيــب المتنبي :

إنا لفي زمن ترك القبيح بـــه من أكثـــــــر الناس إحسان وإجمـــال[3]

وعلى ذلك فإن كان هذا المعنى مشتركا إلا أن الخيال هو الفاضل في التشبيه والتوسيع .

كما يأتي الحصري بكلام لأهل العصر في صفه البلاغة والبلغاء ومنه :فلان يعبر بــالكلام ويقود بألين زمام, حتى كأن الألفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره، والمعاني تتغاير فــي الإنثيال على أنامله, ثم قال هذا كقول أبي تمام الطائي :

تغاير الشعر فيه إذ سهرت لـــه حتى ظننت قوافيه ستقتتــل[4]

ومع أنه لم يبن عن الأقدام منها إلا أنه يدخل في باب نظم المنثور، لأن المنثور هنا أعطــى معنى أوسع مما جاء في هذا البيت[5] .

---

[1] **الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1 ص 43.**

[2] **لمصدر نفسه – ج1 – ص 43 .**

[3] **المصدر نفسه – ج1 ص 44.**

[4] **المصدر نفسه – ج1 – ص19.**

[5] **أنظر على سبيل المثال – ج1 ص 82 – ص83 – ص 151 – ص 181 من زهر الآداب.**

والملاحظ أن النقاد يرون أن حل المنظوم أو العكس إذا كانت عبارته قصيرة يكون من باب الاقتباس الذي لا يدخل فيه حكم الأخذ ومن هذا الباب قول ابن العميد لأحد إخوانه : يتفجر الصخر بالماء الزلال, قال الحصري: حلة من قول ابن الرومي:

يا شبيه البدر بالحسن وفي بعد المنال جد فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال[1] .

ولو أن الاقتباس يظهر واضحا من الآية الكريمة ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء"[2]﴾ ، فهذا أولى من رده إلى ابن الرومي .

5-التضميـــــن عند الحصري:

يعتبر التضمين من المسائل البديعية حسب اصطلاح القرن الذي عاش فيه المؤلف –وهو القرن الرابع هجري – وإذا كان كتاب البديع لابن المعتز أول كتاب في هذا الفـــن اكتشـــفه الدارسون , ولم يظهر لهم غيره, فإنه يعتقد عدم وجود من استفاض في مبحـــث التضـــمين وتقسيمه, والتقنين له قبل ابن رشيق[3] .

ويلاحظ أن التضمين قبل ابن رشيق جاء مقتضبا غير مقسم ولا مقنن له, ولكن المباحث في التضمين اكتملت عند ابر رشيق، ثم من جاء بعده كابن الأثير وابن حجة الحموي ، حتى اعتبر ابن رشيق رائدا في مباحثه عن التضمين[4] .

ومما لا شك فيه أن الحصري تلقف هذه المباحث في مجالس الآداب التي كان يغشاها, ومن أفواه الأدباء الذين كان يتلقى عنهم الكلام، ومن ثم أورث تلميذه ابن رشيق ما توصل إليـــه، ونجد أثر ذلك يظهر في كتاب ابن رشيق " العمدة " الذي اعتبر من أهم كتب البلاغة والنقـــد في التراث القديم .

ولا بد لنا من إلقاء نظرة تاريخية على مبحث التضمين ، إذ أن التضمين قبل الحصري كان يعني تعليق القافية بأول البيت[5] الذي بعدها كقول النابغة الذبياني:

وهم وردو الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ إنـــي

---

[1] **المصدر نفسه – ج1 – ص 562**

[2] **سورة البقرة – الآية 74**

[3] **أنظر تاريخ النقد الأدبي لمحمد زغلول سلام –– ص 21**

[4] **أنظر العمدة لأبن رشيق – ص 370**

[5] **ضياء الدين ابن الأثير – المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر – ج2 ص 342 – ص 344**

شهدت لهم مواطن صادقات أتينهم بود الصدر منـــــــــي

ويتصدى الجاحظ لمبحث التضمين هذا وهو يورده في البيان والتبيين بناء على ما ورد فـــي صحيفة البلاغة عند أهل الهند حيث يقول " أن من حق المعفى أن يكون للاسم غير متضمن, وهذا نص عبارتها, واعلم أن حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا, وتلك الحالـــة لـــه وفقـــا, ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا, ولا مقصرا, ولا مشتركا, ولا مضمنا[1]. "

غير أن أبا هلال العسكري فهم من نص هذه الصحيفة أن المراد تضمين الإسناد،[2] ويعلـــق الدكتور شوقي ضيف بقوله" ومعروف أن أصحاب البلاغة العربية – فيما بعد – شددوا في وجوب اكتفاء كل بيت في القصيدة بمعناه, وسموا البيت الذي نفتقر إلى ما بعـــده مضـــمنا, وعدوا التضمين من أشد عيوب الشعر[3] ".

ثم يواصل الدكتور شوقي ضيف تعليقه على هذا الأمر ليقول في موضع آخر " ومر بنا في صحيفة البلاغة الهندية إلى أن التضمين معيب وكرر ذلك الجاحظ في كلامه[4] " .

ويأتي بعد ذلك ابن المعتز حيث يذكر معنى آخر للتضمين يعتبر من البديع وليس من عيوب القافية، وهو أن يتضمن البيت كلمات من بيت آخر، ولم يعرفه ابن المعتز بأي تعريف غيـــر أنه أورد نماذج له تدل على التعريف الذي سبق الإشارة إليه، وهو يعتبـــر التضـــمين مـــن محاسن الكلام[5] .

ولكننا إذا عدنا للحصري لوجدناه تعرض في "زهر الأداب" للتضمين كوجه من أوجه البديع, ولكنه لم يعرف به، غير أنه يسوق له نماذج مبرزا بعض الأحكـــام النقديـــة، فهـــو يعتبـــر التضمين إذا أزيح عن بابه من مستحسن التضمين، ويمثل له بقول النابعة الذبياني:

تجلو بقادمتي حمامة أيكـــــــة برد أسف لثاته بالأثمـــــــد

كالأقحوان غداة غب سمائـــــــه دقت أعاليـــه وأسفلـــه نـــــدي

لكن الحصري هنا لم يورد إلا محل الشاهد , وهو الشطر الأول من البيت الثاني,مشيرا إلى أن أحد المحدثين ضمن هذا الشطر بقوله :

---

[1] **الجاحظ – البيان و التبيين –ج1 ص 82**

[2] **أنظر كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري – ص 36**

[3] **د.شوقي ضيف – البلاغة تطور و تاريخ – ص 37**

[4] **المرجع نفسه – ص 73**

[5] **عبد الله بن المعتز – البديع – ص 64**

يا سائلي عن خالد عهدي هبـــــه رطب العجان وكفه كالجلمــد

كالأقحوان غداة غب سمائـــــــه جفت أعاليــه وأسفلــه نــدي[1]

ويعلق الحصري على هذا : بأن الشاعر المحدث ضمن بيت النابغة وأزاحه عن معناه " فجاء مليحا في الطبع ,مقبولا في السمع[2] " .

ثم يذكر الحصري نموذجا آخر لشاعر محدث ضمن شعرا للمهلهل بعد أن أزاحه عن بابه:

وسائله عن الحسن بن وهـــــب وعما فيه من كـــرم وخيـــر

فقلت هو المهذب غير أنـــــــي أراه كثيــرا إرخــاء الستـــور

فلــولا الريــح أسمــع من بحجــر صليــل البيض تقــرع بالذكــور

ويقول الحصري معلقا " وهذا البيت للمهلهل مما يعدونه من أول كذب العرب, وكانت قبــل ذلك لا تكذب في أشعارها، وكان بين الموضع الذي كانت فيه هذه الواقعة وهــي بــالجزيرة وبين حجر وهي قصبة باليمامة مسافة بعيدة,فأخرجه هذا الشاعر بقوة منته, ونفاذ فطنته إلى معنى آخر مستظرف في بابه, وهذا المذهب أحسن مذاهب التضمين[3] " .

ويضيف الحصري قائلا : " ومن مليح ما في هذا الباب تضمينات الحمدوني فــي طيلســان أحمد بن حرب المهلبي[4] " .

وإذا أنعمنا النظر في النصوص التي أوردها الحصري في طيلسان بن حرب فإننا نجده يذكر بيتا للحمدوني وهو من باب تضمين البيت شطرا من بيت آخر، لأن الحمدوني ضمن بيتــه الشطر الأول من قصيدته الأعشى (....-7ه) اللاميه وذلك في قوله :

وكم رآك أخ لي تم أنشدنـــــــي " ودع هريرة إن الركب مرتحــل"[5]

ولا تعوز النماذج الحصري من ذلك أنه يورد أنموذجا آخر فيه تضمين القصيدة بيتا كــاملا من شعر حسان بن ثابت الأنصاري وذلك في قوله :

أذكرتني بيتا لحسان فيـــــــــه حرق للفؤاد حين أقـــــــــوم

---

[1] **الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1 ص 233**

[2] **المصدر نفسه – ج1 ص 234**

[3] **المصدر نفسه – ج1 ص 234**

[4] **المصدر نفسه – ج1 ص 234**

[5] **المصدر السابق – ج2 ص 1046**

" لو يدب الحولي من ولد الذر " م " عليها لأندبتها الكلـــــــــــــوم[1] "

ويعتبر هذا نموذجا لتضمين البيت كاملا , كما أنه أنمـــوذج للتصـــريح بالتضـــمين لأبـــى الحمدوني صرح بأنه تذكر لحسان[2] .

وأورد للحمدوني قوله :

إن أزينه يا ابن حرب بدمـــــي فجرير قد زان قبلي بجيلـــــــــه*.

وهذا أنموذج للإشارة والتلويح إلى بيت ما، لأن الحمدوني أشار إلى قول غسان في هجاء جرير بن الخطيفي :

لعمري لئن كانت بجيله زانـــها جرير فقد أخزى كليبا جريرهـــا [3]

ولا شك أن من خلال هذه النصوص يتضح لنا أن التضمين أنواعا معروفة عند الحصـــري, وإن لم يصرح بها , لأنه قال : هذا من مستحسن ماروي في التضمين[4] .

وهذا يعني أن هناك أنواعا من التضمين غير اقتباس اللفظ وإزاحة المعنى عن بابه, يـــدركها الحصري عندما أورد نماذج من تضمينات الحمدوني في طيلسان ابن حـــرب وكـــل مثـــال ينطبق على حالة من حالات التضمين عنده ولا ريب لاختلاف حالات هـــذه النمـــاذج , أن الحصري ملم بأقسام التضمين ويعتبر هذا من عادة العرب قبل ولعهم بالمنطق الأرســـطي* على حساب الكثير من النقاد، ولا يعتبر تصريح الشاعر بأن شـــعره مضـــمن عيبـــا عنـــد الحصري , لأن هذا قد ورد في النماذج من شعر الحمدوني وقد صـــرح الحصـــري بـــأن تضمينات الحمدوني من أجود التضمينات ولم يستثن منها شيئا .

ويأتي بعد الحصري تلميذه ابن رشيق ليستفيض في بحث التضمين من خلاله كتابة " العمدة " ولكن ابن رشيق قبل أن يعرف بالتضمين أشار إلى الخلط الذي طال بغض المقاربة, ممـــن ليس له قدما راسخة في العلم .

---

[1] **المصدر نفسه – ج2 ص 1047.**

[2] **المصدر نفسه – ج2 ص 1047.**

* **المراد بجرير الأول : جرير بن عبد الله البجلي البدري الصحابي رضي الله عنه.**

[3] **المصدر السابق – ج2 ص 1047.**

[4] **المصدر نفسه ج1 ص 234.**

* **يشير إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه نقض المنطق – ص 157 – ص 172 .**

ثم يعمد إلى تعريفه بقوله : " فأما التضمين فهو قصدك للبيت فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل, نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب :

يا خاضب الشيب و الأيام تظهره هذا شباب لعمر الله مصنـــــوع

أذكرتني قول ذي لب وتجربـــــة في مثله لك تأديب وتفريـــــغ

إن الجديد إذا ما زيد في خلـــــق تبين الناس أن التوب مرفـــــوع

وعلق على ذلك بقوله : فهذا جيد في بابه, وأجود منه أن لو لم يكن بين البيت الأول والآخر واسطة، لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرق , وأعلى أن هذا غير مشهور وليس كذلك، بل هي كالشمس اشتهارا، ولو أسقط البيت الأوسط لكان تضمينا عجيبـــا, لأن ذكـــر الثوب قد أخرج الثاني عن باب الأول إلا في المعنى , وهذا عند الحداق أفضل تضمين[1] "

وهو يريد أن كشاجم أزاح البيت الذي ضمنه عن بابه، وهذا اللون مما استحسنه الحصـــري بل أشادبه.

ويعتبر ابن الأثير تضمين الإسناد من باب البديع[2], وهو في ذلك يوافق ابن رشيق.كما أنه يعد الاقتباس من القرآن والحديث من باب التضمين في حين أن ابن حجـــة يســـتبعد الاقتبـــاس, وتضمين الإسناد ومن باب التضمين[3] .

ولا نجد عند ابن الأثير, وابن حجة تقنينا جديدا ما عدا اشتراط ابن حجة التوطئـــة بـــالنص المضمن بروابط متلائمة, ونرى ابن حجة أيضا يبتكر مصطلح الإيداع[4] ليميز به ما يســـميه الحصري تضمينا .

ونختم حديثنا عن التضمين بإيراد بعض النماذج لهذا النوع الذي حفل به الحصري في "زهر الآداب " .

قال بعض أهل العصر " بات بليلة نابغيه " فقال الحصري يراد قوله النابغة[5] .

فبت كأني ساورتني ضئيلـــة من الرقش في أنيابها السم ناقـــــــع

---

[1] ابن رشيق – العمدة – ج2 ص 84 – ص 90.

[2] ضياء الدين بن الأثير – المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر – ج2 ص 341 – ص 347.

[3] ابن حجة الحموي – خزانة الأدب – دار القاموس الحديث – بيروت – ص377.

[4] المصدر نفسه – ص 454.

[5] الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 ص750 .

من ليل التمام سليمـــــــــها لحـــلي النساء في يدية قعاقـــــــــع

فهـــذا التضميـــن من باب الإشارة والإحالـــة .

قال عدي بن الرقاع

يتعاوران من الغبـــــار مـــلأة غبـــراء محكمـــة هما نسجاهـــا

قال الحصري : وإلى هذا أشار الطائي في قولـــه [1]:

من تثير عجاجـــة في كل ثغـــــر يهيـــم بها عدي بن الرقـــــــاع

قال البحتري :

ما قلت للطيـــف المسلـــم لا تعـــد تغشى ولا نهنهت حامـــل كأسي

يلوح إلى قول جرير :

طرقتـــك صائـــدة القلـــوب وليس ذا حيـــن الزيارة فارجعـــي بســـلام

أورد الحصري هذا البيت وقال : قال البحتري : ونفى هذا المعنى يقولـــه ثـــم أورد بيـــت البحتري المذكور[2]

ويعتبر هذا من باب الإشارة والإحالـــة .

قال عبد الرحمـــن بن المعذل يهجـــو أخاه :

ليـــت لي منـــك يا أخـــــــــي جـــــارة مـــــن محـــــــــــــارب

نارها كـــــــل شتـــــــــوة لطـــارق ليـــل مثـــل نار الحباحـــب[3].

فقال الحصري : ذهـــب إلى قول القطامي في هجاء امرأة من بني محارب :

ألا إنما نيرات قيس إذا شتـــــوا لطـــارق ليـــل مثل نار الحباحـــب

وهذا من تضمين الإشارة مع تضمين نصف البيت .

قـــول ابن المعتـــز :

وحاشـــاه من قول " سقى الغيث قبره "

يـــداه تروي قبـــره من نداهـــما

---

[1] المصدر السابق – ج2 ص 926

[2] المصدر السابق – ج2 ص 702 –703

[3] المصدر نفسه – ج2 ص 653 – ص 654

قال الحصري : وهــذا مأخوذ من قــول الطائــي :

سقــي الغيــث غيثــا وارث الأرض شخصــه

وإن لم يكن فــيه سحاب ولا قطر[1] .

وتحســب أن الحصري جانب الصواب مين عزا هذا البيــت تضميــنا من شعر أبي تمــام بل هو تضمين من قول شائع بين الناس إذ ذكروا ميتا قالــوا : سقى الغيــت قبره .

غيــر أن ابن المعتــز اعتبر الميت غيثا وسماه الطائي غيثا, وهذا دليل على أنه ضمن من شعر أبي تمام لا سيما أن أبا تمام من الرواد لابن المعتز وهذا من تضمين لإحالة .

قال الحصري : قال أبو تمام يستهدي فروا, وعرض بقول المهلب :

وأنت العليم الطب أي وصيــــة بهــا كان أقصى في الثيــاب المهلــب

وصيتــه هي مقالتــه لبنيــة: يا بني أحسن ثيابكم ما كان على غيركم[2] فهذا مــن تضــمين الإشارة والإحالة أيضا .

قال أبو تمام: وضعيفــة فإذا أصابت فرصــة قتلت كذلك قدرة الضعفــاء

فهــذا إيمــاء إلى امرئ القيــس.

فإنك لم يفخر عليك تعاجــز ضعــف ولم يغلبك مثــل مغلــب[3] .

والحصــري أورد بيت أبي تمام هذا بعد بيت امرئ القيس مباشرة على سبيل التنظير وهو من باب تضمين الإحالــة والإشارة .

ولعل الحصري في هذا الباب كان أكثر تعليقا, وأوضــح أحكــاما, وأوفر تفضيــــلا فــي مجال النقد الأدبي من أي باب آخر, حتى ليكاد يكــون منهجيــــا , بتحليلــــه, وتعليلــــه, وتقريره ‘ بحيــث تجلت شخصيــة النقدية واضحــة جليــة .

---

[1] المصدر نفسه – ج2 ص 666

[2] المصدر السابق – ج1 ص 210

[3] المصدر نفسه – ج1 ص 39

الفصـــل الرابع

قضايا نقدية متفرقة

اللفظ والمعنـــــــى :

1-مفهوم اللفظ والمعنى :

إن قضية اللفظ والمعنى قديمة قدم الشعر ولا نعني هنا الشعر العربي فحسب بل الشعر الإنساني ككل ، ذلك لأن هذه القضية شغلت النقاد منذ القديم ، لقد أثار النقاد اليونان هذه المسألة عندما كانت أثينا تزهى بمحاوراتها الفلسفية والأدبية في حضرة سقراط وأرسطو وأفلاطون، حيث كان اليونان يقولون بتفضيل المعاني,على خلاف الروم المولعين بجمال الأسلوب والزخرفة اللفظية التي تضمن لهم روعة الإطار الخارجي.[1]

وكان من البديهي أن تشغل هذه القضية الشعراء والنقاد العرب لما لها من ارتباط عضوي بالقول الشعري، فانقسموا إلى قسمين قسم اهتم بالألفاظ وفضلها على المعاني ، وقسم اهتم بالمعاني وفضلها على الألفاظ.

على أن هناك فئة من النقاد سعت إلى التوفيق بين اللفظ أو المعنى في آن واحد واعتبرتهما بمثابة الروح والجسد " ويمكن أن نطلق على هؤلاء اسم المدرسة التوفيقية ".[2]

ولعل الإرهاصات الأولى لهذه القضية تظهر في نقد ابن قتيبة حيث يرى أن الشعر أربعة أضرب:

أ) لفظ جيد ومعنى جيد .

ب) لفظ جيد ومعنى رديء.

ج) لفظ رديء ومعنى جيد.

د) لفظ رديء ومعنى رديء.

ولو أن ابن قتيبة يبين عن هذا التقسيم بعبارات أخرى .[3]

ونلاحظ أن ابن قتيبة لا ينتصر للمعنى وحده بل يرى أنه يتفاوت بين الجودة والرداءة, وبالتالي فإن المعاني ليست مطروحة في الطريق ، بحسب ما يذهب إليه الجاحظ، غير أن الدكتور إحسان عباس يرى أن ابن قتيبة لم يستند في الأمثلة التي قدمها إلى عمل أدبي

---

[1] انظر بشير خلدون-الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي - ص 169.

[2] المرجع نفسه - ص 169 .

[3] ابن قتيبـــــة -الشعر والشعراء- ص 64.

متكامل، بل استمد حكمه من بيت واحد أو بيتين أو ثلاثة في الأكثر غير أنه رغم ذلك سلم من الانحياز السافر إلى جانب اللفظ. [1]

وحين يقدر الجاحظ أن الأفضلية للشكل لأن المعاني قدر مشترك بين الناس جميعا ، فإنه كان يحس أن المعنى موجود في كل مكان ، وما على الأديب إلا أن يتناوله ويصوغه صياغة متفردة.[2]

ولكن نظرية الجاحظ هذه لم تفهم لا حقا كما فهمها هو بل غدا البلاغيون والنقاد يعنون بالشكل على حساب المعنى، وهذا أبو هلال العسكري يقول : " ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ أن الخطب الرائعة والأشعار الرائقة ما عملت لإ فهام المعاني فقط، لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الأفهام، وإنما يدل حسن الكلام وأحكام صنعته، ورونق ألفاظه، وجودة مطالعه، وحسن مقاطعه، وبديع مباديه، وغريب مبانيه، على فضل قائله وفهم منشئه ، وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني ، وتوخي صواب المعنى أحسن من توخي هذه الأمور في الألفاظ ، ولهذا تأنق الكاتب في الرسالة والخطيب في الخطبة، والشاعر في القصيدة ، يبالغون في تجويدها ويغلون في ترتيبها ليد لوا على براعتهم وحذقهم بصناعتهم ، ولو كان الأمر في المعاني لطرحوا أكثر ذلك فربحوا كدّا كثيرا، وأسقطوا عن أنفسهم تعبا طويلا".[3]

ويتطور الحس النقدي لدى ابن طباطبا وهو يتناول قضية اللفظ و المعنى إذ يتصور العلاقة بينهما كالعلاقة بين الروح والجسد فيقول: " والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه كما قال بعض الحكماء : الكلام جسد وروح ، فجسده النطق وروحه معناه".

ولعل العلاقة بين اللفظ والمعنى عند ابن طبطبا أشد وضوحا مما وردت عند ابن قتيبة خاصة وأن ابن طبطبا أحالها على تقسيمات محددة .

أما المرزوقي فبعد أن يحصى أنصار الشكل وهم ثلاث فئات ذكرها في شرح الحماسة، وذكر أصحاب المعاني، أبدى رأيه في المسألة والذي يقوم على الاختلاف بين اللفظ والمعنى ائتلافا تاما," ولكن الشعر ــ دون النثرــ ليس معنى ولفظا وحسب ــ بل هو كما قال قدامه "

---

[1] **احسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب –ص 108.**

[2] **المرجع انفسه – ص 99**

[3] **ابن طباطبا – عيار الشعر – ص 78**

لفظ موزون مقفى يدل على معنى."[1] وهنا يلفت المرزوقي النظر إلى عدم الوقوف عند اللفظ والمعنى خاصة فيما يتعلق بالتجربة الشعرية .

وتتبلور الرؤية أكثر عند القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم، والذي شن، هجوما على أنصار اللفظ والمعنى جميعا,فلقد هاله أن يرى ذلك الاختفاء الكبير باللفظ وتقديمه على المعنى, كما انزعج من تقديم المعنى على اللفظ إذ يقول: " واعلم أن الداء الدوى والذي أعيا أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه ، وأقل الاحتفال باللفظ وجعل لا يعطيه من المزية إن هــو أعطى إلا مــا فضل عــن المعنى يقول: "ما في اللفظ لو لا المعنى؟وهل الكلام إلا بمعناه؟ فأنت ثراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأدبا، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر".[2]

فإذا انتقلنا إلى النقاد المغاربة فإننا نجدهم يختلفون في تحديد أسبقية اللفظ أو المعنى حيث يقدم عبد الكريم النهشلي اللفظ على المعنى إذ يقول في– اختيار الممتع– "الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل "[3] ولكن النهشلي نفسه يناقض رأيه هذا حيث يجعل الألفاظ خدما للمعاني عندما يقول: " قال بعض الحذاق: " المعنى مثال واللفظ حذو ، والحذو يتبع المثال ، فيتغير بتغيره ويثبت بثباته ، ومنه قول العباس بن حسن العلوي في صفه بليغ: معانيه قوالب لألفاظه."[4] أما ابن رشيق فإنه يقف موقفا معتدلا حيث يورد مقولة ابن طباطبا " اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه كارتباط الروح بالجسم، وهذه العلاقة الجدلية لا يفتأ ابن رشيق يكررها دون أن ينصير لأي منهما,ولكنه يختم رأيه في المسألة بقوله: البليغ من يحوك الكلام على حسب الأماني، ويخيط الألفاظ على قدر المعاني"[5]، وأما ابن شرف فيهتم بالمعاني أكثر من اهتمامه باللفظ ولا أدل على ذلك من

---

[1] **المرزوقي – شرح الحماسة – ج1 ص 7.**
[2] **عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز– ص 42.**
[3] **ابن رشيق –العمدة – ص 113.**
[4] **المرجع نفسه – ص113**
[5] **المرجع نفسه – ص 114**

قوله:" المعاني هي الأرواح والألفاظ هي الأشباح, فإن حسنا فذلك الخط الممدوح, وإن قبح أحدهما فلا يكن الروح." [1]

نخلص في الأخير إلى أن من النقاد من انتصر للفظ وآخرون انتصروا للمعنى، غير أن أغلبهم سعى إلى التوفيق بين اللفظ والمعنى ذلك لأن المعول عليه هو عدم طغيان أي منهما على الآخر بحيث تكون الألفاظ محاكمة على قدر المعاني .

2-رأي الحصـــري في مسألة اللفظ والمعنـــــى :

إذا أردنا الوقوف على رأي الحصري في قضية اللفظ والمعنى فإننا لا نستخلصه إلى بالكد والتمحيص، فالحصري يتبنى رأي الجاحظ ويسير على ركبه في الاحتفاء باللفظ حيث يورد نصا في كتابه " زهر الآداب " يقول الحصري : " قال بعض جهابذة الألفاظ، ونقاد المعاني ، المعاني القائمة في صدور الناس, المختلجة في نفوسهم ، المتصورة في أذهانهم المتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستوردة خفية ، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره ، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره ، وإنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها" ثم أعلم – حفظ الله – أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية ، وأسماء المعاني محصورة – معدودة ، ومحصلة محدودة ". [2]

ومن خلال هذا النص يتضح أن الحصري حذا حذوا الجاحظ في مسألة اللفظ والمعنى ، ثم هو يفصل بين اللفظ والمعنى فيجعل للألفاظ جهابذة يعنون بها ، وللمعاني نقاد يهتمون بها. ومعنى ذلك أن الحصري يرفع من شأن اللفظ ويشيد به فـــي العمل الأدبي، أمـــا المعنى فلا مزية لـــه عنده إذا ما قيس باللفظ [3].

غير أن الدكتور بشير خلدون يقدم رأيا مخالفا، حيث يرى أن الحصري كان يحتفي بالمعاني ويعتمد عليها لأنها تتجدد باستمرار فهي مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية ومن هنا فالمعاني تتفاوت تبعا للبساطة أو التعمق في تفكير كل شاعر، فمن كان من الشعراء

---

[1] **ابن شرف – أعلام الكلام –ص 28**

[2] **الحصري :زهر الآداب و ثمر الألباب –ج1 ص 107**

[3] **أنظر مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي (من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري)–أ .د الشيخ بوقربة رسالة دكتوراه – وهران(1990 – 2000) ــ ص 261.**

نظره بعيدا وخياله مجنحا يستطيع أن يأتي بالعجب العجاب ، ومن كان تفكيره محدودا جاءت معانيه عادية لا خير فيها.[1]

وعلى ضوء ما أشار إليه الدكتور بشير خلدون ، فإن الحصري لم يكن ليحتفي باللفظ ، وإنما كان همه منصبا على تفضيل المعاني وهو يخالف تماما الجاحظ إذ يقول :" وهذا الرأي – يعني الحصري – يخال تماما رأي الجاحظ ، لأن العبرة عند الحصري بالمعاني وليست بالألفاظ كما كان الجاحظ يقول ، وكذلك كان مخالفا لمعاصره عبد الكريم النهشلي الذي كان يميل إلى تفضيل الألفاظ ".[2]

وهذا الاضطراب الظاهر في عدم الإبانة صراحة في" زهر الآداب " عن تفضيل الحصري لأي من الجانبين يرده إلى كون الحصري لم يجزم –في كثير من القضايا برأي قاطع ، وهو غالبا ما يعبر عن ذلك بالاستحسان أو النقل دون تعقيب .

ولا شك أن الحصري نقل رأيه في مسألة اللفظ والمعنى من الجاحظ وإن كان الدكتور بشير خلدون ينسب رأي الجاحظ إلى الحصري دون تحقيق، وبالتالي جعل الجاحظ يناقض نفسه[3].

ذلك أن احتفاء الحصري باللفظ وتقديمه على المعنى وارد من خلال مقولته السابقة المرتكزة على رؤية الجاحظ [4] ، ومن ثم فهو لا يختلف عن معاصره النهشلي المنتصر للفظ على حساب المعنى .

3-اللفظ والمعنى في "زهـــــر الآداب ":

أ- اللفـــــــظ :

وإذا ما تتبعنا " زهر الآداب " فإننا نجد الحصري يتعرض لبعض مقاييس اللفظ، فهو يذكر مثلا أن العماني أنشد الرشيد يصف فرسا :

كَأنَّ أذنَيهِ إذَا تشوفـــــــا قادمة أو قلمـــــا محرّفـــــًا .[5]

---

[1] **أنظر الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي القيرواني للدكتور بشير خلدون–ص 173**

[2] **المرجع نفسه – ص 173.**

[3] [3] **أنظر مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي(من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري) أ .د الشيخ بوقربة ص 262**

[4] **أنظر البيان و التبيين للجاحظ – ج1 ص75.**

[5] **الحصري :زهر الآداب وثمر الألباب – ج1 ص 307**

ويضيف الحصري قائلا:" ولحن ففهم ذلك أكثر من حضر ، فقال الرشيد: إجعل مكان " كأنّ" تخال فعجبوا لسرعة بديهته."

ونلاحظ هنا تركيز الحصري على اللحن النحوي,وعلى تعديل الرشيد له .

ولأن الحصري ميال لتفضيل المعاني على الألفاظ باعتبارها مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية ، فإنه يرى أن الألفاظ لا تعكس جودة النص الشعري مادامت في متناول أي أحد لأنها من نسج المتكلم.[1]

ويبرز الحصري قول أبي الطيب :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلف في الشجب

فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

ويعقب الحصري قائلا: "الشجب الموت, وهي لفظة معروفة وإن كانت غير مألوفة عند أهل النقد."[2]

ولا يبدو أن اللفظة راقت للحصري لأنه يقول بعد ذلك : وقد أنكرها البحتري على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في مجاذبته إياه حيث يقول :

لو أن ذا الحكيم وازن في الـــــلـــــ

فظ واختار لم يقل شجبـــه[3]

ومؤدى استهجان الحصري هنا غرابة اللفظ .

ثم يرى الحصري أن الحشو الذي يفسد المعنى من عيوب اللفظ، حيث يقول ألا ترى أن كلمة خيزران في عرف الناس تعني خيزران, فإيراد كلمة عصا حشو, ولكنه أحيانا يفسد المعنى وينغصه ذلك أن الحشو إذا لم يصر كان ممقوتا في البديع .[4]

وهو بذلك يشير إلى بيت كثير عزة :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين

---

[1] **أنظر – الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسلي القيرواني للدكتور بشير خلدون – ص 173.**

[2] **الحصري – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 ،ص 1092.**

[3] **المصدر نفسه – ج2 ص 1092 .**

[4] **االمصدر نفسه – ج1 ،ص 17.**

حيث أن بشار بن برد لما سمعه قال : قاتل الله أبا صخر ، يزعم أنها عصا ، ويعتذر بأنها خيزرانة، ولو قال عصا مخ، أو عصا زبد لكان قد هجنها مع ذكر العصا هلا قال كما قلت :

إذا قامت لحاجتها تثنـــــت كأن عظامها من خيزران[1]

والحشو هنا يطال البيت كون العصا تدلل على النحافة على حين تومي لفظة الخيزران على التثني فكان من الأجدر عدم إقحام العصا.

ثم يواصل الحصري تتبعه لعيوب اللفظ حيث يذكر عن إسحاق الموصلي أنه قال :

وكل مسافر يشتاق يومـــا إذا دنت الديار من الديار [2]

قال الحصري : فعابوا قوله: يوما, وقالوا هي لفظه قلقة في هذا الموضع لم تحل بمركزها,ولا لها هنا موقع, قال : فضعوا مكانها مثلها لا خيرا منها, فما استطاعوا ذلك فغيرها إلى ما أنشدت أولا, وهو يعني بما أنشده أولا قوله :

وكل مسافر يزداد شوقـــا إذا دنت الديار من الديار

كما يبين الحصري عيوب اللفظ من الناحية اللغوية وذلك في قول ابن الرومي :

متاح له مقداره فكأنهـــا تقوض ثهلان عليه وصندد

حيث يقول الحصري: افتتح ابن الرومي هذه القصيدة على ما يلزم من فتح ما قبل حرف الروي اقتدارًا ، فحمله ذلك على أن قال : صندد, وهذا لا يصح ، إنما هو صندد بكسر الدال ، لأن فعللا لم يجئ إلا في أربعة أحرف: درهم ، هجرع للأحمق ، هيلع للذي يبلغ كثيرا ، وقلعم للذي يقلع الأشياء.[3]

ب) المعنـــــــى

ينتصر الحصري للمعاني كثيرا ويفضلها على الألفاظ كما ألمحنا إلى ذلك آنفا و"زهر الأداب " يحفل ــ إما بالتقنيين وإما بالأمثلة ــ ببعض مقاييس نقد المعنى، ومن ذلك المقياس الخلقي ــ وقد أعلن عنه الحصري بيد أنه لم يلتزمه حسب ما يظهر في " زهر

---

[1] **المصدر السابق – ج1 ص 17**

[2] **المصدر نفسه – ص 510**

[3] **المصدر نفسه – ج 2 ص 780.**

الآداب " وذلك عندما تبرأ من الإسفاف والمجون، فالحصري يتحرج من إيراد الأمثلة والنصوص المتعلقة بالمجون والكفر، بيد أنه لا يتقيد بهذا النهج في كثير من الأحيان .
فعندما يذكر قول ابن الرومي في المدح .

أحاط علما بكل خافيـــة كأنما الأرض في يديه كـــره

وصفه الحصري بالإفراط ،[1] وهو إفراط كما نرى يؤدي إلى الكفر والإساءة إلى الذات الإلهية,ومن ذلك إيراده قول أبو العباس الناشئ وهو يمدح سعد الدولة أبا المعالي :

لو يكتب الملك أسماء الملوك إذا أعطاك موضع بسم الله في الكتب [2]

فإيراد الحصري لهذه الأمثلة يتنافى مع ما انتهجه من تحرج تجاه ما يسيء إلى الدين والأخلاق بصلة، ذلك أن قيمة الأدب الفنية تنحصر أمام رسالته الإنسانية, حيث يطالعنا في "زهر الأداب " قول الحارث بن خالد :

لعرفت مغناها بما احتلمـــــت مني الضلوع لأهلها قبـــــــل

فقال له : عبد الله بن عمر (10 ق ه- 73 ه) رضي الله عنهما : قل "إن شاء الله" قال: إذا يفسد الشعر يا أبا عبد الرحمن , فقال : "لا خير في شيء يفسده إن شاء الله " [3] ويستند عبد الله بن عمر – رضي الله عنه- إلى مقياس ديني أخلاقي يتخذ من قوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ﴾[4]سندا له.

كما ينقل الحصري نموذجا للموازنة عن أبي العباس,بعد أن أورد هذين البيتين لابن الرومي في التشوق إلى الوطن وهما :

بلد صحبت به الشبيبة والصبـــــــا ولبست ثوب العيش وهو جديد
فإذا تمثل في الضمير رأيتـــــــــه وعليه أغصان الشباب تميـد

وقال أبو العباس : ولما احتفل القائل في هذا المعنى السابق إليه قال :

بلاد بها حل الشباب تمائمي

---

[1] المصدر السابق – ج2 ص 974.
[2] المصدر نفسه –ج2 ص 973.
[3] المصدر نفسه – ج1، ص 242
[4] سورة الكهف الآية 23 – 24

وإذا كانت تمائم الأعرابي قطعت بأبرق العزاف ، وكان التراب الذي من مس جلده تراب جزيرة سيراف ، وجب أن يحن إليه حنين المتأكسفين على غوطة دمشق ، وقصور مدينة السلام ، ونجف الجزيرة ومستشرف الخورنق ، وجوسق سر من رأى ، لما بعد عنها، وطال مقامه بغيرها ، كلا ولكن هذا الرجل علم أن الحنين إلى الأوطان لما تذكر من معاهد اللهو فيها ، بجدة الشاب الذي ذكر أن غول سكرته يغطى على مقدار فضيلته .[1]

ويظهر أن أبا العباس لا يعتبر قطع التمائم, ومس التراب للجلد سببا لحب الوطن، لأن ذلك ممكن الحدوث في غير الوطن, ولكن العبرة عنده بهذه الذكريات التي تبكي الصبا والشباب .

كما يرصد الحصري جانبا من تشوق الأدباء إلى الوطن ، حيث نقل زعم بعضهم ، أن الناس يتشوقون إلى أوطانهم ، ولا يفهمون علة هذا التشوق حتى أوضحها ابن الرومي في كافيته التي منها :

فقد ألفته النفس حتى كأنـــــه لها جسد إن بان غودر هالكـــا .[2]

وإذ لم يبن ابن الرومي عن علة شوقه للوطن في هذا البيت فإنه يعقب بيت آخر يعلل هذا الشوق عندما يقول :

عهدت به شرح الشباب ونعمـــه كنعمـــة قوم أصبحوا في ظلالكـــا.[3]

فاستيفاء ابن الرومي للمعنى يأتي من ذكره للعلل حسب ما يراه الحصري، ويسوق الحصري قول زهير بن أبي سلمي :

وما بك من خير أتوه فإنمـــــا توارثـــــه آباء آبائهم قبـــل

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم فلم يفعلوا ولم يليموا لم يألوا

ثم يقول معقبا :قال بعض أهل المعاني: أعجب بقوله : ولم يألوا ، لأنه لما ذكر السعي بعدهم والتخلف عن بلوغ مساعيهم جاز أن يتوهم السامع أن ذلك لتقصير الطالبين في طلبهم ، فأخبر أنهم لم يألوا وأنهم كانوا غير مقصدين ، وأنهم مع الاجتهاد في المتأخرين ، ثم لم يرض بأن يجعل مجردهم طارفا فيهم ، ولا جديدا لديهم ، حتى جعله إرثا عن الآباء،

---

[1] **الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب ج2 ص 683**

[2] **المصدر نفسه ج2 ص 682**

[3] **المصدر نفسه ج2 ص 682.**

يتوارثه سائر الأبناء ، ثم لم يرض أن يكون في الآباء حتى جعله مورثا عن أبائهم وهذا لو تكلفه متكلف في المنثور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع هذا الاختصار.[1]

فالحصري يرى أن النقاد يبغون بالتحليل السابق القول أن زهيرا استوفى المعنى في المبالغة. والحصري مغرم بالمعنى على حساب اللفظ كما بينا ولذلك فهو لا يفتأ يسوق جودة المعاني حيث يعرض موازنة بين مجموعة من الشعراء حول صراع الإنسان للدهر, ويختم تلك النماذج بعد إيراده شعر لابن الرومي في نفس الموضوع قائلا: "وقد استقصى ابن الرومي المعنى الأول" .[2]

واستيفاء المعنى عند الحصري يتعلق بحلاوة الافتنان أو مليح التصرف كما يتحدث الحصري كثيرا عن زيادة المعنى زيادة إبداع وتفنن .[3]

ويذكر الحصري هذه الرواية : قرأ الزبير بن بكار أخبار أبي السائب المخزومي فلما ابلغ إلى هذا البيت :

بيناهم سكن بحيرتهـــــــم ذكروا الفراق فأصبحوا سفـــــرا

وأن أبا السائب قال عند سماع هذا البيت : ما أسرع هذا! أما اهتدوا ! أما قدموا ركابا ! أما ودعوا صديقا,فقال الزبير: رحم الله أبا السائب ! فكيف لو سمع قول العباس ابن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتـــم فقرنا وداعنا بالســـؤال

ما أنخنا حتى ارتحلنا فما فرقن بين النزول والارتحال

ويرى الحصري أن أبا السائب أراد أن يعلي شعره بالاقتضاب[4].

وصحة المعنى لا تقتضي حسب الحصري أن يكون مسلما به في غير اعتراض إذ يقول : لا!.. وذلك ما جلاه أحسن جلاء في أخر كتابه عندما قال :" فلو وقع الاجتماع على ما يرضى ويسخط ، ويثبت ، ويسقط لارتفع حجاج المختلفين في أمر الدنيا والدين .[5]

---

[1] االمصدر السابق –ج1 ص 52

[2] المصدر نفسه – ج1 ص222

[3] أنظر أسس النقد الأدبي للدكتور أحمد أحمد بدوي – مطبعة مصر – القاهرة (1958) – ص 389

[4] الحصري:زهر الأداب وثمر الألباب –ج2 ص 743

[5] المصدر نفسه – ج2 ص 1093

ثم يستطرد بعد ذلك : "وقلما ترى معنى إلا وهو يدافع ، أو يناقض ويحاربه على سواء المحجة وقيل من طلب عيبا وجده" .

وإذا كان من النادر أن تكون هناك قاعدة بغير شذوذ فقد استدرك الحصري بقوله : قال أبو عمر وبن سعيد القطر بلي : ليس من بيت إلا وفيه طاعن المطعن إلا قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيـــــه لا يذهب العرف بين الله والناس

وقول طرفه بن العيد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهــلا ويأتيك بالأخبار من لم تـــــــزود

وقول علي بن زيد (..... 129 ه)

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتـــــــــــد

ويواصل الحصري قائلا :

وللعلم بذلك ، قال قتيبة بن مسلم لأبي عياش المنتوف وقد دخل عليه وبين يديه سلة زعفران: أنشدني بيتا لا يصارف ولا يكذب ، وهي لك فأنشده ما ليس لطاعن فيه مطعن :

فما حلمت من ناقة فوق كورها أبر و أوفى ذمة من محمد [1]

ويتضح من خلال هذه النصوص أن مقياس المعنى عند الحصري ترتكز على أن يكون مما لا مطعن فيه على مستوى المنطق أو على مستوى الدين والأخلاق.

كما يرى الحصري أن من شروط المعنى أن يكون بخلاف مقصد الأديب, ومن ذلك ما يرويه الحصري عن الأصمعي قال : قرأت على أبي محذر خلف بن حيان(.. نحو 180 ه) شعر جرير فلما بلغت إلى قوله .

ويوم كإبهام القطاة محبـــــب إلي صباه غالب لي باطلــه

رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن كمن نبله محرومة وحبائله

فبالك يــوم خيره قبــل ســره تغيب واشيه وأقصر عاذله.

فقال خلف ، ويحه! فما ينفعه خير يؤول إلى شر! فقلت له: "كذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء ، فقال لي: وكذا قال جرير : وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا ما سمع ، قلت: فكيف

[1] المصدر السابق– ج2 ص 1093.

كان يجب أن يكون؟ قال الأجود أن يقول : خيره دون شره ، فاروه كذلك ، فقد كانت الرواة قديما تصلح الأشعار فقلت: والله لا أرويه بعدها إلا كذا" [1]

كما يرى الحصري أن من شروط صحة المعنى أن يكون صحيحا في الواقع ولذا أنتقد كل من الفرزدق وابن المعتز على ذي الرمة قوله :

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى

وسارق الثريا في ملاءته الفجر

وقالا : الصواب ، ذوى العود والثرى ،لأن العود في الثرى لا يذوي. [2]

كما يبين الحصري عــن مقياس آخر من مقاييس المعنى وهو مراعاة مقتضى الحال ومنطلقه القاعدة القائلة : " لكل مقام مقال."

"ألم تر أن عبد الله بن الحسن لما قتل يوسف بن عمر(..-127 ه) زيدا بن علي (79-122ه) رضي الله عنه، وكلف آل أبي طالب البراءة منه , قام عبد الله بن معاوية (..-129 ه) أحد أحفاد جــعفر الطيار فخطب ، وأطنب حتى قال الناس : ابن الطيار أخطب الناس .قال عبد الله بن الحسن(70-145 ه) :" لو شئت أن أقول لقلت ، ولكن لم يكن مقام سرور، وإنما كان مقام مصيبة"[3]

حيث أن عبد الله أوجز في خطبته ، ولم يطنب كابن الطيار، واعتذر بمقتضى الحال، ومن هذا المنطلق قال عمرو بن عبيد (80-144ه) "لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن يشهده دون قائله[4]", يقول عبد الله بن المقفع " إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقمت بالذي يجب من سياسة الكلام وأرضيت من يعرف حقوق ذلك."[5]

ثم يواصل الحصري حديثه في الإبانة عن مراعاة مقتضى الحال حيث ينقل وصية أبي تمام للبحتري : " و إذا أردت التشبيب فاجعل اللفظ رشيقا، و المعنى رقيقا، وأكثر فيه من بيان

---

[1] االمصدر نفسه ج1 ص 298

[2] المصدر نفسه -ج2 ص 978

[3] المصدر السابق – ج1 ص 79

[4] المصدر نفسه – ج1 ص 104

[5] المصدر نفسه- ج1 ص 104

الصبابة ، وتوجع الكآبة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ، فإذا أخذت في مديح سيد ذي أياد فاشهر مناقبه ، واظهر مناسبه ، وابن معالمه,وشرف مقامه "[1] .

ويكثر الحصري من النماذج في هذا المجال والتي يعزر بها رؤيته إلى هذا المقياس حتى يصل إلى إيراد النوادر في هذا الباب ومن ذلك أنه قال : "إن شاعر مدح زبيدة (.. 216 ه) بقوله :

أزبيدة ابنة جعفـــــــــر طوبي لزائرك المثـــــــاب

تعطين من رجليك مـــا تعطي الألف من الرغـــاب

فوثب إليه الخدم يضربونه ، فمنعتهم من ذلك ، قالت : أراد خيرا وأخطأ، وهو أحب إلينا ممن أراد شرا فأصاب ، سمع قولهم : شمالك أندى من يمين غيرك ، فظن أنه إذا قال هكذا كان أبلغ ، أعطوه ما أمل ، وعرفوه ما جهل"[2] .

---

[1] **لمصدر نفسه– ج1 ص 111**

[2] **المصدر السابق – ج1 ص 349 و مثال ذلك شعر أبي العيناء في بعض القيان ص 158, و شعر ابن الرومي في هجاء أبي الصقر ص 273.**

الشعر و النثر.

1-مفهوم الشعر والنثر:

لقد قسم النقاد الأدب إلى شعر ونثر ورأوا أن النثر لا يدخل في مجال الأدب إلا إذا كان نثرا فنيا كنثر الرسائل والخطب والمقامات والأمثال السائرة [1] ، أما الشعر فلقد أصبغوا عليه الكثير من التعاريف حيث رأوا أنه الكلام الجيد الموزون المقفى، وقالوا أنه صياغة وضرب من التصوير، وإذا عدنا إلى النقاد العرب القدامى لطالعنا قدامه ابن جعفر بقوله يعرف الشعر:" هو الكلام الموزون المقفى الذي يدل على معنى". [2]

ويعرف ابن طبطبا " الشعر بأنه كلام منظوم" [3] ، وأن الفرق بينه وبين النثر إنما يكمن في النظم،ولكن ابن طباطبا لا يتعرض لذكر التقفية مثلما فعل ابن قتيبة .

ثم إن المعركة كانت مستعرة بين النقاد حول المفاضلة بين الشعر والنثر، إذ استغرقت جانبا كبيرا من النقاش النقدي فكل ناقد يسعى إلى تبرير رأيه بالحجج والبراهين،حيث يرى المرزوقي أن الإعجاز بالقران لم يقع بالنظم ، وهذا وحده دليل على شرف النثر ، ومن ثم تأخرت رتبة الشعراء عن الكتاب "[4].

يعزر رأيه أبو حيان التوحيدي عندما يرى أن " النثر أصل الكلام، والنظم فرعه، والأصل أشرف من الفرع ، وبالنثر نزلت الكتب السماوية، والوحدة فيه أظهر وهو طبيعي في البدأة، لأن الناس يتكلمون به ابتداء، وهو غير محتاج إلى الضرورات كالشعر" [5] ولعل التوحيدي وهو يشيد بالنثر ويقدمه على الشعر يرجع لكونه فأثرا مترسلا أكثر من اعتماد على نظرة موضوعية متجردة.

أما نقاد المغرب العربي فينزعون في أغلبهم إلى تفضيل الشعر على النثر، حيث يرى عبد الكريم النهشلي أن الشعر خير الكلام العرب بعد القرآن الكريم وأشرفه ، ترتاح له القلوب

---

[1] **زكي مبارك -النثر الفني -ص 42.**
[2] **قدامة بن جعفر -نقد الشعر- ص 13.**
[3] **ابن طباطبا - عيار الشعر- ص 4.**
[4] **المرزوقي - شرح الحماسة -ص 16**
[5] **أبوحيان التوحيدي - الإمتاع والمؤانسة - ج2 ص 132.**

وتجذل به النفوس، وتصغي إليه الإسماع وتشحذ به الأذهان، وتحفظ به الآثار وتقيد به الأخبار.[1]

والنهشلي حين يفاصل بين الشعر والنثر لا يغمط النثر حقه ولكنه يقدم الشعر عليه وذلك حين يقول " إن البلاغة إذا وقعت في المنثور والمنظوم كان الشاعر أعذر وكان العذر على صاحب المنثور أضيق، وذلك أن الشعر محظور بالوزن محصور بالقافية، والكلام ضيق على صاحبه، والكلام مطلق غير محصور فهو يتسع لقائله".[2]

أما ابن رشيق فيعقد فصلا حول فضل الشعر" يرى من خلاله أن " كلام العرب نوعان منظوم ومنشور، ولكل منها ثلاث طبقات، جيدة، متوسطة،ورديئة ، فإذا اتفقت الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ، ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى، كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة" [3] وحين يبدي ابن رشيق تفضيله للشعر على النثر فإنه يسعى تأييد رأيه بالحجج والأدلة وإيمانا منه بصعوبة الموازنة دون الاستناد إلى البراهين فيقول: " هو أخو اللفظ ونسيبه وإليه يقاس وبه يشبه، إذا كان منثورا لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب ومن أجله انتخب، وإن كان أغلى قدرا وأغلى ثمنا، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال، وكذلك القافية، تألفت أشتاته وازدوجت فوائده وبناته".[4]

ولقد تواصلت المفاضلة بين الشعر والنثر وكلا من الفريقين يحشد الحجج والبراهين لتعزير رأيه، وكان من بين هؤلاء الحصري موضوع بحثنا هذا .

2-منهج الحصري في بحث الشعر و النثر :

اهتم الحصري بقضية الشعر والنثر مادامت هذه القضية كانت تشغل نقاد المغرب العربي على غرار نقاد المشرق، ولكن الحصري كعادته لا يبين عن موقف نقدي معين وإنما يحشد مجموعة من الأخبار والآراء في هذا المجال،حيث يتحدث عن معنى الشعر ونظم القصيدة، ثم يوازن بين الشعر والنثر، ثم بعد ذلك يتطرق إلى فضل الشعر وخلوده وتأثيره في النفوس، وإلى موقف الإسلام من الشعر. كما أن الحصري يثير قضية رواة الشعر

---

[1] د. بشير خلدون- الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسلي القيرواني – ص 62.

[2] المرجع نفسه – ص 60

[3] ابن رشيق- العمدة- ج1 ،ص 13

[4] المصدر نفسه – ص13

والمبالغة في الشعر، كما يقوم بموازنة للشعراء وإعطاء رأيه في بعضهم، فالحصري يرى أن الشعر كلام العرب، وهو لهذا السبب مقدم على النثر ذلك لأن العرب "أودعوه كل المعاني،لأن من شأن الوزن والقافية أن يؤلفا أشتاته ويصوناه من الضياع، ويسهلا حفظه على الذاكرة " .[1]

أما النثر فهو غير محصور بالوزن والقافية لذا تقدم عليه الشعر، كما يسوق الحصري بعض الآراء المختصرة للناشئ الأكبر ، والخليل بن أحمد، فالشعر عند هذين الناقدين" هو قيد الكلام ،وعقل الآداب، وسور البلاغة، ومجال الحنان.... والشعر ما كان سهل المطال، فصل المقاطع، فحل المديح، جزل الافتخار، شجي النسيب، فكه الغزل، سائر المثل، سليم الزلل، عديم الخلل، رائع الهجاء".[2]

والحصري عندما يسوق آراء الآخرين وأقوالهم فإنه لا يعلن عن رأيه الصريح للعملية الشعرية ، أو يعقب على الخبر بكلام شاف يبرز نظرته بوضوح، فهو يرى أن "المقاطع القصيرة أعلق بالمسامع، وأجود في المحافل، إذ يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق " [3] وإذا كان الحصري لم يبد رأيه الصريح في ماهية الشعر، إلا أنه حين يوازن بينه وبين النثر يقر للشعر بالأفضلية المطلقة، حيث يرى قائلا: "بنى الشعر لقوم بيوتا شريفة، وهدم لآخرين أبنية منيفة " [4] ثم يتبع بقول للصاحب بن عباد "النثر يتطاير كتطاير الشرر والنظم يبقى بقاء النقش في الحجر ".[5]

وإذن فهو يعقد السبق للشعر مادام الشرر يتطاير ويتلاشى وهو حال النثر، بينما يبقى النقش موسوما به الحجر وهو حال الشعر.

والحصري لا يبني هذه الأفضلية للشعر على النثر على الشكل، أوفق مقايس محددة للقصيدة، وإنما يقتبس الأمر بمعيار أخلاقي يرتكز على مضمون النص الشعري، ولا أدل على ذلك

---

[1] **الحصري – زهر الآداب وثمر الألباب– ج1 ص18.**
[2] **المصدر السابق –ج2 ص630**
[3] **المصدر نفسه ج1 ص22.**
[4] **المصدر نفسه – ج1 ص 22.**
[5] **المصدرنفسه – ج2 ص640.**

من إيراده لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " تعلموا الشعر،فإن فيه محاسن تبتغى، ومساوئ تتـــقى".[1]

وإذا كان بعض الناس يفسر الآية الكريمة ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [2] على هواه، ويرى أنها تطلب من المسلمين الإعراض عن قول الشعر أو إتباع سبيل الشعراء ، فإن الحصري يلفت هؤلاء إلى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء فيقول: "وقد سمع الرسول الشعر وأثاب عليه، وندب حسان بن ثابت إليه، وقال لكعب بن مالك:والذي نفسي بيده لهي أشد عليهم من رشق النبل[3]" وهو يريد القول أن الرسول لم يعرض عن الشعر، بل كان يسمع إليه ويثيب عنه، نظرا لأن هذا الشعر بما حازه من جودة المعاني، وجمال اللفظ، يؤثر في نفوس الناس، ويشق عليهم هذا الهجاء المر حيث أن المشركين الذين ناوءوا النبي الكريم يشفقون من هجاء حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة .

وهذا يعفى أن الإسلام لم يكن ضد الشعر بقدر ما كان ضد ابتعاد الشعراء عن جادة الصواب، ولذ يسوق الحصري قول الرسول الكريم : " إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكما ".[4]

كما يتعرض الحصري إلى قضية خلود الشعر، ذلك لأن الشعر يعتبر سجل الإنسان فضلا عن العربي، ويضرب لذلك مثلا حيث منح زهير أبي سلمى لهرم بن سنان وهو يمدحه" ما لا تفنيه الدهور،ولا تخلقه العصور،ولا يزال به ذكر الممدوح ساميا،وشرفه باقيا" ولو لا ما قال فيه ما كان يعرف ذلك الجرد الذي يتحلى به هرم.[5]

ويرى الحصري إن الشعر إذا كان بهذه المنزلة، فلا غرو أن يحتل قائلوه هذه المكانة بين الناس، حتى أن قريشا كانت معجبة بشعر زهير حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنا قد

---

[1] المصدر السابق – ج1 ص23.
[2] سورة الشعراء : الآيات 224 – 227.
[3] الحصري : زهر الأداب و ثمر لألباب –ج1 ص25.
[4] المصدر انفسه – ج1 ص23.
[5] االمصدر نفسه – ج2 ص705.

سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام ابن أبي سلمى، فما سمعنا مثل كلامه من أحد"، "فجعلوه نهاية في التجويد" على حد قول الحصري[1].

وإذا كان الحصري مع خلود الشعر وفضله، فإنه تميز عن نقاد المغرب بظاهرتين ذكرهما وهو بصدد الحديث عن الشعر وهما : عمل الرواة، في الشعر، ونظام القصيدة العربية [2]، وهو كعادته يورد الأمثلة التي نستشف منها ما يبغي الوصول إليه والإبانة عنه دون أن يقول برأي صريح .

قال: قال الأصمعي قرأت على أبي محذر خلف بن حيان الأحمر شعر جرير فلما بلغت إلى قوله:

ويوم كإبهام القطاه محبـــــــــــب إلي صباه غالب لي باطلـــــه

رزقنا به الصيد العزيز ولم نكـــن كمن نبله محرومة وحبائلـــه

فبالك يوم خيره قبل شـــــــــــره تغيب واشيه وأقصر عاذلـــه

فقال خلف ويحه إنما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ فقلت له كذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء فقال لي :وكذا قال جرير، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا ما سمع، قلت : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال الأجود أن يقول :

فبالك يوم خيره قبل شـــــــــــره .....

فأروه كذلك فقد كانت الرواة قديما تصلح أشعار الأوائل، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا كذا[3]، يشير الحصري إلى قضية عبث الرواة بالقصيدة الشعرية، وتزيدهم فيها، أو إصلاحهم لها، وهذه الظاهرة سبق أن تطرق إليها ابن سلام الجمحي حيث قال: فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، و أرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع و الأشعار، فقالوا على ألسن شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعد، فزادوا في الأشعار التي قيلت ، وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولدون، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء،

---

[1] **المصدر السابق –ج1 ص 18**

[2] **د. بشير خلدون – الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي القيرواني – ص90**

[3] **الحصري – زهر الأداب و ثمر الألباب – ج1 ص298**

أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال ".[1]

وقضية وضع الشعر عرفت فيما بعد بنظرية الانتحال أو نحل الشعر،"والحصري عند ما تنبه هو الآخر إلى هذه الظاهرة الخطيرة يكون قد سبق غيره من النقاد في المغرب وتفطن إلى الظاهرة قبلهم ".[2]

ثم إن الأمر الذي تفطن له الحصري هو طريقة نظم القصيدة العربية، ولا يعتمد الحصري على النقد النظري وإنما يلجأ كعادته إلى التطبيق حيث يورد رأي الحاتمي، "مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الأخر وباينه في صحة التركيب، غادر الجسم ذا عاهة تتخوف محاسنه وتعفى معالمه "[3]، ثم يعقب الحصري على ذلك قائلا: " وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذا الحال احتراسا يجنبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان، حتى يقع الاتصال، ويؤمن الانفصال، وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها، وانتظام نسيبها بمديحها، كالرسالة البليغة، والخطبة الموجزة، لا ينفصل جزء منها عن جزء".[4]

وإذا كانت ظاهرة الوحدة العضوية للقصيدة تعتبر موضوعا عولج من طرف النقاد المحدثين، فلا شك أن الحصري يعتبر من بين السابقين إلى التنبيه إلى ذلك .

3-الشعر والنثر في زهر الآداب :

يورد الحصري مجموعة من الشواهد والأدلة حول تأثير الشعر في النفوس وسلطانه على الناس، ومن ذلك قصة بني أنف الناقة مع الحطيئة يقول الحصري : " وقد وجدنا في الشعر أبياتا يجرى على رسمها،ويمضي على حكمها، فقد كان بنو أنف الناقة إذا ذكر أحد عند أحد منهم أنف الناقة – فضلا عن أن ينسبهم إليه– اشتد غضبهم عليه ، فما هو إلا أن قال الحطيئة يمدحهم :

سيري أمام فإن الأكثرين حصى والأطيبين إذا ما ينسبون أبـــــــا

---

[1] ابن سلام الجمحي – طبقات فحول الشعراء – تحقيق : محمود محمد شاكر مطبعة المعارف – القاهرة (1974) –ج1 ص4 .

[2] د. بشير خلدون – الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسلي القيرواني – ص92.

[3] الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب –ج2 ص597.

[4] المصدر نفسه – ج2 ص 597.

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهـــــم شدوا الغناج وشدوا فوقه الكربـــا

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبـــــا

فصار أحدهم إذا سئل عن انتسابه لم يبدأ إلا به.

ويواصل الحصري إيراد النماذج والأخبار عن قيمة الشعر، حيث يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ــ سمـــع الشعر وأثاب عليه ، وندب حسان بـــن ثابت إليه وقال : إن الله ليؤيده بـــروح القدس مـــا نافح عن نبيه .[1]

ثم يضيف الحصري قائلا :

"ولما انتهى شعر أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم شق عليه، فدعا عبد الله بن رواحة فاستنشده فأنشده، فقال : أنت تحسن صفة الحرب، ثم دعا بحسان بن ثابت : فقال : أجب عني، فأخرج لسانه فضرب به أرنبته،ثم قال : والذي بعثك بالحق، ما أحب أن لي به مقولا في معد، ولو أن لسانا فرى الشعر لفراه".[2]

والحصري عند ما يسوق الأخبار والقصص معززا ذلك برأي النبي صلى الله عليه وسلم الذي يثبت على الشعر الحسن، وبكلام الصحابه رضوان الله عليهم، فلأنه يريد أن يرد على من فهم الأمر على غير وجهه، ويبين أن للشعر جلال وفضل لا يشاركه فيه النثر بل يقصر عنه .

ويرى الحصري أن جل كلام العرب كان شعرا، على حين كان النثر يمثل نسبة فليلة في كلامهم وعلى ذلك يقول أبو تمام :

إن القوافي والمساعي لم تـــــزل مثل النظام إذا أصاب فريـــــدا

هي جوهر نثر فإن ألفتـــــــــه بالنظم صار قلائدا وعقـــــودا

من أجل ذلك كانت العرب الألى يدعون هذا سؤددا مجـــــدودا

وتند عندهم العـــــــــلا إلا إذا جعلت لها مرر القصيدة قيودا [3]

ويسوق الحصري نماذج شعرية تخص ظاهرة خلود الشعر التي يقول بها ، من ذلك الأبيات التي مدح بها زهير بن أبي سلمى هرم بن سنان منها:

---

[1] المصدر السابق – ج1 ص25

[2] المصدر نفسه– ج1 ص26

[3] المصدر نفسه ج1 ص23

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقـــــا

من يلق يوما على علاته هرمـــا يلق السماحة منه والذي خلقـــا

وليس مانع ذي قربى وذي رحم يوما ولا معدما من خاطب ورقا

ليث بعثر يصطاد الرجال، إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقـــا[1]

كما يبرز الحصري خصائص الشعر وأقسام الشعراء ، باعتبار أن ليس كل من قال الشعر هو شاعر بحق ، وذلك حين يرى عمر المطوعي " أن أهل صناعة الشعر ينقسمون ثلاث فرق: " منهم من اكتسى كلامه شرف الاكتساب دون شرف الانتساب " كالمكتسبين من الشعراء بالمدائح ، المترشحين بها لأخذ الجوائز أو المنائح " هؤلاء يشكلون الأكثرية من أهل الصناعة " ويضيف قائلا: ومنهم من شرقت بنات فكره عند أهل العقول، وجلت لديهم فضائل القبول لشرف قائلها ،لا لكثرة عقائلها، وكرم حواشيها، لا لرقة حواشيها " ويمثل هذا الفريق عدد كبير من الخلفاء والأمراء والوزراء، أما الفريق الثالث فقد جمع الجودة والحسن كامرئ القيس في المتقدمين " وهو أمير الشعراء غير منازع " وابن المعتز "وهو أشعر أبناء الخليفة الهاشمية ... ومن أجل كلامه في التشبيه... وعلت أشعاره في الأوصاف" والأمير أبي نواس الحمداني " فارس البلاغة ورجل الفصاحة " ومن اعترف له بالسيادة والإجادة حتى قال الصاحب بن عباد " بدئ الشعر بملك وختم بملك ".[2]

يقصد بذلك امرأ القيس وأبو فراس ، ويرى المطوعي أن هذه الطائفة الأخيرة " أشهر الثلاثة تقدما، وأثبتها في مـــواطن الفخر ومواطن الشرف قدما ، وأسبق الشعراء في ميدان البلاغة ، وأرجحهم في ميدان البراعة ". [3]

ولعل مرد هذا التقديم يرجع إلى مكانتهم الاجتماعية ولا أحل على ذلك من قوله بعد ذلك " فإن الكلام الصادر عن الأعيان والصدور أقرأ للعيون وأشفى للصدور..."

ويمثل هنا بقول الشاعر :

وخير الشعر أكرمه رجـــالا وشر الشعــر ما قال العبيـــد[4]

---

[1] **المصدر السابق – ج1 ص133**

[2] **المصدر نفسه –ج1 ص 133 – 134**

[3] **المصدر نفسه– ج1 ص 134**

[4] **المصدر نفسه –ج1 ص134**

ويتضح هنا أن النقد العربي كان يحتفل بالحياة الاجتماعية، ومعنى ذلك أو الشعر كان يشاع ويذاع إذا كان صاحبه ذو سطوة وجاه بعض النظر عن روعة هذا الشعر، ولقد أشار ابن قتيبة إلى هذه الظاهرة حين استشهد بأبيات للمهدي والرشيد والمأمون ثم قال: "وهذا الشعر شريف بنفسه وصاحبه" [1] ، كما أن الثعالبي يؤكد نفس الظاهرة وهو يتحدث عن منهجه في أختيار الشعر قائلا: " فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد، فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لا يتم دونه ، وإن ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير، وإنما ينفق مثل ذلك بالانتساب إلى قائله لا بكثره طائله ".[2]

وابن رشيق يشير إلى هذه الظاهرة بقوله عن مشاهير الشعراء " وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو الفراس وحده، ولو لا مكانه من السلطان لأخفاه ".[3]

غير أن الحصري لا يعتمد هذه الظاهرة مقياسا لذيوع الشعر وجودته حيث يقول : " وإذا اتفق من اجتمعت فيه هذه الشرائط، وانتظمت عنده هاتيك المحاسن ، كان خليقا بأن تخلد في صحائف القلوب أشعاره، وتدون في ضمائر النفوس آثاره".[4]

كما يأتي الحصري بنموذج للحاتمي يريد به التأكيد على الوحدة العضوية للقصيدة عندما يقول: " مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الأخر وباينه في صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهةٍ تتخون محاسنه ، وتعفى معالمه".[5]

ثم يبين الحصري على لسان الحاتمي من أن ظاهرة وحدة القصيدة لم تراع إلا على يد المحدثين الذين اهتموا بالبديع، ومن ثم لم يغفلوا أمر الوحدة العضوية عندما يستطرد " وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم، ولطف أفكارهم، واعتمادهم البديع وأفانينه في أشعارهم ، وكأنه مذهب سهلوا حزنه ، ونهجوا رسمه ".[6]

---

[1] ابن قتيبة – الشعر والشعراء – ص20.
[2] أبو منصور الثعالبي – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ص06.
[3] ابن رشيق – العمدة– ص89.
[4] الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 ص595 .
[5] المصدرنفسه – ج2 ص596.
[6] المصدر نفسه– ج2 ص596.

أما عن الشعراء الفحول القدامى فقد جاء هذا الأمر عفو الخاطر أحيانا لدى البعض منهم حيث يقول :" وربما اتفق لأحدهم معنى لطيف يتخلص به إلى غرض لم يتعمده، إلا أن طبعه السليم قاده إلى ذلك ".[1]

[1] **المصدر نفسه- ج2 ص596.**

القـــديـــم و الجـــديـــــــد

1-مفهـــــوم القديـــــم والجديـــــد

حازت قضية القديم والجديد جانبا كبيرا من النقد العربي واتسمت هذه القضية ككل القضايا النقدية بين مؤيد لهذا الطرف ومعارض له وبينما من يسعى للتوفيق بين الطرفين.

وإذا رجعنا إلى ماهية القديم فإن المقصود به الأدب العربي بصفة عامة والشعر بصفة خاصة الذي قيل طيلة العهد الجاهلي والإسلامي والأموي، وعلى هذا فإن القدامى هم الشعراء الجاهليون ، والإسلاميون والأمويون، منذ المهلهل وامرئ القيس والنابغة وزهير، حتى الأخطل وجرير والفرزدق والكميت وهم شعراء الدولة الأموية الذين حافظوا على عمود الشعر العربي المتمثل في طريقة القدماء: – أي هذا الكلام الذي يجرى على السليقة والفطرة ومعان مستمدة من حياتهم– أهم خصائصهم السهولة و الوضوح ، وعبارات قوية رصينة جزلة.[1]

ويرى الدكتور طه الحاجري أن مصطلح القديم أو الجديد هو الشعر الذي بدأ مع قيام الدولة العباسية ، واستمر فيها بعد عهود طويلة، " بدأ مع بشار بن برد رأس الشعراء المولدين ، وأبي نواس ومسلم بن الوليد ، وأبي تمام واستمر مع المتنبي والمعري ، وقد اهتم هؤلاء المحدثون بالصياغة لأن همهم هو صياغة المعاني في بيان جميل حافل بالعبارات المزخرفة والألفاظ المنمقة، والصور البديعية الرائعة ". [2]

ولقد اشتدت الخصومة بين أنصار القديم وأنصار الجديد ، وراح كل فريق ينتصر لمذهبه، فينما يرى أنصار الشعر القديم أنه يمتاز بجودة المعنى، وسهولة الألفاظ وجزالتها، يرى أنصار الجديد أن الشعر يجب أن يساير الحياة وبصور المجتمع وأن لا يقف عند حدود الأطلال الدارسة، ومشاهد التحمل والارتحال ، إضافة إلى هذا الإعجاب لألوان البديع التي أكثر منها المحدثون بعد ذلك، غير أن هناك من ترفع عن هذه الخصومة وسعى إلى التوفيق بين النظرتين مبررا رأيه بالدليل المنطقي حيث يقول ابن قتيبة ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على

---

[1] د.طه الحاجري – تاريخ النقد الأدبي عند العرب– ص 99.

[2] المصدر نفسه –ص 100.

الفريقين، وأعطيت كل حظه، ووفرت عليه حقه" [1] ، وهكذا يقدم ابن قتيبة نظرة موضوعية بعيدة عن التعصب والذاتية ثم هو يبين عن هذه النظرة التي سكنت نفوس بعض النقاد حيث يقول: " فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متغيره، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أوانه رأى قائله ، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركًا مقسومًا بين عباده في كل دهرٍ، وجعل كل قديم حديثـًا في عصره وكل شرف خارجية في أوله" [2] ،ويرد الجاحظ على المتعصبين للقديم بقوله: " وقد رأيت أناسـًا منهم يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها، ولم أر ذلك قط إلا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروي ، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيّد ممن كان، وفي أي زمن كان ".[3]

وفي بلاد المغرب العربي التي كانت تسير على خطى النقاش الدائر في المشرق لم يبق نقادها وأدباؤها بمنأى عن القضايا النقدية ومنها قضية القدماء والمحدثين، حيث يقول ابن رشيق" كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله" [4] ثم يبرر ابن رشيق نظرته التوفيقية بضرب الأمثلة كعادته حيث قول : "وإنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ، ابتدآ هذا بناه فأحكمه وأتقنه ، ثم أتى الأخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن " [5] غير أن ابن رشيق الشاعر ينتصر للمحدثين باعتبار الشاعر وليد عصره يعبر بصدق عما يجري في بيئته ومجتمعه، حيث يستشهد برأي ابن وكيع التنيسي وقد ذكر أشعار المولدين : " إنما تروى لعذوبة ألفاظها، ورقتها، وحلاوة معانيها، وقرب مأخذها" [6] ويظهر أن الخصومة لا تفتأ قائمة بين القديم والجديد قي الأدب العربي وخاصة الشعر منه مادام أن هناك من ألف القديم واستأنس به، ومن يشفق من الجديد في زمانه ويرغب عنه .

---

[1] ابن قتيبة – الشعر والشعراء–ص 10.
[2] المصدر السابق– ص 11.
[3] أبو عثمان الجاحظ– الحيوان– ج3 ص 130.
[4] ابن رشيق –العمدة – ص 78.
[5] المصدر نفسه ،ص 79.
[6] المصدر السابق– ص 79

2-منهج الحصري في بحث القديم و الجديد:

لم يهتم الحصري بقضية القدماء والمحدثين ، كما اهتم بها ابن رشيق تلميذه ، ولكن منهجه كان يعتمد على ايراد مجموعة من القصص والأخبار حول القضية، ومن خلال تلك الشواهد نستطيع الإلمام بنظرته عن القدماء والمحدثين.

ونلاحظ أن الحصري بقدر ما أزرى بشيوخ اللغة والأدب المتعصبين للقديم والمنكرين لكل ما هو وافد ، بقدر ما مدح الجديد الذي أتى به المولدين وأعجب به ، وهو عندما يبدي إعجابه لا يبين عنه صراحة ، ولا يسعى للتعقيب عليه مباشرة، ولكنه ينسبه إلى القائل الذي ساق الرواية على عهدته ، فعندما يورد شعراً لأبي نواس :" وروى أبو هفان قال : كان أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي يطعن على أبي نواس ، ويعيب شعره ، ويضعفه ويستلينه ، فجمعه مع بعض رواة شعر أبي نواس مجلس والشيخ لا يعرفه ، فقال له صاحب أبي نواس: أتعرف ــ أعزك الله ــ أحسن من هذا ؟ وأنشده :" ضعيفة كر الطرف ..." فقال : ولا الله ، فلمن هو؟ قال: للذي يقول:

رسم الكرى بين الجفون نحيل عفى عليه بكاء عليك طويل

يا ناظراً ما أقلعت لحظاتـــــه حتى تشحط بينهن قتيـــــل

فطرب الشيخ وقال : ويحك! لمن هذا ؟ فو الله ما سمعت أجود منه لقديم ولا لمحدث !

فقال : لأخبرك أو تكتبه، فكتبه وكتب الأول، فقال للذي يقول :

ركب تساقوا على الأكوار بينهم كأس الكرى فانتشى المسقي والساقـــــي

كان أرؤسهم والنوم واضعهـــــا على المناكب لم تخلق بأعنـــــــــــــاق

ساروا فلم يقطعوا عقد لراحلـــة حتى أناخوا إليكم قبل إشـــــــــــراف

من كل جائلة الطرفين ناحيـــــة مشتاقة حملت أوصال مشتـــــــــــاق

فقال لمن هذا ؟ و كَتبَه ، فقال : للذي تذمه وتعيب شعره أبي علي الحكمي! قال : أكتم عليَّ، فو الله لا أعود لذلك أبدًا ".[1]

[1] الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1 ص286 – 287

فالحصري هو يبرز لنا جانبا من تعصب اللغويين والأدباء للقديم ، ثم الغض من شأن الجديد، لا لشيء إلا لأن قائله شاعر محدث، رغم شعورهم بقوة هذا الشعر و روعته داخل قرارة نفوسهم .

وهذا الحكم الذي لا تسنده نظرة موضوعية أو يحكمه نقد معلل ربما نتج عن مزاِج شخصي أو تأثر لكل جديد يمس القصيدة العربية ومن ثم أثار تعصبهم.

ونستطيع رؤية الحرب الدائرة دوما في أي وقت بين أنصار القديم وأنصار الجديد، خاصّة إذا كان هذا الجديد يأتي على أيدي مولدين في فترة اتسمت بالتعصب للعربية وانصهار الأقوام والشعوب في دائرتها.

وعندما يورد الحصري خبر أبي عبد الله محمد الأعرابي فإنه ينحو باللائمة على هؤلاء الشيوخ ، الذين يتنكرون للجديد الذي فاق القديم في أحيانٍ كثيرة وجدّد في أشكال ومضامين الشعر العربي.

ويواصل الحصري إبراز فضل المحدثين وتفوقهم فيأتي بالأخبار التي تظهر ألمعية أبي تمام وأسبقيته على شعراء عصره، حيث يسوق قول أبو جعفر بن الزيات وهو يعقب على أبيات لأبي تمام مدح فيها محمد عبد الملك الزيات فيقول : " يا أبا تمام ، والله إنك لتحلي شعرك من جواهر لفظك ، وبدائع معانيك، ما يزيد حسنا على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب، وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة ألا يقصر عن شعرك في الموازنة ".[1]

وإن كنا نلحظ عطف الحصري على المحدثين ، وإعجابه بأشعارهم وإبداعاتهم ، إلا أننا لا نلمس بالمقابل نفوزه من القديم أو مؤاخذة أنصاره، فالحصري رجل لغوي قبل أن يكون شاعرًا وأديبًا ، وليس من السهولة أن ينتصر للمحدثين ويتنكر لعمود الشعر العربي الأصيل، بيد أننا نرى الحصري لم يكن متعصبا كثيرا للقديم والقدماء شأن غيره من أدباء وعلماء زمانه، ولكنه كان يؤمن في قرارة نفسه بأن اللغة والشعر، وبالتالي الفن لم يكن حصرا على أمه دون أخرى".[2]

إن الحصري وهو يحشد طائفة من القصص والأخبار المتعلقة بأشعار القدماء والمحدثين خاصة، يميل إلى إبداء إعجابه بالمولدين دون أن يغضب القدماء ، وهو بهذه

---

[1] **المصدر نفسه – ج1 ص116**

[2] **د. بشير خلدون– الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي القيرواني – ص 186.**

النظرة التوفيقية لا يقدم لنا رأيه صريحا مباشرا عاش جزء كبير منه، علمنا إلى أي مدى أعرض الحصري عن عرض حكمه والخوض في مسألة القديم والجديد.

يقول الدكتور بشير خلدون " ورب معترض يقول : إن الحصري لم يكن مطالبًا بهذا حين رسم منهج كتابه" زهر الأداب ، والجواب هو أن الحصري ما دام قد عرض ولو بإشارة إلى هذه القضية ــ كان يجدر به أن يبسط فيها القول،ويشارك النقاد برأيه في موضوع شغل بال النقاد والشعراء والرواة والأدباء جميعا. "[1]

وهذه هي عادة الحصري في أغلب القضايا النقدية التي تعرض لها في " زهر الأداب" فهو لا يظهر رأيه الواضح الصريح ولكننا نستشفه من خلال إيراداته ومختاراته.

ولعل هذا الذي جعله يشير إليه في مقدمة كتابه عندما ألمح إلى أن اختيار الإنسان قطعة من عقله، [2] ثم إن الحصري الشاعر يميل إلى الإبداع والتجديد عندما يعجب بأشعار المحدثين ويعطف على إبداعهم، وكلغوي يتحرج من أن يحكم بالسلب على القديم قياسا إلى الجديد .

3-القديم والجديد في " زهر الأداب " :

يورد الحصري نموذجا لشعر حماسي لقطري بن الفجاءة (..78 ه) يعجب به أبو عبيدة معمر بن المثنى وهو من هواة القديم ويقول : هذا والله هو الشعر لا ما يتعللون به من أشعار المخانيث .

يقول الحصري : قال أبو حاتم : أتيت أبا عبيدة ومعي شعر عروة بن الورد فقال لي : ما معك؟ قلت : شعر عروة ، قال شعر فقير، يحمله فقير، ليقرأه على فقير! قلت : ما معي شعر غيره ، فأنشدني أنت ما شئت، فأنشدني:

يا رب ظل عقاب قد وقيت بـــه مهدي من الشمس والأبطال تجلـــد
ورب يوم حمى أرعيت عقوته خيلي اقتساراً وأطراف القنا قصـــد
ويوم له و لأهل الخفض ظل به لهوي اصطلاء الوغى وناره تفـــد
مشهراً موقفي والحرب كاشفة عنها القناع وبحر الموت يطـــــرد [3]

---

[1] **المرجع نفسه- ص 186.**
[2] **انظر : زهر الأداب و ثمر الألباب – ج1 ص3.**
[3] **المصدر السابق – ج2 ص1027**

فأبو عبيدة من أنصار القديم يظهر الكلف بالقديم دون تحفظ، وينقم على الجديد دون تردد، فهو يرى أن ما قاله قطري بن الفجاءة هو الشعر بعينه ما دام معدودًا في القدماء، بينما لا يكتف بالتجني على المحدثين وتسفيه أقوالهم،وإنما ينعتهم بالتخنث إمعانًا منه في الحط من شأنهم وصرف الناس عن احترامهم والإصغا إليهم، والحصري عندما يأتي بهذا المثال فإنه ولا شك يريد أن يلفت نظرنا إلى المبلغ الذي وصل إليه المتعصبون للقديم.

ويتبدى إعجاب الحصري بالمحدثين عندما يشير إلى بشار بن برد بقوله : " وكان بشار أرق المحدثين ديباجة كلام، وسمي أبا المحدثين، لأنه فتق لهم أكمام المعاني، ونهج لهم سبيل البديع فاتبعوه" [1]وإذا رجعنا إلى المقدمة التي صدر بها الحصري كتابه" زهر الأداب" لتبدت لنا نظرته التوفيقية للجانبين القديم والمحدث حيث يقول : " وهو كتاب يتصرف الناظر فيه من نثره إلى شعره ، ومطبوعه إلى مصنوعه، ومحاورته إلى مفاخرته، ومناقلته إلى مساجلته ، وخطابه المبهت إلى جواب المسكت ، وتشبيهاته المصيبة إلى اختراعاته الغربية، وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة ، وجده المعجب إلى هزله المطرب ، وجزله الرائع إلى رقيقه البارع ".[2]

فإذا كان الحصري لا يلقي بالقديم وراء ظهره فإنه بالمقابل يعجب بالجديد أيما إعجاب حيث يُوَائِـــم بين الجانبين.

وهو يعلن في "زهر الأداب " « أن مادته من كلام بلغاء عصره وفصحاء دهره، وأنه سيترك مطولات صعصعة ابن صوحان (.. نخو60ه) وخالد بن صفوان ونظائرهما".[3]

وقد مضى لنا في التعريف بـــ " زهر الأداب " أنه عن أدب المحدثين، وربما أبدى الحصري انجذابه الشديد للمحدثين، كما يتضح في هذا النص الذي أنشده المبرد لشاعر لم يذكر اسمه :

طبيب بداء فنون الكلام لم يعي يوما ولم يهـــــــدرِ
فإن هو أطنب في خطبةٍ قضَى للمطيل على المنـــذِرِ
و إن هو أو جز في خطبةٍ قضى للمقل على المُكثِـــر

---

[1] المصدر نفسه –ج1 ص 422
[2] االمصدر نفسه – ج1 ص1
[3] المصدر السابق، ج1 ، ص1

يقول الحصري : وهو مُوَلّدِ لم ينقصه توليده من حظ القديم شيئًا.[1]

وهكذا نلحظ تعاطف الحصري مع المولدين الذين أغنوا الشعر المحدث دون أن يستفزّ الأقدمين أو أن ينتقص من القديم ، ولعل هذه النظرة التوفيقية كثيرًا ما تميز بها الحصري في مختلف القضايا التي تعرض لها.

[1] **المصدر نفسه –ج1 ، ص 106.**

الطبع والصنعـــة :

1- مفهوم الطبع و الصنعة:

كثر الحديث في النقد القديم عن ظاهرة الطبع والصنعة، ولكن دون تحديد واضح يقنن هذه القضية ، فنجد النقاد والأدباء والشعراء يصدرون عن آراء من تجاربهم الأدبية دون أن يتفقوا على مصطلح محدد .

لقد تناول ابن قتيبة الظاهرة بشيء من التفسير والتمثيل، وعرفها بقوله: " ومن الشعراء المتكلف والمطبوع،فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر".[1]

ولا يعني هذا أن ابن قتيبة كان يستهجن شعر زهير والحطيئة، أو يراهم أقصر باعا من الشعراء المطبوعين بقدر ما كان يبن عن نظرته للطبع والصنعة .

يقول ابن قتيبة :" والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر."[2]

ويرى المزروقي صاحب ديوان الحماسة أنه " متى رفض التكلف والتعمل، وخلي الطبع المهذب بالرواية، المدرب في الدراسة لاختياره، فأسترسل غير محمول عليه، ولا ممنوع مما يميل إليه، أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر، ولا عفوا بلا جهد,وذلك هو الذي يسمي المطبوع، ومتى جعل زمام الاختبار بيد التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدما متملكا, وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها، وتردد في قبول ما يؤدي إليها، مطالبة له بالإغراب في الصنعة، وتجاوز المألوف إلى البدعة، فجاء مؤداه وأثر التكلف يلوح على صفحاته، وذلك هو المصنوع "[3].

ولو رجعنا إلى صحيفة بشر بن المعتمر التي أوردها الجاحظ في البيان والتبيين لألفينا بشرا يقول " خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك,فإن قليل تلك الساعة أكرم

---

[1] ابن قتيبـــة – الشعر والشعراء– ج1 ص122

[2] المدر نفسه –ص 34

[3] المرزوقي –شرح ديوان الحماسة– ص12

جوهرا, وأشرف حسبا, وأحسن في الإسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين وغرة, من لفظ شريف ومعنى بديع, وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة .....

وإياك والتوعر فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك، فإن أنت تكلفهما ولم تكن حاذقا مطبوعا، ولا محكّكا لشأنك بصير بما عليك ومالك، عابك من أنت أقل منه عيبا، ورأى من هو دونك انه فوقك, فإن ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصنعة، ولم تسمع لك الطباع في أول وهلة، وتعاصى عليك بعد إجالة الفكر، فلا تعجل ولا تضجر..."[1]

وهكذا نرى أن نظرة النقاد إلى قضية الطبع والصنعة لم تكن متفقة تماما بل يعتورها الاختلاف.

فالطبع عند بشر بن المعتمر معناه جريان الشعر على البديهة والفطرة في أوقات مناسبة تخلد فيها النفس إلى السكينة، أما التكلف فهو الكد والمطاولة والتعقيد في الألفاظ والمعاني، أما الجاحظ فالطبع عنده مقرون بالبديهة والارتجال,والمتكلف عند ابن قتيبة هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول النفس وأعاد فيه النظر.

والطبع عند المرزوقي يعني ذلك الشعر المرسل على سجيته دون تكلف ولا تعمل، وجاءت معانيه وألفاظه حلوة, أما المصنوع فهو الذي أغرب في الصنعة، وتجاوز المألوف إلى البدعة.

وينعت الدكتور شوقي ضيف الجاحظ بالمبالغة حين يعزو البديهة والارتجال إلى العرب من دون الأمم حيث يقول ضيف: "وليس من شك في أن الجاحظ بالغ في وصف الموهبة العربية والطبع العربي ليرد على الشعوبية,فإذا العرب يقولون بديهة وارتجالا على خلاف غيرهم من الشعوب, فإنهم يقولون متكلفين,وأكبر الظن أنه لم يكن جاد حين ذهب هذا المذهب ".[2]

ذلك أن شوقي ضيف يبين عن عدم جدية الجاحظ في مقولته الآنفة حين يطلعنا على قول الجاحظ حول صنع الشعر "من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا (كاملا) وزمنا طويلا يردد فيها نظره,ويجيل عقله,ويقلب فيها رأيه, اتهاما لعقله وتتبعا على

---

[1] **أبوعثمان الجاحظ- البيان و التبيين – ج3 ص 14.**

[2] **د. شوقي ضيف- الفن ومذاهبه في الشعر العربي- ص 20**

نفسه, فيجعل عقله زماما على رأيه, ورأيه عيارا على شعره ، إشفاقا على أدبه, وإحرازا على ما خوله الله من نعمته , كانوا يسمون تلك القصائد, الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا، وشاعرا مفلقا".[1]

أما ابن رشيق صاحب العمدة فيرى " ومن الشعر مطبوع ومصنوع, فالمطبوع هو الأصل الـــذي وضع أولا,وعليه المدار، والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل، لكن بطباع القوم عفوا، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره ." [2]

ويقول ابن خلدون: "ثم اعلم أنهم إذا قالوا : " الكلام المطبوع " فإنهم يعنون به الكلام الذي كملت طبيعته وسجيته من إفادة مدلوله المقصود منه ، لأنه عبارة وخطاب ، ليس منه النطق فقط[3]"، وبعد أن يستعرض ابن خلدون طائفة من الشعراء الذين أو لعوا بالصنعة من

أمثال حبيب بن أوس الطائي والبحتري ومسلم بن الوليد وبشار بن برد الذي يرى أنه أول من ذهب إلى معاناتها، وأما المصنوع فكثير من لدن بشار ثم حبيب وطبقتهما ، ثم ابن المعتز خاتم الصنعة الذي جرى بعدهم في ميدانهم ، ونسج على منوالهم ، وقد تعددت أصناف هذه الصنعة عند أهلها، واختلفت اصطلاحاتهم في ألقابها ، وكثير منهم يجعلها مندرجة في البلاغة على أنها غير داخلة في الإفادة ، وأنها هي تعطي التحسين والرونق ، وأما أهل البديع فهي عندهم خارجة عن البلاغة ولذلك يذكرونها في الفنون الأدبية التي لاموضوع لها".[4]

ويرى الدكتور بشير خلدون أن الشعر القديم والمحافظ جاهليه وإسلاميه وعباسيه هو شعر مطبوع في أغلبه لأن الشعراء كانوا يصدرون عن موهبة وطبع وبديهة وارتجال ، بخلاف الشعر الجديد أو الحديث الذي ظهر مع بداية العصر العباسي, فقد كان يغلب عليه فن الصنعة والتكلف .[5]

---

[1] أبو عثمان الجاحظ – البيان و التبيين – ج2 ص9 .

[2] ابن رشيق– العمدة– ص 114.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون –المقدمة – دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان (1993)– ص 498.

[4] المصدر نفسه – ص 499.

[5] أنظر :الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسلي القيرواني للدكتور بشير خلدون – ص 201.

لقد تصدى نقاد بلاد المغرب لقضية الطبع والصنعة وتبنوا حكما قريبا من النهج الأول ، حيث اعتنوا بها وخصوها بالبحث والدراسة ومن هؤلاء ابن رشيق القيرواني ، وابن شرف القيرواني ، وحازم القرطاجني ، وأبا محمد السلجماسي وابن خلدون ، إضافة إلى أبي إسحاق الحصري .[1]

2-رأي الحصري للطبع والصنعة :

خصص الحصري جانبا من كتابه " زهر الآداب " للحديث عن قضية الطبع والصنعة ، وكان من الطبيعي أن يتحدث عن هذه القضية طالما أنها كانت مثار جدل بين نقاد القرن الرابع ، ولم يكن نقاد المغرب العربي في منأى عما يحدث ببلاد المشرق ، " والحصري يلجأ إلى المفاضلة بين شعر الأعراب وشعر أهل الحضر ، وإن كان يرى أن شعر الأعراب يصدر عن طبع نقي لم تعكر صفوه وسائل الحضارة الحديثة ، بخلاف شعر أهل الحضر فهو مهلهل خلق النسج خطؤه أكثر من صوابه ويغطي عيوبه حسن الروي ".[2]
ونستطيع أن نستشف رأي الحصري بوضوح من خلال هذا النص الصريح حيث يتحدث عن موضوع الطبعة والصنعة قائلا : "الكلام الجيد الطبع، مقبول في السمع، قريب المثال، بعيد المنال، أنيق الديباجة رقيق، فهو مثقف الكعوب، معتدل الأنبوب، يطرد ماء البديع على جنباته، ويروق السيف الصقيل, وحمل الصانع شعره على الإكراه في التعمل، وتنقيح المباني دون إصلاح المعاني، يعفى آثار صنعته، ويطفئ أنوار ضيعته، و يخرجه إلى فساد التعسف وقبح التكلف ، وإلقاء المطبوع بيده إلى قبول ما يبعثه هاجسه، وتنفثه وساوسه،من غير إعمال النظر وتدقيق الفكر، يخرجه إلى حد المشهر وحيز الغث ، وأحسن مـــا أجـــري إليه وأعـــول عليه، التوســـط بين الحـــالين والمنزلة بين المنزلتين، من الطبع والصنعة معا ".[3]
وهنا يفصح الحصري عن مذهبه في فهم الطبع والصنعة، ويستشف من كلام الحصري أن المعاني تنبعث عن طبع, وإنما تمس الصنعة الألفاظ والأساليب ، ولا أدل على ذلك من قوله: " وحمل الصانع شعره على الإكراه في التعمل, وتنقيح المباني ، دون إصلاح المعاني[4] "

---

[1] **انظر مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي (من البقرن الخامس إلى القرن الخامس الهجري) أ. د الشيخ بوقربة :ص 154.**
[2] **د.بشير خلدون- حركة النقدية على أيام ابن رشيد المسلي القيرواني – ص 203.**
[3] **الحصري : زهر الأداب و ثمر الألباب – ج1 ص 110.**
[4] **المصدر نفسه – ج1 ص 110.**

وهذا ما يؤدي بالشعراء إلى التعمل في صناعة المباني متكلين على انبعاث المعاني عن الطبع .

بيد أن منهج الحصري يرى أن نوادر المعاني, لا يتكل فيها على الطبع وحده, بل لا بد من أعمال النظر, وتدقيق الذهن, ذلك أن المعاني التي تتأتى عن طبع ــ في الأغلب ــ من المشتهر الغث.

إن المتأمل لنص الحصري هذا في فهم الطبع والصنعة يجد أن صاحب " زهر الآداب " يضع بين أيدينا ثلاث حالات تخص القضية، الكلام الجيد، الطبع، المصنوع من الكلام وهو نوعان : المصنوع المهذب، والمتكلف الذي لا خير فيه .

فإن الكلام المطبوع هو ذلك الكلام الناتج عن طبع صاف ما إن بتلقفه السمع حتى يتذوقه مقبلا عليه بكل سهوله وبساطة نظرا لعذوبة ألفاظه ورقة معانيه, أما المصنوع من الكلام فهو ذلك الذي عكف عليه صاحبه بالثقاف والتنقيح مكثرا فيه من الصور البديعية كالطباق والجناس والاستعارة والتشبيه والكناية... "فإذا وقف صاحبه عند هذا الحد اعتبر شعرا جيدا، أما إذا تعمّد الشاعر أن يحمل هذا الشعر على الإكراه في التّعمل والتكلف يجري وراء الحلل اللفظية يدبّجها ويزركشها دون أن يهتم بالمعاني ، فهو شعر قبيح متكلف لا خير فيه ".[1]

والذي نستخلصه من هذا الكلام أن رؤية الحصري لهذه القضية كانت صائبة...فهو وإن لم يرد الانحياز إلى أحد الطرفين سيّما وأن قضية الطبع والصنعة كانت تحوز جدلا كبيرا في أوساط النقاد في القرن الرابع الهجري في المشرق كما المغرب، إلا أنه أبان عن مذهبه بشكل صريح وواضح ذلك أن أحكام الحصري النقدية نادرًا ما تتضح بهذا الشكل بل تأتي في الغالب تلميحًا أو تعقيبًا، ولا نخال الحصري الناقد الوحيد الذي ارتأى هذه النظرة ذلك أن الكثير من النقاد يتبنونها مؤسسين ذلك على أحكام وقواعد نقدية مؤسسة .

فالمتفق عليه هو أسبقية الطبع وتأخر الصنعة ، ولكن المؤكد أن أعمال الفكر والتنقيح الجاد ضروريان لخلق انسجام وتلاحم بين الطبع والصنعة، وهل تعتقد أن زهير بن أبي سلمى والحطيئة ومن عدّوا عبيد الشعر ليسوا بأجود قريحة، وأنقى طبعا من المطبوعين أنفسهم .

---

[1] **د. بشير خلدون – الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسلي القيرواني – ص205**

فالحصري يرفض الوقوف على الشكل والعكوف على اللفظ ثم الاتجاه إلى الزخارف اللفظية والبهرجة اللغوية كما صار إليه الأمر في العصر العباسي الأخير.

" لذلك ينبغي لصاحب المصنوع أن يبتعد عن التكلف,وذلك بتهذيب معانيه,واختيار ألفاظه, كما ينبغي لصاحب المطبوع ألا يقبل كل ما يهجس به خاطره من غير إعمال النظر,وينتهي الحصري إلى التوسط في مسألة الطبع والصنعة[1] ", والحصري حسبما ما أبان عنه مذهبه يعجب بالمطبوع الجيد والمصنوع المثقف ساعيا إلى أن يتوسط بين الحالتين لأن الشاعر في هذه الحالة يجمع بين خصائص الصنعة ومزايا الطبع، والأكيد أن الشاعر الفذ متى وهب الطبع الصافي وجب عليه الدربة والمران عن طريق الصنعة، " فالطبع والصنعة شيئان أساسيان للشاعر في نظر الحصري ، ولكن الشيء الذي ينكره هو التكلف والتعمل والجري وراء الألفاظ على حساب المعنى، فيأتي الشعر مهلهلا خلف النسج، خطؤه أكثر من صوابه".[2]

ويواصل الحصري تبيان منهجه في فهم قضية الطبع والصنعة ، من أجل أن يخبرنا عن القدر الذي يمكن للأديب استخدامه من الصنعه شعرًا أو نثرًا... حيث يسوق قول الهمذاني قي نقد الجاحظ: " فهلموا إلى كلامه ، فهو بعيد الإشارات ، قليل الاستعارات ، قريب العبارات ، منقاد لعريان الكلام يستعمله، نفور من معتاصه يهمله ، فهل سمعتم له لفظه مصنوعة ، أو كلمة غير مسموعة؟ فقلنا لا...". [3]

ولنتأمل قول الحصري بعد ذلك " وأحسن ما أجرى إليه, وأعول عليه التوسط بين الحالين, والمنزلة بين المنزلتين من الطبع والصنعة ".[4]

---

[1] انظر مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي (من البقرن الخامس إلى القرن الخامس الهجري) أ. د الشيخ بوقربة :ص 155

[2] د. بشير خلدون-- الح ركة النقدية على أيام ابن رشيق المسلي القيرواني- ص 205

[3] الحصري : زهر الآداب و ثمر الألباب – ج1 ص538

[4] المصدر نفسه – ج2 ص838

وإذا كان الحصري أبان عن هذه الرؤية النقدية السليمة نظريا فإنه لم يلتزم بها تطبيقيا[1], ذلك لأنه غالبا ما تقفى أثر الصنعة مغرما بها، لذا يقول عنه ابن رشيق " يحب المجانسة والمطابقة, ويرغب في الاستعارة تشبها بأبي تمام وتتبعا لآثاره".[2]

3- الطبع والصنعـــــة في " زهـــــر الآداب "

يورد الحصري جانبا من المقارنة بين الطبع والصنعة متخذا من بشار بن برد مثالا، حيث يقول الحصري: " وقيل لبشار بن برد : بم فقت أهل عمرك ، وسبقت أهل عصرك, في حسن معاني الشعر,وتهذيب ألفاظه؟ فقال : لأني لم أقبل كل ما تورده علي قريحتي,ويناجيني به طبعي, ويبعثه فكري,ونظرت إلى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفهم جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سبرها, وانتقيت حرها, وكشفت عن حقائقها, واحترزت من متكلفها,ولا والله ما ملك قيادي قط الإعجاب بشيء مما آتي به " .[3]

ثم يظهر الحصري حكمه عن بشار بن برد حيث يقول معقبا " وكان بشار بن برد خطيبا, شاعرا, راجزا, سجاعا, صاحب منثور ومزدوج .

ويلقب بالمرعث لقوله :

مَن لظبي مرعـــــث سامر الطرف والنظـــــــر
قال لي لن تنالنـــــي قلت أو يغلب القـــــــــدر[4]

ونحن نرى أن الحصري لا يبين عن مكامن الحسن والتقديم وهو يتحدث عن بشار، كما أنه لا يعقب برأي أو حكم عن قوله، ولكن لا ريب وهو يسوق المثال ويثني على صاحبه ويكيل له ألوان المديح بغض النظر عن مكانتي بشار الشعرية أن يكون تبنى طرحه, ذلك لأن الحصري نفسه يتبنى هذا المفهوم من الناحية النظرية على الأقل عندما يقول "وأحسن ما أجرى إليه وأعول عليه, التوسط بين الحالين والمنزلة بين المنزلتين، من الطبع والصنعة "[5].

---

[1] **أنظر : النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي – أحمد يزن – ص 354.**
[2] **ابن رشيق – شعراء القيروان من انموذج الزمان – ص19.**
[3] **الحصري : زهر الآداب وثمر الألباب – ج1 ص 110.**
[4] **المصدر نفسه– ج، ص 110.**
[5] **المصدر نفسه – ج2 ص838.**

وإذا كان الحصري يتوخى رؤية نقدية سليمة تعتمد على المواءمة بين الطبع والصنعة، والابتعاد عن التكلف، فإنه لم يلتزم بها من الناحية التطبيقية وهو الذي ببث في تضاعيف كتاب " زهر الأداب " الكثير من الأعمال لعدد من الشعراء يتخيرهم ويستشهد بهم في مجال الصنعة من أمثال ابن المعتز ومسلم بن الوليد وبشار بن برد وأبو تمام ، ونعتقد أن هؤلاء قد غالوا في أحيان كثير في ميدان الصنعة " [1]

وإذ كان بشار بن برد يعد من شعراء الصنعة حيث يجمع النقاد على أنه المقدم على طبقات المحدثين[2]، فإن الحصري يشرح هذا الرأي بقوله: " وسمي أبا المحدثين لأنه فتق لهم أكمام المعاني، ونهج لهم سبل البديع فاتبعوه[3] "، ولأن شعر بشار يمتاز بالسلاسة والرقة والليونة، فإن الحصري يقول عنه : " وكان بشار أرقى المحدثين ديباجة كلام " [4] ويورد الحصري نمادج كثيرة لشعر بشار في كتاب " زهر الأداب " ومنها قوله :

عندها الصبر عن لقائي وعنـــدي زفرات يأكـــلهن قلب الجليـــد [5]

وإذا كان بشار يعتنق مذهب الصنعة فإنه لم يخلد إليها اطلاقا، بل كان يرواح بينها وبين الطبع إن جاز هذا التعبير، والبيت الوارد آنفا فيه تشخيص جميل بعيد عن التكلف حين جعل الزفرات تأكل ، ومن النماذج التي راقت للحصري فأبرزها في " زهر الأداب " لبشار بن برد :

أيها السافيان صبا شرابـــــي واسقياني بين ريـــق بيضاء رود
إن دائي الصدى وإن شفائـــي شربة مـــن رضاب ثغر بـــرود
عندها الصبر عن لقائي وعندي زفـــرات يأكلن قلـــب الجليـــــد
ولها مبسم كغر الأقاحـــــــــي وحـــديث كالوشي وشي البرود[6]

ثم يعطف الحصري وهو المغرم بالعبارة الجميلة واللفظ الحسن على أبيات أخرى لبشار :

لقد عشقت أذني كلاما سمعتـــــه رخيما ، وقلبي للمليحة أعشق
ولو عاينوها لم يلومو على البكى كريما سقاه الخمر بـــدر محلق

---

[1] د. شوقي ضيف – الفن ومذاهبه في الشعر العربي – ص73
[2] أنظر الحيوان – أللجاحظ– ج4 ص 145
[3] الحصري : زهر الآداب وثمر الألباب – ج1 ص 422
[4] المصدر نفسه – ج1 ص 422
[5] المصدر نفسه – ج1 ص 420
[6] المصدر نفسه – ج 1 ص 420

وكيف تناسى من كأن حديثـــــه بأذني وإن عنت قرط معلـــــق[1]

ثم يورد لبشار أيضا :

زودينا يا عبد قبل الفـــــــــراق بتلاف وكيف لي بالتـــــــلاف

أنا والله أشتهى سحر عينيـــــــك وأخشى مصارع العشـــــــاق

ويذكر الحصري أنَّ أبا تمام أنشد لبشار هذه الأبيات فقال : " ما رأيت شعرا أغزل منه[2]".

و إذا كان الحصري يتخير من الشّعر ما تمثلت فيه الصورة الشعرية والمعاني الجديدة والألوان البديعية والصّياغة الجميلة فذلك لأنه أغرم بالصنعة، حيث يعزو أحمد يزن ذلك إلى حياة الترف والزينة التي عرفها المجتمع القيرواني ، وكذلك شيوع اللهو والموسيقى والغناء[3].

ثم يتحفنا الحصري بعد ذلك بشعر أحد أئمة الصنعة في العصر العباسي وهو مسلم بن الوليد حين يمدح يزيد بن مزيد الشيباني والتي يقول منها :

موف على مهج في يوم ذي رهج كأنـــه أجـــل يسعـــى إلـــى أمـــــل

ينال بالرفق ما يعيا الرجال بـــه كالموت مستعجلا يأتي علـــى مهـــل

لا يرحل الناس إلا نحو حجرته كالبيت يضحي إليه ملتقـــى الشبـــل

يقري المنية أرواح الكماة كمـــا يقري الضيوف شحوم الكوم والبزل

يكسو السيوف رؤوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبـــــــل

قد عود الطير عادات وثقن بهـــــا فهن يتبعنه في كل مرتحـــــــــل [4]

ويتحفنا الحصري بوصية أبي تمام وهو إمام أهل البديع ومن الذين غلبت عليهم الصنعة, حيث يقول الحصري :

"وقال الوليد بن عبيد البحتري: كنت في حداثتي أروم الشعر، وكنت أرجع فيه إلى طبع، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه، ووجوه اقتضابه ، حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه إليه ، واتكلت في تعريفه عليه ، فكان أول ما قال لي: يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم،

---

[1] **المصدر السابق – ج1 ص 421**

[2] **المصدر نفسه – ج1 ص 421**

[3] **أحمد يزن ، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي – ص 356.**

[4] **الحصر – زهر الآداب و ثمر الألباب – ج2 ص997**

صفر من الغموم ، وأعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم ، وإن أردت التشبيب فاجعل اللفظ رشيقا ، والمعنى رقيقا ، وأكثر فيه من بيان الصبابة، وتوجع الكآبة، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ، فإن أخذت في مديح سيد ذي أياد فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وابن معالمه ، وشرف مقامه ، ونضد المعاني ، واحذر المجهول منها، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الرديئة، ولتكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجساد، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تعمل شعرك إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه ، فإن الشهوة نعم المعين ، وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فأقصده، وما تركوه فاجتنبه، ترشد إن شاء الله.

قال : فأعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة[1] .

ومن خلال هذا النص المطول الذي يسوقه الحصري يرى أن البحتري كان يصدر في بداية الأمر عن طبع في الشعر، ثم مال إلى الصنعة ليحذو حذو أبو تمام وقد استنصحه في طلب ذلك فأشار بالنص الانف الذكر، ولعل رؤية أبي تمام للقول الشعري تلتقي في بعض جوانبها مع مقولة بشر بن المعتمر التي أوردناها سابقا .

وإذ عمل البحتري بإشارة أبي تمام فإنه اتخذه إماما في الصنعة بل لقد بزه في أحيان كثيرة، حيث يقول ابن رشيق قي عمدته : " فأما حبيب فيذهب إلى حزونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه, مع التصنيع المحكم طوعا أو كرها، يأتي للأشياء من بعد ويطلبها بكلفة، ويأخذها بقوة, وأما البحتري فكان أملح صنعة، وأحسن مذهبا في الكلام، يسلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ, لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة"[2]

أما الحصري فيقول " وكان البحتري في حداثته ممن ينساق وراء طبعه حتى هداه أبو تمام إلى الأجواء التي يتناغم فيها الطبع والصنعة معا "[3]

---

[1] **المصدر السابق – ج1 ص 111.**

[2] **ابن رشيق – العمدة –ص 116.**

[3] **الحصري : زهر الأداب و ثمر الألباب –ج1 ص 110.**

ويفهم من كلام الحصري أن المعاني تنبعث عن طبع ، وإنما تدخل الصنعة في الألفاظ والأساليب حيث يقول : "وحمل الصانع شعره على الإكراه في التعمل وتنقيح المباني ، دون إصلاح المعاني."[1]

ويتضح من قول الحصري أن نوادر المعاني ، لا يعول فيها على الطبع ، وحده بل لا بد من أعمال النظر ، لأن المعاني في الغالب قد تكون مشتركة مبتذلة ، وإنما الألفاظ وأسلوب الشاعر هو الذي يكسبها الحسن والجودة، وهذا يبين عن نظرة الحصري المزاوجة بين أهمية الطبع وضرورة الصنعة.

ومن تعليقات الحصري في هذا الباب أنه نقل قول عبد الملك ابن مروان للعجاج(... نحو 90ه) "بلغني أنك لا تحسن الهجاء ؟!"

فقال: يا أمير المؤمنين من قدر على تشييد الأبنية، أمكنه خراب الأخبية " وقد علن بقوله: " وليس كما قال العجاج ، بل لكثير من الشعراء طباع تنبو عن الهجاء كالطائي وأضربه ، وأصحاب المطبوع أقدر عليه من أهل المصنوع ، إذ كان الهجو كالنادرة التي إذا جرت على سجية قائلها ، وقربت من يد متناولها ، وكان واسع العطن ، كثير الفطن ، قريب القلب من اللسان ، التهبت بنار الإحسان[2])"، ونجد أن الحصري كثيرا ما يعبر عن شاعر ما ، أو نص ما بحلاوة الطبع، ومثال ذلك عندما يعقب على قصيدة مخلد بن بكار الموصلي في مدح رجل حيث يقول عنه " وكان مخلد حلو الطبع "[3].

ونخلص في الأخير إلى أن الحصري يرى أن الطبع وحده لا يكفي لجعل الشاعر مجيدا، بل لا بد له من الصنعة التي تكسب شعره وجودة وحسنا، وتوائم بين طبعه والصنعة بعيدا عن التكلف والتصنع .

---

[1] **المصدر نفسه– ج1 ص 112**

[2] **المصدر نفسه – ج2 ص 634.**

[3] **المصدر نفسه – ج1 ص 511.**

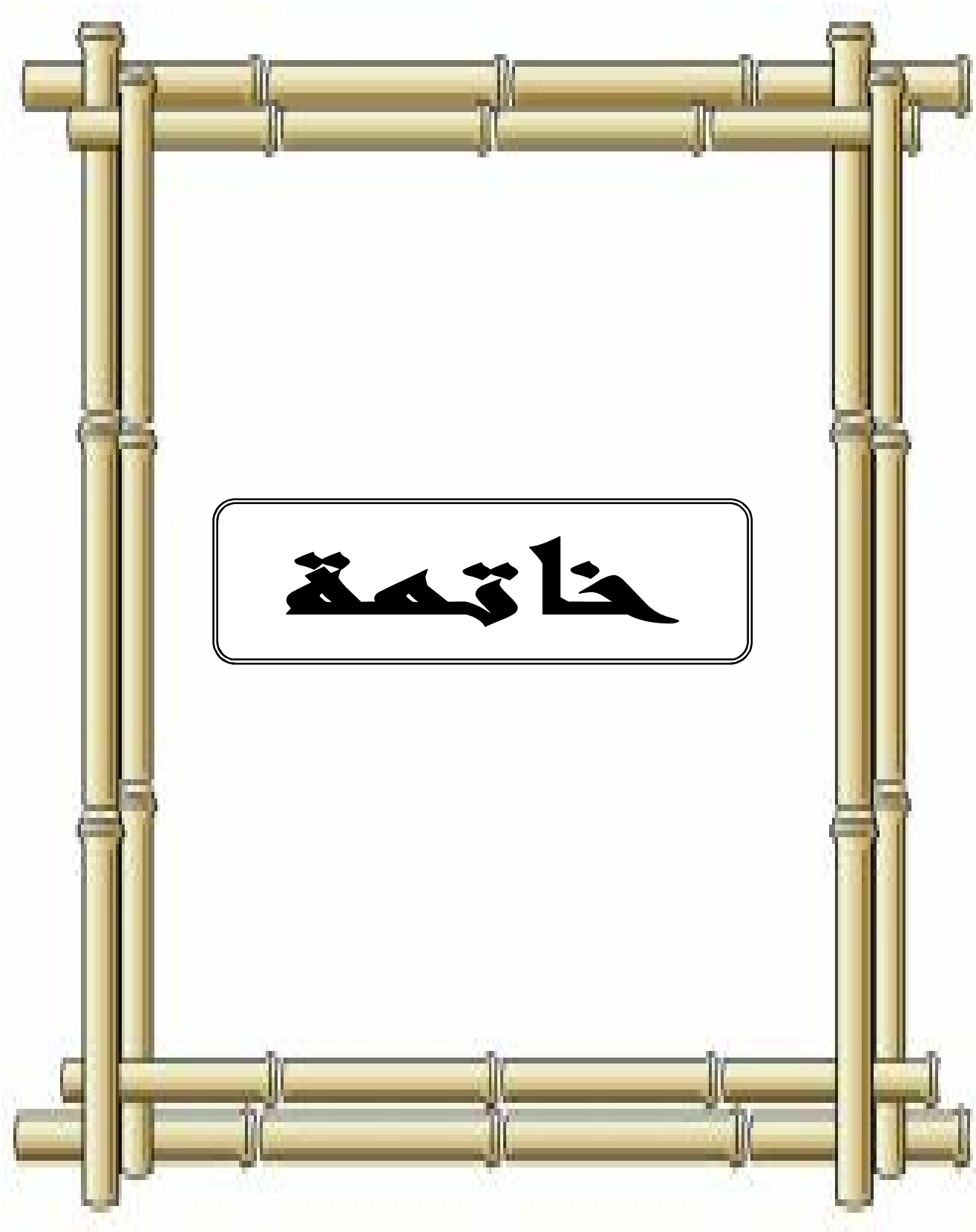

خاتمة

خـــاتمـــة :

إن الكشف عن قضايا النقد الأدبي في كتاب " زهر الآداب و ثمر الألباب" يحتم على الباحث متابعة مستفيضة و قراءة متأنية دقيقة للكتاب لاستخلاص هذه القضايا، لأن " زهـــر الآداب" ليس مبوبا ولا مخصصا للنقد الأدبي على التحديد.

وذلك ما سعيت إليه من خلال دراستي للحصري وكتابه، و أشهد لقد أفـــدت كثيـــرا وأطلعت على جانب مهم من الأدب المغاربي القديم بوجه عام, و آثار الحصري القيروانـــي بوجه خاص.

و لقد رأيت أن الحصري كان بإمكانه أن يكون ناقدا فذا لو أنه أبان عن آرائه النقدية و أسهم بها بشكل صريح دون أن يلمح إلى ذلك ضمنا أو يتبع من أورد أحكامهم و آراءهـــم في " زهر الآداب " ، بالموافقة أو الاستحسان .

كما لاحظت أن الحصري كان يجمع بين النقد الذاتي المجمل و النقد الموضوعي المفصـــل، وإن كان متأثرا بمن سبقه ، فإنه كان مؤثرا فيمن لحقه و على الأخص تلميذه ابن رشيق، بما أضافه وابتدعه.

ثم إن الحصري كان رائدا في إدخال البديع إلى بلاد المغرب العربي فـــي القـــرن الرابـــع الهجري مقتفيا طريق بديع الزمان الهمذاني، وذلك من خـــلال نثـــره و آثـــاره المطبوعـــة والمخطوطة معا.

كما أن القضايا النقدية التي عرض لها الحصري متتبعا إياها بالتحليل و التطبيق انحصـــرت في (السرقات الأدبية / الموازنات الأدبية / البديع) بينما لم يغفل القضايا الأدبية الأخرى.

ولقد وجدت أن الحصري ينبه إلى وحدة القصيدة الشعرية ، بما اصطلح عليـــه فـــي النقـــد الحديث، الوحدة العضوية للقصيدة، ومن ذلك تعليقاته الواردة فـــي "زهـــر الآداب" و التـــي أوردتها في الفصل الرابع.

على أن الحصري بما عرف عنه من تدين كان يتحرج في غالب الأحيان من ايراد أشعار أو أخبار تسيء إلى الدين مما يجعلها لا تدخل ضمن فضاء " زهر الآداب" وبالتالي تنقص مـــن بعض الوقفات النقدية.

إن الحصري وإن لم يكن ناقدا نظريا على غرار تلميذه ابن رشيق مثلا ، إلا أنه كان ينقد من خلال اختياراته و آرائه و تعقيباته.

والحصري لم يضع " زهر الآداب" للجانب النقدي بقدرما كان يريد الإفادة الأدبية والمتعة الفكرية، غير أنه أرهص لحركة نقدية متميزة ببلاد المغرب أبان عنها بعدئذ نقاد آخرين.

هذا ما استطعت إجماله من خلال بحثي حول قضايا النقد الأدبي" في زهر الآداب وثمر الألباب " وأرجوا أن أكون أسهمت بشيء قليل حول الموضوع من خلال دراستي هذه المتواضعة.

والله من وراء القصد.

قـــائمة المصادر و المراجـــع

- المصادر
- المراجع باللغة العربية
- المراجع المترجمة إلى اللغة العربية
- المجلات و الدوريات

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم
- أبو اسحاق الحصري القيرواني: زهر الآداب و ثمر الألباب–تحقيق:
- محمد علي البجاوي–الطبعة الثانية–دار حياء الكتب العربية–عيسى البابي الحلبي و شركاه–القاهرة–1953 –
- أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني: تحقيق : عبد الله العلايلي– الطبعة الثالثة – دار الثقافة– بيروت (1962)
- أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر– مطبعة البابي الحلبي و أولاده–القاهرة 1939.
- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي: الموازنة بين الطائيين –تحقيق : أحمد صقر الطبعة الثانية– دار المعارف– القاهرة–1972.
- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة –مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر–القاهرة 1939.
- أبو العباس الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرق من العلماء السابعة ببجاية– تحقيق: عادل نويهض– الطبعة الأولى–منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر– بيروت 1969.
- أبو العباس عبد الله بن المعتز: طبقات الشعراء–تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (سلسلة ذخائر العرب) دار المعارف–القاهرة 1956.
- أبو العباس عبد الله بن المعتز: البديع–تحقيق: المستشرق الفناطيوس–دار الحكمة– ديمشق.
- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن–تحقيق:أحمد صقر–دار المعارف القاهرة 1963.

- أبو عبيد الله محمد بن عمران المزرباني:المرشح في مآخذ العلماء على الشعراء: تحقيق: محمد علي البجاوي دار نهضة مصر–القاهرة–1965م.
- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة– تحقيق:أحمد أمين وأحمد الزين–مطبعة مصر–القاهرة–1944.
- أبو محمد على بن حزم الأندلسي:طوق الحمامة في الألفة و الألاف–تحقيق: أحمد مكي– الطبعة الأولى–دار المعارف–القاهرة–1975.
- أبو محمد علي بن حزم الأندلسي: الأحكام في أصول الأحكام–تحقيق أحمد شاكر– مطبعة السعادة–القاهرة (1956).
- أبو منصور الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر–تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد–الطبعة الثانية–مطبعة السعادة–القاهرة 1956.
- أبو عبد الله محمد بن شرف :أعلام الكلام–مطبعة النهضة–القاهرة–1926.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان و التبيين– دار الفكر–ديمشق–1968.
- أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي: شرح ديوان الحماسة–تحقيق: أحمد أمين– مطبعة نهضة مصر–القاهرة 1951.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:الحيوان–الطبعة الثانية–دار الكتاب اللبناني– بيروت 1968.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:رسائل الجاحظ–تحقيق: عبد السلام هارون– مكتبة الخانجي– القاهرة 1964.
- أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل:الصناعتين– تحقيق:محمد علي البجاوي وأبو الفضل ابراهيم– دار أحياء الكتب العربية–القاهرة 1971.
- أبو الطاهر التجيبي: شرح المختار من شعر بشار–تحقيق: محمد بدر الدين العلوي–مطبعة لجنة التأليف و النشر–القاهرة 1954.
- ابن بري علي بن محمد:اقتطاف الزهر و اجتناء الثمر.مخطوطة بدار الكتب المصرية رقمها 687–1942 ز14417.
- ابن حجة الحموي: خزانة الأدب–دار القاموس الحديث–بيروت 1960م.

- ابن خلدون عبد الرحمن–المقدمة–الطبعة الأولى–دار الكتب العلمية–بيروت1993.
- ابن خلكان أحمد بن محمد:وفيات الأعيان–الطبعة الأولى–مطبعة السعادة– القاهرة 1968 .
- ابن رشيق أبو على الحسن :العمدة في نقد الشعر و تمحيصه–شرح–عفيف نايف حاطوم الطبعة الأولى–دار صادر بيروت 2003.
- ابن رشيق أبو علي الحسن: قراضة الذهب في نقد أشعار العرب–تحقيق: الشادلي بويحيى –الشركة التونسية للتوزيع 1972.
- ابن رشيق أبو علي الحسن: شعراء القيروان من أنموذج الزمان–جمعه:زين العابدين السنوسي–دار المغرب العربي– تونس–1973.
- ابن فضل الله العمري أحمد بن يحي:مسالك الأبصار–مخطوطة بالمكتبة القومية– باريس رقم2387.
- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم–الشعر و الشعراء–تحقيقك أحمد محمد شاكر–دار المعارف–القاهرة 1966 .
- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء–شرح محمد شاكر–مطبعة المدني– القاهرة 1974.
- ابن السراج الأندلسي محمد بن محمد: الحلل السندسية في الأخبار التونسية –تونس 1970.
- ابن طبابا محمد بن أحمد:عيار الشعر–تحقيق:طه الحاجري و محمد زغلول سلام– منشورات المكتبة التجارية–القاهرة 1956.
- أحمد بن محمد المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب–تحقيق:احسان عباس دار صادر–بيروت 1968.
- أسامة بن منقد:البديع– تحقيق : أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد (من سلسلة تراثنا) – مطبعة مصطفى الحلبي و أولاده–القاهرة.

- الجرجاني علي بن عبد العزيز:الوساطة بين المتبني و خصومه-تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم و علي محمد البجاوي-الطبعة الثالثة-دار احياء الكتب-العربية عيسى البابي الحلبي و شركاه-القاهرة.
- الجرجاني عبد القاهر:تحقيق: محمد رشيد رضا-دار المعرفة-بيروت1981.
- الجرجاني عبد القاهر:دلائل الإعجاز-تحقيق:محمد محمود الشنقيطي-دار احياء الكتب العربية القاهرة-1966.
- جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة و أنواعها:تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم, احمد جاد المولى, على البجاوي دار احياء الكتب العربية-القاهرة.
- الزبيدي محب الدين :تاج العروس-الطبعة الأولى-المطبعة الخيرية-القاهرة 1306ه/1915م
- الشريف المرتضى: آمال المرتضي-تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم-دار احياء الكتب العربية-القاهرة.
- الصفدي صلاح الدين: الوافي بالوفيات-تحقيق:دييد رينغ-دار صادر-بيروت-1972-
- الصفدي صلاح الدين: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون-دار الفكر العربي-مطبعة المدني-القاهرة -1969.
- قدامة بن جعفر:نقد الشعر-شرح :محمد عيسى منون-الطبعة الأولى- المطبعة المليجية- القاهرة 1934.
- القزويني محمد بن عبد الرحمن: الايضاح- شرح: عبد المنعم خفاجي- الطبعة الأولى-دار الكتاب اللبناني- بيروت 1971.
- القزويني محمد بن عبد الرحمن-التلخيص-دار احياء الكتب العربية-القاهرة-1959.
- ياقوت الحموي:معجم الأدباء-الطبعة الثانية-مطبعة الموسكي-القاهرة-1973.

المراجع:

- أبو القاسم كرو وعبد الله شريط: عصر القيروان- الطبعة الأولى- دار المغرب العربي-تونس 1973 .
- أحمد أحمد بدوي:أسس النقد الأدبي-الطبعة الأولى-مطبعة مصر-القاهرة-1938.
- أحمد أحمد بدوي:عبد القاهر الجرجاني (سلسلة أعلام العرب)-الطبعة الثانية- المؤسسة المصرية للتأليف و الترجمة-القاهرة.
- أحمد أمين:ظهر الإسلام-دار الكتاب العربي-بيروت-1975.
- أحمد بن عامر:الدولة الصنهاجية-الدار التونسية للنشر-تونس-1972.
- أحمد مصطفى المراغي:علوم البلاغة (البيان و المعاني و البديع)-الطبعة الثالثة- بيروت- 1993.
- أحمد يزن:النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي (362-555ه) (972-1160م) مكتبة المعارف للنشر و التوزيع- الرباط 1986.
- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب- الطبعة الخامسة -دار الثقافة- بيروت-1986.
- أنيس المقدسي:تطور الأساليب النثرية- الطبعة الرابعة -دار العلم للملايين-بيروت 1968 .
- بدوي طبانة: السرقات الأدبية-الطبعة الثانية -مكتبة الأنجلوالمصرية-القاهرة- 1956.
- بدوي طبانة:دراسات في نقد الأدب العربي-مطبعة مصر-القاهرة-1973.
- بشير خلدون-الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر 1981.
- حسن حسني عبد الوهاب-ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية-مكتبة المنار-تونس-1966.
- درويش الجندي: الرمزية في الأدب العربي-دار نهضة مصر-القاهرة-1957.

- رابح بونار: المغرب العربي تاريخه و ثقافته–الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر–1968.
- زكي مبارك: الثر الفني في القرن الرابع– دار الجيل–بيروت– 1972.
- شوقي ضيف– الفن و مذاهبه في الشعر العربي–الطبعة السابعة–دار المعارف– القاهرة–1969.
- شوقي ضيف–البلاغة تطور و تاريخ– الطبعة الثانية– دار المعارف– القاهرة.
- الشيخ بوقربة: مفهوم الشعر في الترات النقدي المغاربي (من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري)–(رسالة دكتوراه) جامعة وهران–1999–2000.
- عبد الرحمن ياغي: حياة القيروان–الطبعة الأولى–دار الثقافة–بيروت–1961.
- عبد العزيز عتيق: علم البديع– دار النهضة العربية–بيروت.
- عبد القاهر هني: دراسات في النقد الأدبي عند العرب(من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي) ديوان المطبوعات الجامعية–الجزائر–1995.
- عبد المنعم خفاجي:الآداب العربية–مكتبة القاهرة–ميدان الأزهر–القاهرة.
- عبد الله قلقيلة:النقد الأدبي في المغرب العربي–مكتبة الأنجلو المصرية–القاهرة– 1973.
- عبد قلقيلة :القاضي الجرجاني و النقد الأدبي–الهيئة المصرية للكتاب–القاهرة– 1973.
- عمر فروخ:تاريخ الأدب العربي–الطبعة الخامسة–دار العلم للملايين –بيروت– 1982.
- فؤاد إفرام البستاني ---سلسلة الروائع–منشورات دار المشرق–بيروت–1982.
- طه ابراهيم:تاريخ النقد عند العرب–دار الحكمة–بيروت
- طه حسين–حديث الأربعاء–الطبعة الثانية–دار العلم للملايين–بيروت 1981.
- محمد زغلول سلام–تاريخ النقد العربي–دار المعارف–القاهرة–1964.
- محمد طول: في النقد الأدبي الجزائري القديم–دار الغرب للنشر و التوزيع–وهران 2004.

- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب-مكتبة نهضة مصر-القاهرة 1948.
- محمد المرزوقي و الجيلاني بن الحاج يحي: أبو الحسن الحصري-مكتبة المنار-تونس-1963.
- محمد النيفر-عنوان الأريب-الطبعة الأولى-المطبعة التونسية -تونس- 1930 .
- مصطفى هدارة-مشكلة السرقات في النقد الأدبي-الطبعة الثانية-المكتب الإسلامي-بيروت و دمشق-1975.

المراجع المترجمة إلى العربية .

- جون راندن و جوستاس بوخلر:مدخل إلى الفلسفة – ترجمة: قريان ملحم-دار العلم للملايين-بيروت-1963.
- ستانلي هايمن: النقد الأدبي و مدارسه الحديثة-ترجمة:احسان عباس و محمد يوسف نجم -دار الثقافة-بيروت-1958.
- الشاذلي بويحيى:الحياة الأدبية في افريقية تحت حكم الزيريين-الشركة التونسية للتوزيع-تونس-1972
- غوستاف فون غرنباوم: دراسات في الأدب العربي -ترجمة-احسان عباس-دار مكتبة الحياة-بيروت-1959.
- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي-ترجمة:رمضان عبد التواب-دار المعارف القاهرة-1976.

الدواوين :

- ديوان امرؤ القيس-دار الآداب-بيروت-1982.
- ديوان ابن هانئ الأندلسي :دار الجيل-بيروت-1984.
- ديوان أبو نواس: دار الكتاب العربي-بيروت 1976.
- ديوان النابغة الذبياني:دار الجيل- بيروت-1986.
- ديوان عنترة بن شداد-دار الآداب-بيروت-1984.

-المجلات و الدوريات:

- حسن حسني عبد الوهاب-مجلة البدر العدد 2 -تونس .
- حسن حسني عبد الوهاب-مجلة الثريا العدد 9 السنة الأولى تونس-1944
- حسن حسني عبد الوهاب-مجلة الثريا العدد 9 السنة الأولى تونس-1944.
- حسن حسني عبد الوهاب-مجلة الثريا العدد 9 السنة الأولى تونس-1944.
- حوليات الجامعة التونسية-العدد الأول-1964.

فـــهرس الموضوعات

- إهداء
- شكر و تقدير
- مقدمة
- مدخل 01-22

الفصـــل الأول : الســـرقـــات الأدبيـــة

- مفهوم السرقات الأدبية 24
- منهج الحصري في بحث السرقات 30
- قضية الأولوية و الابتكارات عند الحصري 35
- صور السرقات الأدبية في " زهر الآداب " 40
- مناقشة أحكام السرقات الأدبية 57

الفصـــل الثـــانـــي : المـــوازنـــات الأدبيـــة

- مفهوم الموازنة 66
- الموازنة في النقد العربي 68
- منهج الحصري في الموازنة 72
- الموازنة في " زهر الآداب " 75

الفصـــل الثـــالث : البـــديـــع

- مفهوم البديع 111
- احتفاء الحصري بالبديع 117
- أبو تمام في كتاب الحصري 119
- فنون البديع في " زهر الآداب " 124
- التضمين عند الحصري 145

الفصـــل الرابـــع : قضـــايا نقديـــة متفرقـــة

- اللفظ والمعنى
  - مفهوم اللفظ والمعنى 153
  - رأي الحصري في اللفظ والمعنى 156
  - اللفظ والمعنى في " زهر الآداب" 157
- الشعر و النثر
  - مفهوم الشعر و النثر 166
  - منهج الحصري في بحث الشعر والنثر 167
  - الشعر و النثر في" زهر الآداب" 171
- القديم و الجديد
  - مفهوم القديم و الجديد 176
  - منهج الحصري في بحث القديم و الجديد 178
  - القديم و الجديد في " زهر الآداب " 180
- الطبع والصنعة
  - مفهوم الطبع و الصنعة 183
  - ر أي الحصري للطبع و الصنعة 186
  - الطبع و الصنعة في " زهر الآداب " 189
- خاتمة 194
- قائمة المصادر والمراجع 197